كلمة العدد

العلاقات الخليجية العربية بعد حرب الخليج

بقلم : سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

تحت هذا العنوان نظم مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية بجامعة الكويت ندوة شارك فيها عدد كبير من الباحثين والمؤرخين طرحوا بأبحاثهم عدداً من الأفكار حول تداعيات أكبر كارثة تعرض لها الخليج في تاريخه المعاصر وهي حرب الخليج وفي هذا السياق أقول

إن الأخوة العربية - كانت ومازالت - إحساساً راسخاً في الوجدان العربي الكبير، وكانت الأخوة الخليجية - ومازالت - ركنا ركيناً في وجدان القيادات الخليجية والشعوب التي تحيا على هذه الساحة التي شاء قدرها أن تكون في بؤرة الاهتمام العالمي والعربي على السواء، وبينما الأمور تراوح بين تحفظات الواقع وحلم الوحدة

الكبرى في الهدف والمصير والطريق، انصبت كارثة الغزو العراقي لتعصف بالواقع والحلم معاً وتحول الإحساس الراسخ في وجدان أبناء الخليج إلى دخان غطى مع الدخان المنبعث من الآبار المحترقة، سماء المنطقة بالأسى والذهول .

لقد جاء الغزو العراقي للكويت الشقيق صدمة اهتزت معها أشياء كثيرة، وتغيرت معها أشياء أكثر وهي صدمة هزت الجسد العربي كله هزات عنيفة، ووضعت العالم العربي كله، الذي كان يكافح لسنوات طويلة من أجل لمٍ شتاته وتوحيد كلمته، على حافة هاوية سحيقة من التفكك والتشرذم والانقسام .

أما لماذا كان هذا الغزو صدمة فذلك يعود في رأيي وبإيجاز شديد لعدة أسباب منها :

__أولاً__ : أن الأصول الواحدة التي تجمع بين الشعوب العربية والمتمثلة في اللغة العربية والدين الواحد والتقاليد والأعراف العربية الأصيلة المنحدرة عبر قرون والتي تشكل الوجدان الواحد للشعوب العربية كلها قد صاغت نسيج ما نطلق عليه "الأُخُوَّة العربية" هذه الأُخُوَّة كانت واقعاً فرض نفسه على كثير من النظريات التي حاولت التسلل إلى المنطقة طوال تاريخها واحتفظت لهذه الشعوب بنسيج واحد ترتخي خيوطه أحياناً وتشتد أحياناً أخرى ولكنه موجود دائماً أمام أنظار صناع القرار، له اعتباره وله احترامه عند رسم الاستراتيجيات ووضع السياسات ولم يكن "الغدر العربي"، أمراً وارداً على الإطلاق عند وضع هذه السياسات ذلك أن الأخوة العربية كانت تشكل الوجدان العربي الكبير والواحد وأي خطة تصطدم مع

ذلك كان معناها أنها تعارض أو تناقض هذا الوجدان وبالتالي فهي خطة لا تنطوي على عناصر البقاء ويكون استبعادها أمراً منطقياً وتوفير تكاليفها نوعاً من الحكمة أمام صناع القرار .

__ثانياً__ : عندما تورط العراق في حربه مع جارته إيران، قامت شقيقاته الخليجيات وابتداءً من سنة ١٩٨٢ أي بعد قيام مجلس التعاون بعام واحد بمساعدته بكل ما تستطيع، بل وبأكثر مما تستطيع في كثير من الأحيان وعلى الرغم من أن هذه الحرب لم تكن حرباً خليجية إيرانية، وعلى الرغم من أن الكثيرين لم يكونوا من أنصار قيامها ولا من أنصار استمرارها، خاصة وأنها بين بلدين مسلمين، إلا أن الأموال استمرت في التدفق تأكيداً لالتزام أدبي وهو أن مساعدة الأخ أمر واجب، ومن هنا ما كان أحد يتصور أن يتحول الرصاص الذي اشتُرِي بأموال الخليج إلى صدور أبناء الخليج وهي الصدور التي ساعدت ودعمت وآزرت وما كان أحد يتخيل أن تغيِّر الجحافل اتجاهها إلى أرض شقيقة وجار شقيق.

__ثالثاً__ : لم يكن هناك دافع واحد يمكن أن يشكل أمام القيادات الخليجية إنذاراً باعتداء محتمل ذلك أن مشاكل الحدود معروف أنها لعبة استعمارية أريد بها أن تكون محور قلق للشعوب العربية، وكل القيادات العربية تدرك ذلك، وتدرك أنه في إطار الأمل في وحدة عربية كبرى على أي شكل من الأشكال، فإن الخلاف حول شريحة من الأرض، يجب ألا يأخذ حجماً أكبر من حجمه، وأن كل خلاف من هذا النوع يمكن حله بصورة أو بأخرى وعلى المائدة التي يسودها الروح العربي وطبقاً للحاجة الماسة لكل أخ شقيق.

رابعاً : أن العراق بنى قوة عسكرية عملاقة كانت محـور فخـار كل عربي، هذه القوة الـتي وصفتـها بعـض المصادر العسـكرية بأنـها القوة الرابعة في العالم كانت تمثل دعمـاً للعـرب في مواجهـة الصلف والتعنت الإسرائيلي، وكانت تجعل العدو التقليـدي للمصير العربـي في تـل أبيب يحسب ألـف حساب لكـل خطـوة يخطوهـا والمتتبع للتصريحات السياسية الإسرائيلية في فترة ما قبل الغزو سوف يلاحظ مـدى الخـوف الإسـرائيلي مـن القـوة العراقيـة ولجوءهـم المسـتمر للولايات المتحدة الأمريكية بـهدف الحفـاظ علـى التـوازن العسـكري الذي كان يرهق وبصورة ملحوظة موارد العدو ويمثل ضغطاً كبيراً على السياسة الإسرائيلية العدوانية، وبالتالي ما كان أحد يتصور أن تتجـه هذه القوة التي كانت حديث كل عربي إلى لون من الانتحار العسكري لم يشـهده تـاريخ الحـروب خاصـة وأن صنـاع القـرار العراقـي كـانوا يعلمون جيداً أنهم يستهدفون منطقة تمثل شريان الحياة لبعض القوى الكبرى في العالم ويدركون بالتالي أن أي عدوان على هذه المنطقة أو أي جزء منها لا يمكن أن يكون نزهـة عسكرية، أو أمـراً يمكـن أن يمر بسلام .

لهذه الأمور وغيرها كثير كان الغزو صدمة هزت الجسد العربـي كله، بل وأحدثت هزة في العالم، فإذا أضفنا إلى ذلك الصـورة الـتي تم بها الغزو والوحشية التي صاحبته وهي الوحشية غير المفهومة وغير المبررة والـتي عصفـت بكثـير مـن القيـم الـتي تربـت عليـه القيـادات والشعوب العربية، لأدركنا ولو من بعيد حجم الكارثة .

وعندما وقع الغزو عمت الفرقة العالم العربي، ومنذ الساعات الأولى لوقوع الكارثة ظهر على الملأ أنها كانت أمراً مبيتاً تم الإعداد له في الخفاء، تأكد ذلك من تأييد بعض الشقيقات للعراق، بعضها من أجل حفنة دولارات وبعضها من أجل أطماع قديمة وأحلام تحلق في الخيال بعيداً بعداً سحيقاً عن معطيات الواقع . . وظهر من تتابع الأحداث وتلاحقها صدق قول الشاعر العربي :

جزي الله الشدائد كل خير . . وإن كانت تجرعني بريقي

وما حبي لها شغفاً ولكن . . عرفت بها عدوي من صديقي

لقد كان الغزو موقفاً غريباً وعجيباً، وكان لابد أن تقوم على أساسه مواقف جديدة وعلاقات جديدة طبقاً لردود الفعل التي ظهرت عقب الغزو وطبقاً لموقف كل دولة معه أو ضده وهو أمر منطقي، وإذا كنا هنا بصدد الحديث عن العلاقات الخليجية العربية بعد حرب الخليج فإن هذا لا يمنع من القول بأن الغزو نفسه شجبته كل دول العالم سواء الدائرة العالمية أو الدائرة الإسلامية، تعكس ذلك اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة واجتماعات مجلس الأمن وما صدر عنهما من قرارات تم تنفيذها فيما بعد بتشكيل القوة متعددة الجنسيات التي قامت بتحرير الكويت، أما العلاقات الخليجية العربية فقد أخذت عدة صور سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي منها :

أولاً : أنه فور وقوع الغزو فتح مواطنو الخليج قلوبهم وبيوتهم وحساباتهم لإخوتهم الذين شردهم الغزو وتسابق أبناء الخليج ودوله على استضافة إخوتهم من الكويت الذين تعرضوا للمحنة في صورة

رائعة من الشهامة والنخوة كان لها أثر كبير في رأب الصدع النفسي الذي أحدثه الغزو وفي إعادة بعض الثقة في بعض القيم التي سحقتها أقدام الغزاة ولابد لي هنا أن أشيد بموقف خادم الحرمين الشريفين أعزه الله وأيده وموقف حكومته المتميز .

ثانياً : في الوقت الذي لجأت فيه بعض الدول العربية إلى إبعاد الكويتيين المقيمين على أرضها، فتحت بعض الدول العربية الأخرى أبوابها دون قيد أو شرط لاستقبالهم وخصصت لهم كل ما يحتاجون إليه بل إن الكثيرين من مواطني هذه الدول كانوا يتسابقون لتقديم كل ما يلزم إخوتهم ويرفضون تقاضي أي مقابل في صورة رائعة للتلاحم .

ثالثاً : كان طبيعياً أن تثار المأساة في بيت العرب وهو الجامعة العربية وداخل قاعات الجامعة كانت الصورة واضحة أشد الوضوح وظهرت للعيان وأمام الميكروفونات مواقف كل دولة عربية مما حدث، واستهلكت الجامعة وقتاً طويلاً في نقاش وحوار وشجار، ولكن قرارها ظل أسير معادلة "الأغلبية أو الإجماع" وإن كانت هذه اللقاءات قد أظهرت بوضوح موقف كل دولة عضو وهو ما يمكن الرجوع إليه من متابعة هذه اللقاءات والمناقشات والتصريحات في صحف تلك الأيام ورغم كل ذلك فقد بقيت دول الخليج جزءاً من البيت العربي ولم تحاول الانسحاب مدركة أن ذلك قد يسبب انهياراً لهذا التجمع الذي لا يضر وإن كان في كثير من الأوقات لا ينفع.

رابعاً : عندما ظهرت مواقف بعض الدول العربية المؤيدة للعدوان سواء بدعمها السافر للغزو أو في دفاعها عنه عبر لقاءات الجامعة وعبر التصريحات الرسمية التي توالى صدورها عنها إبان

الغزو وفي أعقابه حرصت السياسة الخليجية على أن تظل بينها وبين هذه الدول شعرة معاوية، وعلى الرغم من أن مثل هذه المواقف كانت كافية لقطع كل علاقة ولحشد كل دواعي الغضب ولاتخاذ كل إجراءات الثأر كما حدث في ظروف مماثلة في تاريخ العالم، إلا أن ما قُدِّم من أعذار وجد من يسمعه وما قُدم من اعتذار وجد من يقبله وظلت الأبواب مفتوحة أو منفرجة لم توصد، بل إن بعض دول المنظومة الخليجية وهي دول جريحة من آثار الغزو كانت هي التي سعت وتسعى للصلح.

خامساً : بادرت دول عربية شقيقة باتخاذ مواقف شجاعة أكدت بها إحساسها العربي بالنجدة ورفض الظلم ومقاومة العدوان، وقد تجلى ذلك في مواقف دول إعلان دمشق التي لم تكتف بالدعم السياسي والأدبي وإنما حشدت قواتها لتكون في مقدمة قوات التحرير والتي قدم أبناؤها أرواحهم لتحقيق هذا الهدف النبيل وكان طبيعياً أن تتشكل علاقة دول الخليج بهذه الدول فيما بعد على أساس هذا الموقف الشجاع الذي ترجم بصدق ما تعودنا ترديده عن الأُخُوَّة العربية والتآزر العربي.

سادساً : تحددت بصورة أوضح وعلى محك التجربة أهمية مجلس التعاون الخليجي الذي حاول البعض أن يصوره على أساس أنه تكتل إقليمي منفصل عن الجسد الكبير وتأكد للجميع أنه تجمع عربي يمثل إضافة للحشد الواحد وأنه اجتماع في نسيج العروبة وداخل في كيان الجامعة العربية ليس بعيداً عنها وليس بديلاً لها وليس منفصلاً عن تكوينها وليس تباعداً عن تشكيلها وليس إضعافاً

لأركانها وإنما هو جزء أصيل يساعد كثيراً في توحيد الكلمة ودعم الصف ونموذجاً لما يجب أن يكون عليه العمل في مناطق من العالم العربي تجمعها خيوط متشابهة وروابط متماثلة وأن هذا لا يعني من قريب أو بعيد أنه تكتل ضد أحد، أو تجمع يستهدف العدوان على أحد، وإنما هو خطوة على درب العروبة، يؤكد ذلك أن دول المجلس ورغم ثقل الكارثة لم تنغلق علي نفسها فيما تلا من سنوات وإنما ظلت كما كانت جزءاً أساسياً من العمل العربي والمسيرة العربية تشارك وتساهم وتدعم .

بدأت محاولات رأب الصدع الكبير عقب التحرير بسنة واحدة، وقد تصدى لهذه المحاولات بعض الإخوة من القيادات العربية والخليجية ورغم أن الجرح عميق إلا أن النوايا الطيبة لا تكفي لعلاج ولو بعض آثاره وإنما كان لابد أن يدعم هذه النوايا عمل إيجابي ولم يكن هناك أهم من إطلاق سراح الأسرى الكويتيين الذين مازالوا محتجزين بالعراق طوال ما يقرب من ست سنوات دون مبرر على الإطلاق تماماً مثلما كان الغزو دون مبرر وعلى الرغم من الاستعداد الطيب الذي عبرت عنه السياسة الكويتية إلا أنه لا يقابَل باستعداد مماثل من الجانب الآخر إضافة إلى أشياء أخرى .

كانت هذه جولة عابرة حول بعض ملامح الموضوع وبقيت هناك ملاحظتان :

<u>الأولى</u> : أنني حاولت أن ألجأ للتعميم ولم أحاول أن أذكر أسماء دول بعينها رغم علمي أن ذلك يمثل ضرورة لمثل هذا العرض وذلك لأن الموضوع مازال حديثاً والجرح مازال نازفاً ولأنه يتناول علاقات

بين دول شقيقة يحاول المخلصون ليل نهار أن يصلحوا فيها ما فسد وما تسببت فيه بعض السياسات الطائشة، وهذا يمثل - لي شخصياً - بعض الصعوبة والحرج لأن المطلوب على المستوى الرسمي هو تكريس النوايا الحسنة والتغاضي قدر المستطاع عما يثير الحساسية أو الجفوة، ولأن ما يجري من محاولات من وراء الكواليس قد لا يمكن - ومن أجل المصلحة العامة - الكشف عن تفاصيله .

الثانية : أن على العالم العربي أن يدرك وبوعي حقيقي أن خلافات الحدود يمكن أن تتخذ ذريعة تفتح الباب لشرور قد لا يمتد أثرها المدمر للساحة العربية وحدها، إنما يمتد إلى آفاق أبعد من ذلك، وأن يدرك أيضاً أن هذه المشاكل وضعت لهذا الهدف الذي لا يمكن أن يسفر إلا عن ضياع الإمكانات العربية وتكريس الخلافات والصدوع في جسد يعاني أصلاً من هذه الخلافات والصدوع .

عبد الله بن خالد آل خليفة

يوم تاريخى فى سجل سلاح

"صبحا" إسم عرفته البحار والجيـ

منظومة قتالية متكاملة وحديثة على سطح



البحرية الأميري البحريني

ـوش والأساطيل في الخليج

أحدث فرقاطة تنضم لأسطول البحرين

إعداد : الوثيقة



في التاسع من يوليو عام ١٩٩٧ وصلت إلى البحرين أحدث فرقاطة في السلاح البحري الأميري كمنظومة قتالية كاملة تم بناؤها على أحدث معطيات التكنولوجيا الحربية بالولايات المتحدة الأمريكية . . وطوال عامين ونصف العام تم تدريب أفراد الطاقم البحريني الذي سافر إلى هناك على قيادة واستخدام وصيانة الفرقاطة التي تعد قلعة عسكرية عائمة بنظام حديث لمطاردة وقتال الغواصات ونظام للدفاع الجوي ومنظومة للصواريخ سطح - سطح وغيرها من الأسلحة الحديثة والمتطورة التي تعتبر إضافة عظيمة وفعالة تنضم للسلاح البحري الأميري لتكون مع غيرها من الأسلحة والدروع في قوة دفاع البحرين درعاً جديداً تحمي تراب الوطن وتذود عن حرماته .

الضخمة، وصلت لصاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العـهد القائد العام برقية صاحب السمو الشيخ خليفة بن سـلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر يقول فيها:

"إنه لمن دواعي عميق سرورنا في مناسبة انضمـام الفرقاطة "صبحا" إلى سلاح البحرية الأميري أن نهنئكم ونهنئ أنفسنا بهذا الإنجاز الطيب الذي يجيء ليضيف دعماً كبيراً لسلاح البحرية بصفة خاصة وتعزيزاً لقوة دفاع البحرين بشكل عام، وذلك في إطار خطط مواصلة تحديث وتطوير قوة الدفاع. وإننا وقد عايشنا بكل الغبطة والسعادة هذه اللحظات المباركة لانضمام الفرقاطة "صبحا" لسلاح البحرية، لنود اغتنام هذه المناسبة لنعبر لكم عن بالغ اعتزازنا بما تولون بذله من جهود لتطوير قوة الدفاع في الرجال والعتاد ورفع كفاءة منتسبيها عسكرياً وتنمية قدراتـهم على استيعاب التكنولوجيا العسكرية الحديثة، حتى أصبحت قوة دفاع البحرين بحق، الحصن الأمين والدرع الواقي لحماية الوطن والذود عن ترابه المقدس.

ندعو المولى عز وجل أن يحفظكم ويسدد خطاكم في كل ما تسعون إليه من خير



◆ بالورود والرياحين. والمشاعر الفياضة بالاعتزاز والحب والفرح ا

وتقدم ونماء لبلدنا العزيز في ظل القيادة الحكيمة لحضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"

وقد أناب صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد القائد العام الفريق الركن الشيخ خليفة بن أحمد آل خليفة وزير الدفاع نائب القائد العام لحضور الاحتفال الكبير الذي جرى بميناء سلمان بمناسبة وصول الفرقاطة. وحضر الاحتفال سمو العميد الركن الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة رئيس الحرس الوطني، واللواء الركن الشيخ عبد الله بن سلمان آل خليفة رئيس هيئة الأركان، وسمو الشيخ سلمان بن حمد بن عيسى آل خليفة رئيس مجلس أمناء مركز البحرين للدراسات والبحوث وكيل وزارة الدفاع، والشيخ خالد بن أحمد آل خليفة رئيس ديوان سمو ولي العهد.

كما شارك في استقبال الفرقاطة الفرقة الموسيقية لقوة الدفاع وعدد من الفرق الشعبية والأندية الوطنية وأهالي وأصدقاء وأبناء طاقم الفرقاطة الذين قدموا لهم التهاني بسلامة العودة إلى الوطن وسط الأغاني الشعبية والفلكلورية. وقد أشاد وزير الدفاع نائب القائد العام بالنتائج المشرفة التي حققها طاقم الفرقاطة خلال فترة تدريبهم في



. استقبلت جماهير الشعب الفرقاطة "صبحا"

الولايات المتحدة الأمريكية على هذه المنظومة المتقدمة مؤكداً أن ذلك جاء بفضل العزيمة الصادقة والعمل المخلص الدءوب من أبناء الوطن الشرفاء الذين لا يألون جهدا في سبيل خدمة هذا الوطن العزيز . موضحاً أن دخول هذه الفرقاطة في الخدمة بسلاح البحرية الأميري البحريني وما تحويه من تقنية عالية وتكنولوجيا متطورة وأسلحة ومعدات حديثة سوف يسهم إن شاء الله في زيادة قدراته وفعاليته ليكون عند أعلى درجات الاستعداد والجاهزية القتالية للذود عن حياض وطننا العزيز، وصون مكتسباته ومنجزاته الحضارية لتبقى راية البحرين عالية خفاقة دائماً بإذنه تعالى .

وقد بدأ الاحتفال بعزف السلام الأميري ثم قام وزير الدفاع نائب القائد العام بتفقد حرس الشرف الذي اصطف لتحيته، بعد ذلك قامت المجموعة البحرية الخاصة، وقوارب الإسناد بتقديم عروض خاصة بهذه المناسبة .

بعدها بدأت مراسم رسوّ الفرقاطة "صبحا" على رصيف ميناء سلمان تتقدمها الطائرات العمودية التابعة لسلاح الجو الأميري البحريني وسفن سلاح البحرية الأميري البحريني .

ثم تشرف قائد وعدد من ضباط الفرقاطة بالسلام على وزير الدفاع نائب القائد العام .

وبعد تلاوة آيات عطرة من الذكر الحكيم، ألقى قائد سلاح البحرية الأميري المقدم البحري يوسف مال الله كلمة قال فيها : "إنه يوم عظيم حقا علينا أن نفتخر ونحتفل فيه بمناسبة عزيزة على قلوبنا جميعاً نحن منتسبي سلاح البحرية الأميري البحريني في هذا اليوم التاريخي احتفالاً بوصول سفينة البحرين "صبحا" إلى أرض الوطن العزيز بحفظ الله ورعايته وهذا ما عودتمونا عليه من مشاركتكم الدائمة والمستمرة لنا في جميع فعاليات تطوير سلاح البحرية الأميري . وإنني أنتهز هذه المناسبة العزيزة لأرفع إلى مقام حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المفدى قائدنا الأعلى وإلى مقام صاحب السمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر، وإلى مقام صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين وإلى معاليكم بأخلص التهاني وعظيم التبريكات على انضمام سفينة دولة

البحرين القلعة "صبحا" كما لا يفوتني أن أهنئ جميع منسوبي قوتنا الفنية بهذه المناسبة العزيزة على قلوبنا جميعاً .

إنها فترة قصيرة في عمر الزمن أن يصل سلاح البحرية الأميري البحريني منذ بدء تشكيله في عام ١٩٨٠م إلى ما وصل إليه اليوم بفضل من الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل متابعتكم وحرصكم الدائم على رقي سلاحنا البحري . . وعلى الرغم من صغر حجم الرقعة الجغرافية لدولتنا الحبيبة إلا أن سمعتها الطيبة وبهمة رجالها وصلت إلى ما كنا نصبو إليه . وذلك حال إخوانكم وأبنائكم منتسبي هذا السلاح ذوي العزيمة والإصرار على تحمل المسئولية للارتقاء بسلاحنا البحري إلى الأحسن والأفضل والوصول إلى المستوى الجيد المرموق الذي يمكنه من القيام بواجباته المناطة إليه يحدونا الأمل في مواصلة بناء السد البحري المنيع الذي سيقف دوماً إن شاء الله في وجه من تسول له نفسه المساس بعزة وكرامة وأمن هذا الوطن الغالي .

إن أبناء هذا الوطن الغالي قد أثبتوا قدرتهم وكفاءتهم في جميع المجالات . وأن خير مثال على ذلك هؤلاء الرجال الذين لبوا نداء وطنهم وقوتهم بأن يكونوا طاقماً للفرقاطة "صبحا" حيث استغرق تدريبهم في الولايات المتحدة الأمريكية ما يزيد على العامين والنصف ليكونوا على أتم الاستعداد لاستلام السفينة وبذلك يكون أول طاقم بحريني يعبر المحيط الأطلسي تحت راية بلدنا العزيز فقد أعطوا أروع الأمثال في تمثيل بلادهم خلال فترة التدريب بشهادة من تعامل معهم طيلة فترة تدريبهم وهذا ليس بغريب على أبناء هذا الوطن فقد كانوا ولازالوا يبذلون الغالي والعزيز في سبيل رفعة وكرامة هذا البلد ولا يسعني في هذا المجال إلا أن أحيي فيهم هذه الروح العالية التي تميزوا بها ضباطاً وضباط صف وأفراداً طيلة فترة تواجدهم في الولايات المتحدة الأمريكية وأثناء رحلة عودتهم إلى بلدهم العزيز فهنيئاً لكم يا سيدي هذه الصفوة من الشباب وهنيئاً لنا انتماؤهم لسلاح البحرية متمنياً من الله العلي القدير أن يمدهم بعون من عنده ليواصلوا العطاء والتدريب والصبر على العمل والتضحية لبناء مستقبل هذا السلاح ويمضوا بكل قوة وحماس تواكب عصر التقنية الحديثة ويسيروا في ركب التطور يحدوهم الأمل الصادق والإيمان القوي الذي لا يتزعزع بأن الغد لهم بإذن الله .

كما أن هذا الإنجاز الكبير الذي تحقق في فترة قصيرة قياساً بحجم المشروع ليدعو للفخر والاعتزاز بالنتائج التي تحققت فمنذ ابتداء هذا المشروع فعلياً عندما أرسل فريق يمثل قوة دفاع البحرين إلى الولايات المتحدة الأمريكية لمعاينة السفينة وكان ذلك في أغسطس عام ١٩٩٤م والعمل يجري على قدم وساق وها نحن بعد ٣ سنوات فقط نرى في هذا اليوم التاريخي سفينة دولة البحرين "صبحا" أمامنا الآن وأنه لحلم كبير قد تحقق لنا في فترة قصيرة جداً حيث أن هذا النوع من المشاريع قد يستغرق ضعف الوقت الذي أنجز فيه إن لم يكن أكثر ويجب لنا هنا يا سيدي أن نشيد بمن كان لهم الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في ظهور الإنجاز إلى أرض الواقع وأن نتقدم لهم بالشكر الجزيل على ما قاموا به في سبيل إنجاز هذا الصرح الكبير وأخص بالشكر القوات البحرية الأمريكية والأدميرال توماس فارغو قائد القوات البحرية الأمريكية ومكتب (NAVY IPO)، بواشنطون والأدميرال دوجلاس كاتز الذين بتكاتف جهودهم أعطوا دفعة قوية للإسراع في تنفيذ المشروع في فترة قياسية . كما لا يفوتني أن أنوه بالجهد الكبير الذي بذل من قِبَل جميع المسئولين بالقيادة العامة بقيادة معاليكم على الجهود الكبيرة التي بذلت من أجل إنجاح هذا المشروع كما لا أنسى قائد وطاقم السفينة "صبحا" الذين كان لهم الدور الرئيسي والفعال في اكتمال هذا المشروع، فلهؤلاء نتقدم بالتحية والشكر الجزيل على ما بذلوه في تذليل جميع العقبات صغيرة كانت أم كبيرة منذ بداية المشروع وحتى اكتماله اليوم . كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى إدارة الموانئ على التعاون والتسهيلات اللامحدودة التي لاقيناها من قِبَلهم للتحضير لاستقبال الفرقاطة .

ونحن إذ نحتفل في يومنا هذا بهذه القفزة الكبيرة في حجم سلاح البحرية فإنه يكبر فينا الأمل وتزداد التطلعات والطموحات في تحقيق المزيد من المنجزات التي نصبو إليها جميعا بروح المسئولية تجاه سلاحنا وأن نتعامل مع تكنولوجيا الأسلحة الحديثة والتعايش معها بروح العصر في عالم تحكم جيوشه اليوم نظرية الكيف قبل الكم، والنوع قبل العدد . كما نعاهد الله سبحانه وتعالى ونعاهدكم يا سيدي بأن نكون الجنود الأوفياء وأن نستمد من هذه المناسبات العزيزة الزاد لإحياء الهمم وبعث الطاقات الكامنة لإطلاق كل الجهود نحو آفاق المستقبل . كما أتقدم لكم يا سيدي بجزيل الشكر

والامتنان على رعايتكم الكريمة باحتفالنا هذا ودمتم لهذا البلد الغالي سالمين غانمين بإذن الله ."

ثم ألقى المقدم ركن بحري صقر حمد المعاودة قائد الفرقاطة كلمة قال فيها : "إنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن أقف اليوم أمامكم بعد أن وفقنا الله سبحانه وتعالى في مهمتنا الوطنية التي أسندت إلينا وذلك بفضل تمسكنا وطاقم الفرقاطة "صبحا" بتعاليم ديننا الإسلامي الحنيف والعزيمة الصادقة والإخلاص في العمل والولاء والطاعة لقيادتنا الرشيدة وحبنا العظيم لتراب وطننا البحرين لنضيف إنجازاً جديداً لرصيد إنجازات قوة دفاع البحرين خلال مسيرتها المباركة .

لقد كان للاهتمام الكبير الذي خصنا به حضرة صاحب السمو ولي العهد القائد العام واهتمامكم شخصياً ورعايتكم الدائمة وجميع المسئولين بالقيادة العامة لقوة الدفاع أثناء تواجدنا في الولايات المتحدة الأمريكية للتدريب على هذه المنظومة المتقدمة، أكبر الأثر في نفوسنا جميعاً ضباطاً وأفراداً، كما أنها كانت المعين والحافز الذي يدفعنا نحو بذل المزيد من الجهد والعمل في سبيل الارتقاء بمستوانا التدريبي لقيادة هذه الفرقاطة واستخدام الأسلحة والمعدات والأجهزة المتطورة عليها بكل كفاءة واقتدار .

إن انضمام الفرقاطة إلى سلاح البحرية الأميري البحريني يشكل إضافة كبرى ونقلة نوعية في تاريخ هذا السلاح الحيوي، كما أنها سوف تسهم كثيراً في دعم وتعزيز سلاحنا البحري وزيادة فاعلية قدراته، للحفاظ على أمن واستقرار وطننا العزيز وذلك لما تملكه هذه المنظومة المتقدمة من تكنولوجيا حديثة وتقنية عالية ومتطورة والمتمثلة في أسلحة حرب الغواصات وأنظمة الدفاع الجوي وصواريخ سطح/سطح، إضافة إلى مقدرتها على العمل في أعالي البحار والمحيطات الأمر الذي يمكنها من التعامل مع الأهداف المعادية خارج نطاق مياهنا الإقليمية وبمسافة كبيرة .

لقد بدا مشروع الفرقاطة "صبحا" في عام ١٩٩٤م وذلك بعد أن تعاقدت حكومتنا الرشيدة مع الحكومة الأمريكية على تزويدها بفرقاطة لدعم وتعزيز القدرات القتالية لسلاح البحرية الأميري البحريني .

وقد تم هذا المشروع على عدة مراحل وعلى النحو التالي :

المرحلة الأولى

تم العمل على إعداد الطاقم المختار لقيادة وتشغيل وصيانة الفرقاطة في مدارس سلاح البحرية الأميري البحريني، بعدها تم ابتعاثهم لمدة سنة ونصف إلى معاهد ومدارس البحرية الأمريكية للتخصص في مجالي الميكانيكا والأليكترونيات .

المرحلة الثانية

تم تدريب الطاقم البحريني مع طاقم الفرقاطة الأمريكي على كيفية تشغيل هذه المنظومة وأسلوب الصيانة الخاص بها وذلك تمهيداً لتسلمها، حتى جاء اليوم الكبير المنتظر الذي تفضل فيه سمو الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة وكيل وزارة الدفاع، فشمل برعايته الكريمة حفل التدشين بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٩٦م .

المرحلة الثالثة

تمت فترة الصيانة للفرقاطة وتطوير القدرة القتالية لجميع الأجهزة والمعدات الخاصة بها في ولاية المسيسبي حيث استغرقت هذه العملية خمسة أشهر .

المرحلة الرابعة

تم الانتقال في هذه المرحلة إلى قاعدة (MAYPORT) بولاية فلوريدا حيث تم تدريب الطاقم على العمل كفريق مقاتل على جميع الأجهزة والمعدات على ظهر الفرقاطة .

المرحلة الخامسة

فقد كان لابد من القيام بتمارين تعبوية لقياس القدرة والكفاءة التي وصل إليها الطاقم وعليه تم تنفيذ تمرين تعبوي في البحر الكاريبي جرى خلاله تجربة كافة الأجهزة والمعدات على ظهر الفرقاطة . كما تم القيام بعمليات ناجحة لإطلاق صواريخ أرض/جو وكافة أسلحة السفينة .

المرحلة السادسة

بدأت رحلة الإبحار من ولاية ساوث كارولينا في ١٢ مايو الماضي إلى بلدنا العزيز البحرين مروراً بالعديد من الدول الأجنبية والعربية حيث قطعت الفرقاطة (١١,١٢٠) ميلاً بحرياً خلال ٥٥ يوماً .

ولقد كان لنتائج هذه المراحل الأثر الكبير في صقل طاقم الفرقاطة واكتساب الخبرة في شتى المجالات العسكرية والملاحية والثقافية .

إننا نعاهد الله ونعاهدكم أن يكون الحفاظ على سلامة الوطن أقدس واجباتنا وأن نذود عن حياضه بكل عزم وبذل وعطاء كما يسرني أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى كل من ساهم في إنجاح هذا المشروع الحيوي وأخص بالذكر القيادة العامة لقوة دفاع البحرين، والبحرية الأمريكية متمثلة في كل من US ATLANTIC FLEET, NAVSEA, NATSAFA & FIFTH FLEET على ما بذلوه من جهد وإسناد وحسن ضيافة خلال تواجدنا في الولايات المتحدة الأمريكية ."

...

ثم قام وزير الدفاع الفريق الركن الشيخ خليفة بن أحمد آل خليفة بتقليد عدد من ضباط الفرقاطة وسام البحرين من الدرجة الثالثة والرابعة وأنواط الكفاءة لضباط صف وأفراد الفرقاطة .

رفع العلم

بعدها تم رفع علم صاحب السمو القائد العام على الفرقاطة "صبحا" ثم قام الوزير مع كبار الحضور بجولة تفقدية داخل الفرقاطة شملت مختلف أقسامها حيث استمع إلى إيجاز مفصل عنها وما تحتويه من تكنولوجيا متقدمة وأسلحة ومعدات حديثة ومتطورة . كما قدمت لوزير الدفاع نائب القائد العام هدية تذكارية بهذه المناسبة من قائد وطاقم الفرقاطة "صبحا" .

الجهاد البحرى

ضد الغـ

بقلم :

د. علي أباحسين / البحرين

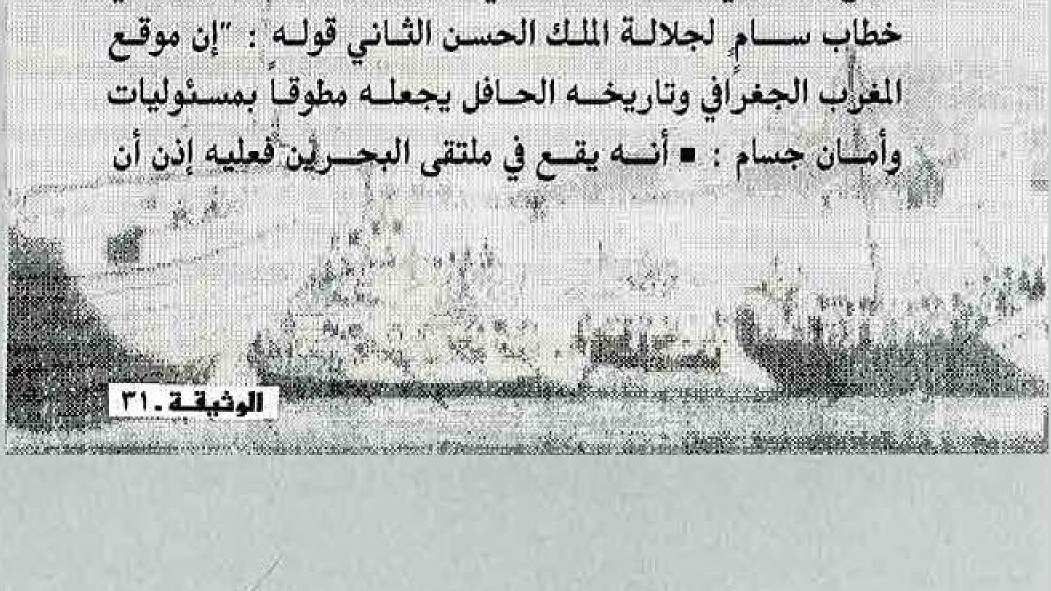


العربي الإسلامي

ـزاة البرتغاليين

لقد فرض الله تعالى الجهاد على المسلمين (فرض كفاية) إذا قام فيه من فيه الكفاية سقط عن الباقين ولكنه (فرض عين) ضد الغاصبين من الكفار الذين يبطشون بالمسلمين ويمنعون الحجاج من أداء فريضتهم ويقتلونهم ويحرقون سفنهم[1] .

لقد جاهد المشرق والمغرب العربي عبر التاريخ في البر والبحر ضد الأجانب حيث تعرض للبرتغاليين والأسبان والفرنسيين كما تعرض المشرق للبرتغاليين والإنجليز بحكم الموقع الجغرافي لديار المسلمين في المشرق والمغرب وقد ورد في خطاب سام لجلالة الملك الحسن الثاني قوله : "إن موقع المغرب الجغرافي وتاريخه الحافل يجعله مطوقاً بمسئوليات وأمان جسام : ▪ أنه يقع في ملتقى البحرين فعليه إذن أن



يفكر في السياسة الأطلسية وسياسة البحر المتوسط ■ إن المغرب جاء قريباً من أوروبا فعليه أن يفكر في سياسته بالنسبة للقارة الأفريقية ■ وأن المغرب بلد عربي فعليه أن يفكر في سياسته تجاه العرب ■ وأخيراً أن المغرب دولة إسلامية وعليه أن يفكر في سياسته تجاه الدول الإسلامية"[٢].

وبحثنا حول (**الجهاد ضد الغزاة البرتغاليين**) وقد اشترك فيه سكان الخليج العربي والبحر الأحمر والمغرب العربي وكذا المماليك والعثمانيون ومسلمو الهند، وسوف نلقي الضوء على أهم سبب لمجيء البرتغاليين للمشرق والمغرب العربي بصورة خاصة ألا وهو (السبب الديني) لنشر الكاثوليكية ومحاربة الإسلام والمسلمين في كل مكان ونرانا نعتمد على (مصادر برتغالية وهندية وأوروبية) ومنها :

■ ما أورده الشيخ (**أحمد زين الدين المعبري المليباري**) في كتابه (تحفة المجاهدين) وقد عاصر أحداث الغزو البرتغالي وما رافقه من مآس ضد المسلمين وكتب عنها كعالم وفقيه ومؤلف كتب في الفتاوى والتصوف والفقه ثم دوّن تاريخ فترة عاصرها بجرأة كاتب استعرض مواقف الغزاة البرتغاليين الذين أذاقوا المسلمين الويلات والمصائب وأجبروهم أحياناً على اعتناق النصرانية فهو شاهد عيان عاصر ظلم البرتغاليين واستخفافهم بمقدسات مسلمي (مليبار) وضربهم ونهب أموالهم وإحراق مراكبهم ومساجدهم ومصاحفهم وتعطيل أسفارهم، خصوصاً سفر الحجاج[٣]. وتحريضهم على قبول قول الردة والسجود لصليبهم وتزيين نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة لتفتن نسوان المسلمين وقتل الحجاج وسوم المسلمين العذاب وسب رسول الله ﷺ جهاراً وتقييد الأسارى بالقيود الثقيلة وترديدهم بالسوق لبيعهم كما يباع العبيد وتعذيبهم حينئذ بشتى أنواع العذاب وجمعهم في بيت مظلم منتن مخطر وضربهم بالنعل إذا استنجوا بالماء وتعذيبهم بالنار والأعمال الشاقة بلا شفقة وسبي النساء

الأصيلات والتسري بهن حتى حصل لهم منهن أولاد نصارى لكي يؤذون المسلمين وتعذيب وقتل العلماء . والخلاصة فإن بغيتهم تغيير دين المسلمين وإدخالهم في النصرانية . وختم المعبري، وهو يصف الحوادث وصْفَ شاهد عيان، بالآية الكريمة : ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[٤] .

■ وقطب الدين محمد بن أحمد النهروالي كتب كتابه الموسوم (البرق اليماني) وهو معاصر للغزاة البرتغاليين عاش من (٩١٣ - ٩٩٠هـ /١٥٠٧ - ١٥٥٢م) قال : وقع في أول القرن العاشر الهجري من الحوادث الفواجع دخول البرتغال اللعين من طائفة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند وإفناء السلاطين العرب في شرق أفريقيا وفي الهند وأندونيسيا ووضعت هذه السنون لبئة الاستعباد الاستعماري لشعوب جنوب آسيا .

■ وجاء (ألفونسو دي البوكيرك) البرتغالي لينشئ دولة بحرية برتغالية في المحيط الهندي وفي الشاطئ الغربي للهند وأصبحت (جوا) مستعمرة برتغالية ١٥٠٧م وأخذ يحتجز الحجاج المسلمين فلا يطلق سراحهم إلا بفدية ويسبي النساء ويبيع الرجال كالعبيد ثم يحرق السفن وإن لم يستطع يحرق السفن بمن فيها[٥] . وكان هم (البوكيرك) هو القتل وتدمير المسلمين عامة والعرب خاصة بروح وحشية وقد كتب لمليكه بعد أن احتل (كوا) : أنه وضع السيف على رقبة كل عربي حيثما أمكنه العثور عليه . وقد ملأ بهم المساجد وأضرِمَت بهم النار[٦] ومات (ألفونسو دي البوكيرك) في ١٥ ديسمبر ١٥١٥م وبموته انتهت حياة أسوأ مستعمر شرس عدو الإسلام وقد خطب أمام جنوده يحثهم على احتلال (ملقا) بقوله : إن الخدمة الجليلة التي سنقدمها للعرب بطردنا العرب من هذه البلاد وبإطفائنا شعلة شيعة محمد بحيث لا يندلع لها هنا بعد ذلك لهب، ثم قال : لو انتزعنا تجارة ملقا هذه من أيدي المسلمين لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثراً بعد عين[٧] وحاول خلفاء البوكيرك إنشاء علاقات دبلوماسية مع الحبشة للقضاء على المسلمين في مياه البحر الأحمر والوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز إلا أن ظهور العثمانيين في عهد (سليمان القانوني) وبالتعاون مع (المماليك)

وخشية الأحباش الأرثوذكس من أهداف البرتغاليين الكاثوليك وبمساعدة (السامري) ملك مليبار في الهند أدى إلى اندحار البرتغاليين في البحر الأحمر. وأخيراً جاء في مقدمة كتاب (تعليقات البوكيرك دي فونسو) قوله : لقد كانت سياسة (البوكيرك) مبنية على تدمير كل مدينة وقلعة ودولة بعد الأخرى وإقامة محطات ومكاتب محصنة محلها وأهمل توطيد دعائم سلطته في المناطق الداخلية مما جعل هذه المحطات والمكاتب عرضة للمقاومة في وقت لاحق . وكان مصمماً على تحويل مجرى نهر النيل إلى البحر الأحمر كي يجعل مصر مجدبة . وأن ينقل عظام (مافوما) المكروه لنفسه وأن يحرقها علناً كي يذهل ويربك أتباعه فيكسب لنفسه شهرة أبدية . ولما قدِم نحو هرمز ودار القتال مع المسلمين من الساعة السابعة صباحاً حتى الثالثة عصراً قُتِل فيه عدد لا يحصى من المسلمين طارد البوكيرك من فر منهم وقتلهم جميعاً وأحرق قواربهم وقصف الساحل ورمى الناس بالحجارة والسهام[8] .

■ ومصدر فارسي بعنوان (**بيدايش وسقوط امبراطوري مستعمراتي برتقال درهند**) لمؤلفه (**أحمد فندرسكي**) كتبه باللغة الفارسية وأسهب في وصف مهاجمة البرتغاليين للمدن وتدميرها ووضع البوكيرك السيف على رقبة كل عربي ما أمكنه العثور عليه في أي مكان[9] .

■ و (**لادوار يهانسك**) (١٨١٩ - ١٨٩١م) نبذة تاريخية عن الهند البرتغالية وهو مستشرق مجري الأصل كان أستاذاً في كلية ويلسون في بومباي وسكن الهند منذ ١٨٤٧م حتى وفاته ذكر عن الروح الصليبية للبرتغاليين وقتلهم للمسلمين وإحراق مساجدهم وإضرامَ النار فيها .

■ أما المستشرق البرتغالي (**دافيد لويس**) الذي عاش من ١٨٦٧ - ١٩٤٢م فكان مهتماً بأمر الغزو البرتغالي للهند ونشر كتاب (تحفة المجاهدين) . . وترجمه إلى الأسبانية وطبعه في لشبونة المستشرق الإنجليزي (رولندسون) في مطبعة ليدن بهولنده عام ١٨٣٣م هذا الكتاب عاصر مؤلفه أحداث البرتغاليين في البحر الهندي وديار الهند، وشاهد ما فعلوه من كوارث ضد المسلمين[10] .

واستعان البرتغاليون بالجواسيس من تجار اليهود البرتغاليين فجمعوا لهم المعلومات عن بحار العرب والخرائط والمرشدات البحرية وجاءوا عبر مصر وامتطوا سفناً عربية نحو باب المندب فمضيق هرمز والهند وكان اليهود يتكلمون العربية مما سهل عليهم الوصول إلى أهدافهم ليقدموا للبرتغاليين المعارف التي يجهلونها عن الشرق العربي ولقد حدث ذلك قبيل الاستكشافات البرتغالية ببضع سنين فاندفع (فاسكو دا جاما) في عام ١٤٩٨م/٩٠٤هـ يدفعه حرصه على نشر النصرانية في الأراضي الإسلامية وكان فرسان (يوحنا) وهم البرتغاليون يسيطرون على جزيرة رودس ويشنون منها الهجمات المتوالية على الموانئ الإسلامية واستمرت القرصنة على السفن العربية وكانوا يعدون ذلك ضرباً من الجهاد الديني وإن كان للبرتغاليين أهداف أخرى، وكان الهدف الصليبي هو القضاء على الوجود الإسلامي اقتصادياً وسياسياً ودينياً بدافع الروح الصليبية التي أدت إلى سقوط غرناطة وقرطبة وسائر مدن الأندلس . وبارك البابا تلك الأهداف لنشر النصرانية وكان من نتائج ذلك تأسيس امبراطورية برتغالية استعمارية قامت بأفظع الوسائل ضد المسلمين في الخليج العربي والبحر الأحمر وقطعت طرق التجارة العربية عنها وحولتها نحو رأس الرجاء الصالح إلى أوروبا الغربية فعاش العرب ردحاً من الزمن في تدهور اقتصادي وتأخر اجتماعي وثقافي بينما بدأت تباشير عصر النهضة الأوروبية في البزوغ فزادت الثروة وعم الرخاء الاقتصادي في أوروبا عامة والبرتغال بصورة خاصة التي حملت مشعل (التنصير) في كل رقعة وصلت إليها سفنهم .

وبعد أن رست سفن (فاسكو دا جاما) في عام ١٤٩٨م/٩٠٤هـ في مياه كاليكوت ورغم أن ملك (مليبار) أحسن وفادته وحمله رسالة ودية إلى مليكه في البرتغال إلا أن جوابه هو مطالبته بمستعمرة لتجارته في الهند ونشر دينه . وثبّت البرتغاليون أقدامهم في (كاليكوت) ١٤٩٩م(١١) .

وعاد إلى (المليبار) ثانية في ١٥٠٢م ووصل إلى (كاليكوت) وأطلق عليها القنابل وبطش بأهلها ثم سار من كاليكوت إلى كوشين(١٢)، ثم إلى بندر (كشي) وبنوا فيه قلعة وهي أول قلعة بنوها في الهند وهدموا مسجداً كان على

ساحل البحر وحولوه إلى بيعة، وحدثت معركة بحرية بين المسلمين والبرتغاليين في كشي استشهد فيها كثير من المسلمين وحاول (السامري) ومن معه من أهل البلاد الآخرين منع البرتغاليين من دخول ميناء (كشي) فلم يُصَب المسلمون بشيء حتى ضعُف السامري لطول محاربته لهم وراسل سلاطين المسلمين وقتئذ طلباً للإعانة فلم ينفعوا إلا السلطان (محمود شاه) والد (مظفر شاه وعادل شاه) فهيأوا السفن والغربان ولكنهم لم يُوفَّقوا . أما سلطان مصر (قانصوه الغوري) فقد أرسل الأمير (حسين الخادم) مع بعض العساكر في ثلاث عشرة غراباً (سفينة) ومعه ملك أياس نائب (ديو) بغربانه فلقي بعض مراكب الفرنج فكان النصر للمسلمين عام ١٥٠٨م وغنم غراباً كبيراً للفرنج ورجع بما معه من الغربان إلى (ديو) ففاجأه الفرنج في نحو عشرين مركباً ولم يكن قد استعد لهم ولا المليباريون وكانوا يلاحقون غربان الأمير حسين بصورة خاصة فأخذوا بعض غربانه وطاح البواقي وعاد البرتغاليون منتصرين إلى كشي بينما رجع الأمير (حسين) إلى مصر فأخذت الغوري الغيرة فأرسل نحو اثنين وعشرين غراباً كبيراً وجعل عليها أميراً هو (سلمان الرومي)مع الأمير (حسين) فوصلا بالغربان إلى جدة ثم قمران بينما اتجه سلمان إلى بندر عدن ثم رجع إلى جدة فالتحم بحرب مع الأمير (حسين) وقتل (الغوري) على يد الشريف (بركات) ووقعت مملكته في قبضة السلطان (سليم شاه) .

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة خمس عشرة وتسعمائة هجرية الموافق للخامس من يناير ١٥١٠م نزل البرتغاليون في (كاليكوت) محاربين وأحرقوا المسجد الجامع الذي عمره النوخوذا (مثقال) ودخلوا بيت (السامري) الذي كان خارج البلاد وأحرقوه ودافع أهل البلاد وقتلوا كثيراً من الفرنج وغرق من غرق منهم وعاد الباقون خائبين . إلا أنهم قد نزلوا في (فنان) وأحرقوا نحو خمسين من المراكب في ساحلها واستشهد نحو سبعين رجلا كما نزلوا (عدن) إلا أنهم انخذلوا، وولوا مهزومين وكان ذلك في أيام الأمير (مرجان) وصالحوا حاكم (كولم) وبنوا فيها قلعة[١٣] .

■ وكتب المؤلف الهندي (أرون بتاشارجي) في كتابه (**تاريخ الهند**) أن البرتغاليين حيث اتجهوا للاستكشافات

لم يكن هدفهم التجارة بل مارسوا القرصنة وتدخلوا في سياسة الشعوب ودبروا المؤامرات ضد الدول حين وجدوا أن إمبراطورية المغول في الهند أقوى منهم فتظاهروا بصداقتهم للإمبراطور (أكبر) وأبرم (كابرال) السفير البرتغالي اتفاقاً معه أكد بموجب الاتفاق الأمان للحجاج المسلمين وهم في طريقهم إلى مكة المكرمة، لكن البرتغاليين لم يكونوا صادقين في عهدهم فقد تآمروا مع حاكم (أسير كره) ضد الإمبراطور (أكبر) بينما تظاهروا بالصداقة مع المغول، كما حاولوا أن يرتد الإمبراطور (أكبر) عن إسلامه ويعتنق النصرانية في عام ١٥٨٠م ولكنهم فشلوا(١٤).

وأكد كثير من الكتاب أن هدف البرتغاليين عدا الحصول على طريق الهند وتوابلها هو التوسع بروح صليبية وإحراق سفن المسلمين في كل البحار التي أبحروا فيها وأسسوا الأديرة والكنائس وتحقيقاً لأهدافهم الصليبية فقد اتجهوا لاحتلال الأماكن المقدسة للمسلمين(١٥).

ومضت (الدولة العثمانية) في تحطيم قوة البرتغاليين في البحار الشرقية فأرسلت أسطولها إلى مسقط وحاصرت هرمز واتصلت بعمان والبحرين والإحساء ولكنها فشلت في إزالة الوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية حتى تخلت بعد عام ١٥٥٤م عن سياستها في محاربتهم في المحيط الهندي والخليج العربي واتجهت نحو البحر الأحمر وأصدرت مرسوماً يحرم على السفن غير الإسلامية الإبحار فيه.

وجدير بالذكر فإن العثمانيين لم يظهر لهم كيان سياسي وعسكري في الخليج العربي والبحر الأحمر حتى عام ١٥١٧م حيث انتصر السلطان (سليم الأول) على الشاه (إسماعيل الصفوي) كما هزم السلطان (الغوري) في مصر ودخل القاهرة ١٥١٧م ثم دخل الحجاز سلماً وكان البرتغاليون قد تمكنوا وقتئذ من دخول هرمز بوابة الخليج العربي وتفوقوا على العثمانيين بسلاحهم البحري وبدأ التصدي للبرتغاليين في اليمن واستولوا عليها في عهد السلطان (سليمان القانوني) ١٥٣٨م وأغلقوا البحر الأحمر في وجه البرتغاليين(١٦).

وحدثت معركة (وادي المخازن) تلك التي خطط لها البرتغاليون لاحتلال المغرب بمساعدة (محمد المتوكل) الذي استنجد بهم وقد اشتركت مع القوات

المغربية قوات عثمانية وفي يوم الاثنين الثلاثين من جمادى الأولى عام ٩٨٦هـ الموافق للرابع من أغسطس ١٥٧٨م كان اندحار البرتغاليين ومقتل ملكهم (دون سبستيان) كما قتل (محمد المتوكل) الذي استنجد به وفتحت هذه المعركة باب التعاون بين المغاربة والعثمانيين . وفي عهد السلطان مراد الثالث طلب عقد حلف عسكري ضد الأسبان وذلك في رجب ١٨/سبتمبر١٥٨٠م[١٧] . كما فتح باب التعاون بين سكان الخليج العربي والمغاربة فانتصر إمام مسقط على البرتغاليين وقال الشاعر عبد العزيز القشتالي يصف الواقعة التي جرت ٩٦١هـ/١٥٥٣م في منطقة الخليج ويهنئ العاهل المغربي أحمد المنصور الذهبي مشيراً إلى الربط بين مصير الجهتين :

فكم هنأت أرض العراق بك العلا
ووافت بك البشرى لأرض عمان[١٨]

■ وذكر (جهانكير قائمقامي) وهو مؤرخ فارسي أن ألفونسو البوكيرك كتب في ١٥٠٧م إلى الشاه إسماعيل الصفوي إذا أراد الشاه غزو مكة فإنني - والقول لألبوكيرك - أدخل إلى البحر الأحمر وأهاجم (جدة) وإذا أراد أن يدخل الجزيرة العربية سأقود الأسطول الملكي بنفسي وأغزو (عدن) وساحل الجزيرة العربية والبحرين والقطيف والبصرة وأخبرك بأنني سألاقيك في الخليج في محل ما وأساعدك في قتال أعدائك وإذا أردت أن تأتي إلى (كجرات) التي يملكها حاكم (كامباي) سأهاجم موانيها لأن جميع قواته مركزه فيها وبذا يحكم الشيخ إسماعيل الصفوي البلاد بسرعة وما على الشاه إلا أن يرسل سفيراً له إلى بلاط ملك البرتغال مطالباً إياه الصداقة والمساعدة في قتال أعدائه . هكذا تفتقر السياسة البرتغالية إلى النضج والتأمل والمبادئ الإنسانية كما كان تنفيذ خططهم سيئاً إذ كانوا ظالمين ومتكبرين وكانت تصرفاتهم حتى التجارية سيئة للغاية[١٩] .

وذكر أن بعض رسل أمام مسقط أرسلهم إلى جميع أقطار الخليج العربي من عمان حتى البصرة ليوضحوا لحكام هذه الأقطار أن الحياة لا يكون لها معنى إلا بطرد الأجنبي المستعمر (البرتغالي وقتئذ) . وقد جاءت إلى الكويت (القرين) هذه الرسل لنشر هذه المهمة وقال أن أحد الرسل أبحر إلى

القرين وهو اسم من أسماء الكويت (ليبلغ أهلها عن التخطيط في مقاطعة سفن البرتغال) ومن يقف على هذا الفصل يتبين له مسيس الحاجة إلى جميع الكتب التي تتحدث عن كيفية إجلاء البرتغاليين عن الخليج العربي . فإنك تجد في هذا الفصل حواراً يجريه المؤلف بين شخوص أعتقد أنها لم تكن من خيال المؤلف وإنما هي أسماء حقيقية إذ أنهم هم الذين قادوا طليعة الأسطول العربي التي حاربت السفن البرتغالية، وهي خمس سفن صنعت في الهند ودرب بحارتها على القتال البحري ويستشف من هذا الحوار أن هذه السفن قد أطلق على إحداها اسم (الجلندي بن المستكبر) أحد أئمة عمان لأنه أنقذ سقطره من عدوان الروم، وسميت السفينة الثانية جلفار (رأس الخيمة) لتذكير الناس بإحراق البرتغاليين لها، وسميت الثالثة (الرستاق) إحدى مدن عمان، والرابعة (شاهين) تذكيراً بتلك السفينة الرائدة في التحذير من خطر البرتغال، وأطلق على السفينة الخامسة اسم (مصر) لما كان للمصريين من مساهمة في طرد الأجنبي .

على أننا نجد في هذا الفصل أموراً تاريخية هامة تستدعي تحقيقاً دقيقاً من المهتمين بتاريخ هذه المنطقة، وأهم هذه الأمور قول المؤلف : أن أحد رسل الإمام العماني (ناصر بن مرشد) استطاع أن يجمع مبالغ وفيرة، بلغت خمسمائة ألف محمدية من قرين والبحرين وقطر وجلفار ودبي وليوا لتمويل الثورة، وقوله ص٨٤: إن الرسول استطاع أن يحصل على أربع سفن، إحداها كانت من القرين، وإذا ما رجعنا إلى ما قاله المؤرخون عن لفظة القرين أنها اسم جزيرة صغيرة تقع في الشويخ، أحد موانئ الكويت، فكيف أن جزيرة صغيرة كل ما لها من أهمية أن السفن ترسو عندها تتمكن من المساهمة بمبالغ مالية، وسفينة كبيرة لها أهميتها . هذه قصة تاريخية تعني بأن القرين مدينة يسكنها جمع غفير من الناس بخلاف ما يقوله عنها المؤرخون، والفترة التي يتحدث عنها المرحوم الأستاذ عبد الله الطائي مؤلف هذه القصة تقع في سنة ١٠٥٠هـ (الموافقة لسنة ١٦٤١م) كما أورد المؤلف اتفاقية برتغالية عمانية مجملها أن البرتغاليين

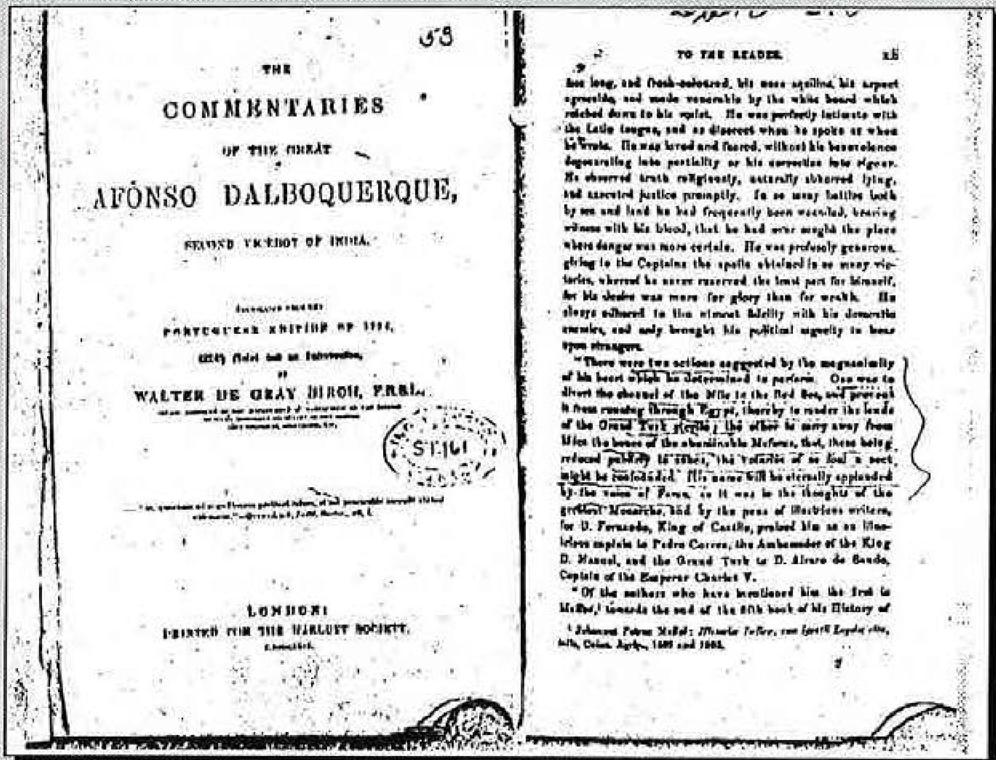
يؤدون الجزية لإمام عمان ويسلمون له المراكز الرئيسية ماعدا القلعة الرئيسية وقد وقّع البرتغاليون هذه الاتفاقية ليحصلوا على وقت كافٍ ريثما يأتيهم المدد من البرتغال[٢٠] .

■ وورد عن (إيجرتون) وهو قريب عهد للبرتغاليين قوله : لما قاتل حاكم البحرين (مقرن بن أجود بن زامل الجبري) البرتغاليين في ١٥٢١م وجرح بسهم توفى على أثر ذلك خلال ثلاثة أيام فما كان من البرتغاليين إلا أن قطعوا رأسه وأرسلوه إلى (جوا) هدية إلى الحاكم العام البرتغالي (ديوجو لوبيز سكويرا) ووقع القائد البرتغالي الذي دخل البحرين اسمه فيما بعد(أنطونيو كوريا باريم) أي أنطونيو كوريا البحريني . وأخذ البرتغاليون يغرقون السفن العربية التي تبحر بدون أن تدفع الرسوم ويدفع التاجر أيضاً مبلغاً مقابل ما يصطاده من المحار والصدف[٢١] .

■ وذكر (الدكتور صالح أوزبران) التركي أن (لويس منزيس) أخو والي الهند البرتغالي قام في عام ١٥٣٤م بالإغارة على خمس سفن للمسلمين وأحرق أربعاً منها ونهب مدينة سمر وقبض على من يراه من تجار المسلمين في البحر الأحمر لكن القوة العثمانية المتزايدة في البحر الأحمر لم تمكن البرتغاليين من السيطرة على الموقف في هذا البحر[٢٢] ومن هنا لابد أن نذكر التحالف بين الصفويين الفرس والبرتغاليين ضد العثمانيين والعرب والموالين لهم من المسلمين وهذا ما أكده وكتبه (ألفونسو دي البوكيرك) إلى شاه فارس في ٩١٥هـ/١٥٠٩م قوله : "إنني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك وإذا أردت أن تنتصر على بلاد العرب أو نهاجم (مكة) فستجدني بجانبك في البحر الأحمر إما في (جدة) أو في (عدن) أو في (البحرين) أو (القطيف) أو (البصرة) وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي "وسأنفذ له مايريد"[٢٣] . وفي يناير ١٥١٤م/٩٢٠هـ أرسل (البوكيرك) ابن عمه (بيرو) إلى جزيرة البحرين المشهورة بثروتها وقد زوده بأربع سفن فوصل إلى (رأس كاديفو) فأسر سفينتين فيهما حجاج مسلمين بينما اتجهت خمسون سفينة فلجأت إلى ميناء هرمز[٢٤] .

■ وكتب (تشارلز بلجريف) يقول : حين احتل البرتغاليون مسقط بعد قتال عنيف سقط فيه الكثير من سكان المدن الساحلية في عمان ورفضت مسقط الاستسلام فقصفتها مدفعية البحرية البرتغالية وأسرت كثيراً من المدافعين عن بلادهم وتعرضوا لمعاملة قاسية سواء كانوا رجالاً أم نساءً أو أطفالاً فقطع البرتغاليون أنوفهم وآذانهم ونهبوا المدينة بالكامل ثم أحرقوها مع السفن الراسية في مينائها ومن ثم تقدم الأسطول على الشاطئ وتعاملوا مع الناس فيها بنفس القساوة [٢٥] وحدثت المقاومة من الخليج فقد حدثتنا الوثائق العثمانية في عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م أن (توران شاه) حاكم هرمز قام بتنسيق المقاومة مع البحرين، ومسقط، وقريات، وصحار ضد البرتغاليين، وفي ليلة واحدة قامت جميع هذه المناطق بترتيب من توران شاه وعلى حين غرة بالهجوم على البرتغاليين براً وبحراً وحاصروا (دوم جرسيا كوتينهو) قائد قلعة هرمز البرتغالي ولكن لم يفلح الحصار . أما في البحرين فقد هاجم الأهالي القلعة وقبضوا على قائدها البرتغالي وشنقوه إلا أن وصول المدد للبرتغاليين أعاد السيطرة على الموقف[٢٦]. هكذا أدان التاريخ البرتغاليين حين كتب المؤرخون ما قاموا به من قتل وحرق وتدمير ليقيموا لهم امبراطورية استعمارية صليبية وقد استعرضنا طرفاً مما دوّنه معاصرون من البرتغاليين أنفسهم ومن أمم أخرى عن تلك الأحداث البشعة ضد العرب خاصة والمسلمين عامة من المغرب الأقصى إلى الخليج العربي وموانئ الهند وأفريقية ولكن جهاد المسلمين البحري ضد الغزاة البرتغاليين أدى إلى اندحار البرتغاليين من الخليج العربي والهند ومن المغرب إلى حيث لا رجعة .

د.علي أباحسين / البحرين



THE

COMMENTARIES

OF THE GREAT

AFONSO DALBOQUERQUE,

SECOND VICEROY OF INDIA.

TRANSLATED FROM THE

PORTUGUESE EDITION OF 1774,

WITH NOTES AND AN INTRODUCTION,

BY

WALTER DE GRAY BIRCH, F.R.S.L.

LONDON:

PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY.

TO THE READER. xli

his face long, and fresh-coloured, his nose aquiline, his aspect agreeable, and made venerable by the white beard which reached down to his waist. He was perfectly intimate with the Latin tongue, and as discreet when he spoke as when he wrote. He was loved and feared, without his benevolence degenerating into partiality or his correction into rigour. He observed truth religiously, naturally abhorred lying, and executed justice promptly. In so many battles both by sea and land he had frequently been wounded, bearing witness with his blood, that he had ever sought the place where danger was more certain. He was profusely generous, giving to the Captains the spoils obtained in so many victories, whereof he never reserved the least part for himself, for his desire was more for glory than for wealth. He always adhered to the utmost fidelity with his domestic enemies, and only brought his political sagacity to bear upon strangers.

"There were two actions suggested by the magnanimity of his heart which he determined to perform. One was to divert the channel of the Nile to the Red Sea, and prevent it from running through Egypt, thereby to render the lands of the Grand Turk sterile; the other to carry away from Mecca the bones of the abominable Mafamede, that, these being reduced publicly to ashes, the votaries of so foul a sect might be confounded. His name will be eternally applauded by the voice of Fame, as it was in the thoughts of the greatest Monarchs, and by the pens of illustrious writers, for D. Fernando, King of Castile, praised him as an illustrious captain to Pedro Correa, the Ambassador of the King D. Manuel, and the Grand Turk to D. Alvaro de Sande, Captain of the Emperor Charles V.

"Of the authors who have mentioned him the first is Maffei,¹ towards the end of the 8th book of his History of

¹ Johannes Petrus Maffei: Historiarum Indicarum, ... Colon. Agrip., 1589 and 1593.

مذكرات الفونسو د. البوكيرك

الهوامش

١ – الطريحي : ص ٢٠٥ .

٢ – التازي : د. عبد الهادي . التاريخ الدبلوماسي للمغرب ص ٢٦ .

٣ – المليباري : أحمد زين الدين المعبري، تحقيق محمد سعيد الطريحي ص ١٩ وص ٢١٧ ط ١ بيروت ١٩٨٥م .

٤ – المعبري ص ٢١٨ .

٥ – ن.م.س. ص١٥٨ و١٦٣ .

٦ – الطريحي ص ١٧٠ .

٧ – ك.م. بانيكار : السفير الهندي في كتابه آسيا والسيطرة الغربية . انظر الطريحي، تحفة المجاهدين ص ١٧٣ و١٧٤ .

٨ – تعليقات البوكيرك الفونسو . المقدمة ص ١٩ و٤١ و١١٨ و١١٩ (بالإنجليزية) .

٩ – ن.م.س. ص ١٧٠ و١٧١ .

١٠ – ن.م.س. ص٢٦ .

١١ – المليباري ص ٢٢ .

١٢ – ن.م.س. ص ٧٠ و٧١ .

١٣ – المعبري، تحفة المجاهدين ص ٢١٤ و٢١٧ .

١٤ – آرون بتاشارجي . تاريخ الهند . ص ٢٢٩ و٢٣٠، طبع دلهي، ١٩٨٦م (الطبعة الإنجليزية) .

١٥ – د. صلاح العقاد . التيارات السياسية في الخليج العربي . ص ١٤، طبع مصر ١٩٧٤م .

١٦ – د. عبد العزيز الشناوي . الصراع بين المسلمين والبرتغاليين في شرقي الجزيرة العربية ص ٣ .

١٧ – الدكتور عبد الهادي التازي، ص ٤٧ و٤٨ .

١٨ – الوثيقة، العدد ٤ – ص ٦٢ بقلم الدكتور عبد الهادي التازي .

١٩ - جهانكير قائمقامي . مسألة هرمز والعلاقات بين إيران والبرتغال ص ٢٢٠ . طبع طهران ١٩٧٤م وثيقة برتغالية رقم ٤٣ .

٢٠ - مقالة بقلم عبد الرزاق البصير في مجلة العربي بعددها ٢٧٧ الصادر في ديسمبر ١٩٨٦م عن قصة (الشراع الكبير) للأستاذ عبد الله محمد الطائي .

٢١ - المكتبة الوطنية بلندن . مخطوطات إيجرتون ١٦٤٦م ص ٨٨ - ٩١ . والطريحي ١٩ .

٢٢ - د. صالح أوزبران . الإمبراطورية العثمانية وطريق الهند . مجلة التاريخ . العدد ٣١ مارس ١٩٧٨م . طبع استنبول ص ٩٠ و١٣١ .

٢٣ - الوثيقة . العدد الأول . ص ١٢٠ يوليو ٨٢ .

٢٤ - لويس دي كاستنهيدا . تاريخ الاكتشافات والاحتلال البرتغالي للهند، الجزء ٣، ص ٨٠٢ و٨٠٣ (بالإنجليزية) .

٢٥ - تشارلز بلجريف . ساحل القرصنة ص ٦ و٧ طبع لندن ١٩٦٦م .

٢٦ - موغول محمد يعقوب . السياسة العثمانية في المحيط الهندي في عهد القانوني بين سنتي ١٥١٧ - ١٥٣٨م باللغة التركية، استنبول ١٩٧٤م . وانظر مجلة الوثيقة ١٥/ ص٦٨ يوليو ١٩٨٩م .

البحرين علاقاتها الإدار

بقلم :

د. توفيق سلطان اليزبكي



البحرين .. الموقع والتسمية

تحتل البحرين الركن الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب، وهي تمتد ما بين البصرة وعمان، فإن البصرة تحدها من جهة الشمال، وعمان[١] من الجنوب واليمامة من الغرب[٢]، ومياه الخليج العربي من جهة الشرق[٣] . وبهذا التحديد فإنها تضم الشقة الساحلية الممتدة على طول سيف الخليج العربي ما بين البصرة في الشمال الغربي إلى ما وراء واحة يبرين في الجنوب عند عمان، وما يتبع هذا الشريط الساحلي من جزر تقع أمامه، أما جوف البحرين أو عمقها الداخلي فيمتد حتى الدهناء التي يمكن عدها فاصلاً طبيعياً واضح المعالم بين البحرين واليمامة[٤] .

وقد كان لهذا الموقع أثر كبير في اختيار البحرين مركزاً لعديد من الحركات السياسية نازعت السلطة المركزية في العصرين الأموي والعباسي، فقد كانت حركة القرامطة التي ظهرت في القرن الثالث للهجرة واحدة من تلك الحركات التي عبرت عن نواياها السياسية والفكرية بأساليب العنف التي مارستها تجاه السكان من نهب وقتل الحجاج ومهاجمة المدن والقرى وأخذهم الحجر الأسود خارج مكة. هذا بالإضافة إلى ما تعرضت له البحرين آنذاك من أحداث جسام اقترفتها حركات فارسية اتسمت بنزعتها الشعوبية في وقت كان الشعب العربي في البحرين بريئاً من كل ذلك، فقد قبلها بعضهم تحت وطأة ظروف إرهابية قاسية من تهديد بالقتل والسلب ورفضها غالبيتهم وذلك بالخروج عليها كلما سنحت له الفرصة معلناً إيمانه بوحدة الدولة العربية الإسلامية[٥] .

أما تسمية البحرين : فقد اختلف الجغرافيون والبلدانيون العرب في تسمية البحرين والتي وردت لها عدة تفسيرات تعتمد على وجود بحيرة من نواحي البحرين عند باب الإحساء .

وكان ماؤها راكداً ولا يفيض وزعاقاً[٦] ويتفق الجغرافيون والبلدانيون على اشتقاق اسم البحرين من معنى بحر[٧] . ويقدم ابن المجاور[٨]، تفاسير عدة أقربها إلى الصواب ما يقوله عن جزيرة أوال : "جزيرة في بحر مالح فوق بحر عذب"، فلأجل ذلك سميت البحرين . والراجح أن تسمية البحرين جاء لتوفر المياه المالحة والتقائها بالمياه العذبة التي مصدرها العيون والينابيع المنتشرة في باطن الأرض وقاع البحر وخاصة تلك التي تتدفق من قاع الخليج العربي تحت الماء المالح والتي مصدرها البر .

ومن الواضح أن هذه التسمية وردت في القرآن الكريم في أكثر من آية عن التقاء الماء المالح بالعذب في قوله تعالى "وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج"[٩] . وقوله تعالى "وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج"[١٠]، وقوله تعالى "مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان"[١١] . وقد وردت التسمية باسم (البحران)[١٢] ولا ندري من أين جاءت هذه التسمية . ويبدو أن مصطلح

البحرين كان شائعاً منذ عهد الرسول ﷺ فقد ذكر ابن خياط في تاريخه أن الرسول ﷺ ولي أبان بن سعيد على إدارة البحرين[١٣] .

إدارة البحرين

أولاً : النظام الإداري في البحرين (١٣٢ - ٢٨٢هـ) = ٧٤٩ - ٨٩٥م)

عرفت البحرين منذ عصر ما قبل الإسلام نظام الولاية التي يديرها ويرعى شئونها وأوضاعها فقد كانت تابعة إدارياً للفرس الذين احتلوا أراضيها وعينوا عليها من قِبلهم المنذر بن ساوى[١٤] .

ويبدو أن المنذر بن ساوي كانت له صلاحية مستقلة في إدارة الإقليم ولا علاقة له بالإدارة الفارسية بدليل أنه كان من أوائل الذين دخلوا الإسلام في البحرين، وقد وجدت الرسائل والوفود بين الرسول ﷺ وبين المنذر حول موقف الجاليات الموجودة في البحرين من الإسلام ومنهم الفرس واليهود[١٥] . وهكذا ارتبطت البحرين بالحجاز إدارياً باعتباره مقر الدولة العربية الإسلامية الأولى، وأرسل الرسول ﷺ عدداً من الولاة على البحرين[١٦] . كما تعاقب عليها الولاة في عهد الخلفاء الراشدين منذ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي قسم الجزيرة العربية إلى عدة ولايات وعين على كل ولاية منها والياً يرتبط بالعاصمة (المدينة) مباشرة وهي : مكة، الطائف، صنعاء، حضرموت، نجران، جرش، البحرين[١٧] .

وفي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتسعت الدولة العربية الإسلامية بعد حركات التحرر والفتوح الإسلامية فتطلب الأمر أن يضع الخليفة نظاماً إدارياً يتناسب مع مساحتها لذلك عده الكثير من المؤرخين أول من وضع النظام الإداري في الدولة الإسلامية[١٨] . ففي عهده ضُمت عمان إلى البحرين وأصبحتا إدارة واحدة وليها عثمان بن أبي العاص متخذاً من عمان مقراً له ووجه أخاه لإدارة البحرين نائباً عنه[١٩] .

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه التحقت إدارة البحرين بولاية البصرة وأمر عليها عبد الله بن عامر (٢٥ - ٣٦هـ) = (٦٤٥ - ٦٥٦م)[٢٠] وذلك لاتخاذه البصرة قاعدة لحركة الفتوح الإسلامية في منطقة الخليج العربي بدلا من البحرين[٢١] . مما شجع على هجرة

بعض عشائر البحرين إلى البصرة من عبد القيس والأزد[٢٢] . واستمر الوضع خلال العصر الأموي حتى العصر العباسي حين أصبحت كل من البحرين وعمان واليمامة إقليماً واحداً بسبب الأحداث التي شهدها الإقليم[٢٣]

إدارة البحرين في العصر العباسي
(١٣٢ - ٢٨٢هـ) (٧٤٩ - ٨٩٥م)

يعد إقليم البحرين من الأقاليم المهمة في الدولة العباسية، ولذلك فقد حرص الخلفاء العباسيون على اختيار أفضل الولاة وأخلصهم ليحسنوا إدارتها ومعالجة أوضاعها ففي خلافة أبو العباس (١٣٢ - ١٣٦هـ) = (٧٤٩ - ٧٥٣م) ولى عمه داود بن علي إدارة البحرين واليمامة ومكة والمدينة[٢٤] . ودامت ولايته سنة واحدة ثم عين عمه سليمان بن علي والياً على البصرة وأعمالها كور دجلة والبحرين وعمان[٢٥] .

وقد تعاقب على إدارة البحرين طوال ولاية سليمان بن علي على البصرة عدد من العمال كانوا بمثابة عمال له منهم : السيح بن الحواري ثم عبد الله بن سليمان بن المنذر ثم عمر بن حفص[٢٦] . وفي خلافة المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ) = ٧٥٣ - ٧٧٤م) استمرت ولاية عمه سليمان بن علي إلى سنة ١٤٤هـ = ٧٦١م[٢٧] . وتولى البحرين بعده عدد من العمال منهم السرى بن عبد الله الهاشمي[٢٨] . وشعبان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ثم قشم بن العباس بن عبد الله، وتلاه عبد بن شريط بن عبد ربه[٢٩] فأبو الساج الذي استمرت ولايته إلى سنة ١٥٢هـ = ٧٦٩م[٣٠] ثم سليمان بن حكيم العبدي الذي استولى على البحرين إثر محاولة انفصالية قام بها[٣١] . وعين عقبه بن مسلم واستمرت ولايته للبصرة والبحرين معاً إلى أن عزل لأسباب تتعلق بسوء معاملة أسرى البحرين، وتولى بعده يزيد بن عبد الله الهلالي[٣٢] . وفي سنة ١٥٧هـ = ٧٥٣م تولى سعيد بن دعليج الذي عين ابنه تميم والياً على البحرين[٣٣] .

وفي خلافة المهدي ١٥٨ - ١٦٩هـ = ٧٨٥ - ٧٩٦م أضاف إدارة الأحواز إلى ولاية البصرة والبحرين وولى محمد بن سلمان الذي كانت ولايته من ١٦٠

- ١٦٣هـ = ٧٧٦ - ٧٧٩م[٣٤] . وفي سنة ١٦٤هـ = ٧٨٠م تولى صالح بن داود ثم أعقبه روح بن هاشم ثم النعمان بن محمد فولى الخليفة المهدي الذي أضاف إليه ولايتي فارس وكرمان[٣٥] . ثم أعقبه سويد بن سويد واستمرت ولايته إلى خلافة الهادي سنة ١٦٩ - ١٧٠هـ = ٧٨٥ - ٧٨٦م[٣٦] .

وفي خلافة الرشيد ١٧٠ - ١٩٨هـ = ٧٨٩ - ٨١٨م استحدث منصب إداري أطلق عليه اسم إقليم البحرين والغوص، وأنيطت إدارة الإقليم إلى أحد كبار قادة الرشيد المعلى الذي نجهل اسم أبيه[٣٧] . وتزامن عهده مع ازدياد نشاط قراصنة البحر وتعرضهم لحركة التجارة والنقل وأماكن الغوص واستخراج اللؤلؤ[٣٨] . كما أضاف إلى إقليم البحرين اليمامة وأسند إدارته إلى السندي بن يحيى الحرشي[٣٩] . وفي خلافة المأمون ١٩٣هـ = ٨١٨م أسند إدارة الإقليم إلى ابن أبي عيشبه[٤٠] . ولما تولى المعتصم الخلافة ٢١٨هـ = ٨٣٣م ولى إسحاق بن إبراهيم بن أبي حميصة إدارة البحرين[٤١] . وفي خلافة الواثق أضاف إلى إقليم البحرين طريق مكة، وفي خلافة المتوكل عمدوا إلى سياسة تقسيم أقاليم الخلافة بين أبنائه الثلاثة فكانت البحرين من حصة ابنه المنتصر بالله[٤٢] . وتولاها مروان بن الجنوي، وقد أعاد الخليفة المنتصر ٢٤٧ - ٢٤٨هـ = ٨٦١ - ٨٦٢م محمد بن إسحاق لإدارة البحرين[٤٣] . وفي عهده ثار علي بن محمد (صاحب الزنج) وكان ذلك سنة ٢٤٨هـ = ٨٦٢م للسيطرة على هجر والإحساء إلا أنه غلب فاتجه إلى الأعراب في البادية[٤٤] . ولم تذكر المصادر والي البحرين إذ ذاك وما موقفه من علي بن محمد وأشارت المصادر إلى أن الخليفة المعتز ٢٥٢هـ = ٨٦٦م ولى محمد بن أبي عوف بعد أن أعاد ولاية البحرين واليمامة إلى ولاية البصرة[٤٥] .

وأعقبه سعيد بن صالح حتى خلافة المعتمد الذي عزله وولى مكانه ياركوج[٤٦] . وفي سنة ٢٦١هـ = ٨٧٠م تولى موسى بن يفا إدارة إقليم فارس والأحواز والبحرين واليمامة[٤٧] . ثم أسند المعتمد إدارة الإقليم إلى أحمد بن يور[٤٨] . وقد تزامنت ولايته على البحرين مع نشاط أبي سعيد الجنابي

الـذي تمكـن مـن السـيطرة علـى البحرين[٤٩] .

ثانياً : إدارة البحرين في فترة الانفصال (٢٨٢ - ٣٣٤هـ) (٨٩٥ - ٩٤٥م)

اتسمت هـذه الفترة بظـهور حركـة القرامطة التي اتخذت من إقليم البحرين مركـزاً لهـا وهـي جـزء مـن حركـات انفصالية ظهرت قبل هذا التاريخ والـتي انفصلت إدارياً عن الدولة العباسية ، وأصبحت تشكل خطراً لا على الدولة فقـط وإنمـا علـى المجتمـع العربـي الإسـلامي في الخليـج العربـي . فقـد اختلف المؤرخون في بداية ظـهور حركـة القرامطة ، ويرجح أغلبـهم أنـها ظـهرت في سـنة ٢٨١هـ = ٨٩٤م عندمـا قـدم رجل يعرف باسم يحيى بن المـهدي إلى مدينـة القطيـف ونـزل في ضيافـة رجـل يدعى علي بن المعلى بن حمدان - وقـد كان من الغالين في الديـن - وأخـذ كـل من علي ويحيى يدعوان الناس فيـها إلى دعوتـهما[٥٠] . وفي روايـة أخـرى أن عيدان أرسل أبا سـعيد الجنـابي إلى البحريـن وزوده بـالأموال والكتـب[٥١] . وقد حاول أبو سعيد الجنابي جمع أكبر عدد مـن المؤيديـن ومـن انضم إليـه مـن الأعراب واللصوص . فتمكن من السيطرة على القطيف[٥٢] . ثم سـعى إلى توسيع رقعة أراضيـه بضـم مـدن جديـدة فـهدد مدينة البصـرة وتمكـن مـن دحـر جيـش الخلافة ثـم تفـرغ لحصـار مدينـة هجـر وتمكن من اقتحامها وقتل مـن فيـها ولم ينج إلا من هرب[٥٣] .

وفي سنة ٢٩٠هـ = ٩٠٢م تجـددت المعـارك مـع ابـن جـور عـامل الخليفـة العباسي ثم تبع ذلـك فـترة هـدوء حتـى سنة ٢٩٩هـ = ٩١١م ولم تذكـر المصـادر أي نشاط لأبي سعيد أو موقف الخلافـة منـه ويبـدو أنـه تمكـن مـن طـرد الـوالي العباسـي مـن البحريـن وتفـرغ للنواحـي الإدارية والعمرانية من أجل إقامة النظـام السياسي الذي وصـف بأنـه : نظـام ذو وجوه ومرافق وقوانين ومراصـد وضـروب مرسومة شملـت سـائر مرافـق الحيـاة في البحرين[٥٤] . جـاعلاً مـن نفسـه القـائد الأعلى للجيش والسلطة كافة[٥٥] .

وقد ادعى أنه يسـتمد تعاليمـه مـن (إمام الزمـان) الـذي أصبـح أبـو سـعيد عاملا له وحاكما باسمه ومؤديـا الطاعـة له[٥٦] . يعاونه مجلس مؤلف من أتباعه المقربين وأهله[٥٧] . ويتكون المجلس من اثني عشر عضواً يقـوم بـإدارة الدولـة في

النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية[58] . وكان أبناء أبي سعيد أعضاء في هذا المجلس وكانت لهم مسئولياتهم في إدارة الدولة وعند وفاته سنة ٣٠١هـ = ٩١٣م ترك وصية حدد فيها النظام السياسي الذي يسيرون بموجبه[59] . ولقد قضى أبو سعيد الجنابي في إدارة البحرين مدة ١٩ سنة من ٢٨٢ - ٣٠١هـ = ٨٩٥ - ٩١٣م وضع خلالها الهيكل الإداري والسياسي والاقتصادي من خلال الإجراءات التي قام بها، وقداعتبر فريق من المؤرخين أنه أقام نظاماً اشتراكياً وذلك من خلال التدابير الاقتصادية التي اتصفت بنزعة ثورية يسارية[60] وفي حين عده البعض الآخر نظاماً اشتراكياً متطرفاً[61] . وقد ذهب باحثون آخرون إلى أن نظامه نظام اجتماعي واقتصادي يحقق على حد زعمهم المساواة الاجتماعية والرفاه المادي[62] . ومن المؤرخين من لا يرى أن نظامه لا يتصف لا بالاشتراكي ولا بشبه الاشتراكي لكونه لم يقم على أسس نظرية يمكن دراستها ضمن مجرى الفكر الاشتراكي[63] . ويبدو من تطبيقات النظام أن مجتمع البحرين مجتمع طبقات ففيه العبيد الأرقاء الذين بلغ عددهم ٣٠ ألف عبد زنجي وحبشي[64] . وإلى جانبهم الإماء (الجواري)[65] ، وقد قسم العمل على أساس الطبقات . فطبقة العبيد والزنج والإماء مهمتهم العمل في الزراعة وفلاحة البساتين ورعاية الحيوانات[66] . وأغلب أفراد القبائل العربية يعمل في الجندية، كما لم يلغ النظام الإداري في البحرين الملكية الفردية سواء أكانت ملكية الأرض أو المال، فقد وزعت الأراضي على أقربائهم وأتباعهم بدليل أنهم نصبوا على أراضيهم العرفاء وأقاموا عليها العمال والفلاحين من العبيد[67] . والأكثر من هذا لم تعد الملكية عامة فقد كانت ممتلكات أبي سعيد الجنابي على سبيل المثال سنة ٣٠١هـ = ٩١٣م من الأبقار والثيران ألف رأس، ومن الخيل والجمال ألف رأس ومن الأواني الذهبية والفضية ما قيمته مائة ألف دينار، ومن النقود ألف ألف دينار[68] .

كما استحوذ على نصف ما يستخرج من البحر بالإضافة إلى امتلاكه الطواحين كافة[69] . أما توزيع الأموال فلم نلمس في توزيعها أي وجه للنظام الاشتراكي الذي وصفه بعض المؤرخين، فإن الأموال كانت تذهب إلى الطبقة الخاصة بنسب اتفقوا عليها وحرمت

بقية فئات المجتمع منـها، وقـد وصـف ابن حوقل[٧٠] نسب الأموال التي تذهب إليهم فقال :

ما يدفع من الأموال إلى صاحب الزمان تصل نسبته إلى الخُمْس من المال الذي يساوي ألف ألف دينار وربما يزيد على المائة والمائتي ألف دينار، ويعطي ثلاثة أخماس لأبناء أبي سعيد، كما يدفع الخُمْس الباقي إلى السنابره .

والواقع أن هذا النظام الذي وضعه أبو سعيد الجنابي لم يكن يعرفه أهل البحرين من قبل، وبوفاته انتقلت إدارة البحرين إلى أبنائه من بعده لإكمال مسيرة نظامه . وقد ترك وصية أن يكون القيم بأمرهم هو سعيد ابنه إلى أن يكبر أبو طاهر، فإذا كبر كان المدبر وقد جرى الأمر على ذلك[٧١] .

وقد حكم سعيد البحرين بين سنتي ٣٠١ - ٣٠٥هـ = ٩١٣ - ٩١٧م[٧٢] . ولم تحفل المصادر التاريخية بذكر أي حدث خلال فترة حكمه مما دفع بعض المؤرخين إلى القول أن هذه الفترة سادها السلام والوئام وحسن العلاقة والتقرب من الخلافة العباسية مما أثار حفيظة الدولة الفاطمية في مصر والتي أثارت الفتن بين أبناء أبي سعيد فخلعوا سعيداً وولوا أخاه أبا طاهر[٧٣] . ومهما يكن من أمر فإن أبا طاهر تولى إدارة البحرين سنة ٣٠٥هـ = ٩١٧م يعاونه إخوته أبو القاسم سعيد وأبو منصور محمد وأبو إسحاق إبراهيم وأبو العباس محمد وأبو يعقوب يوسف[٧٤] . وقد أطلق ناصر خسرو[٧٥] عليهم اسم "السلاطين ثم السادات" فكانوا قادة الإقليم وبيدهم إدارته يعاونهم ستة وزراء وأطلق على هؤلاء الوزراء اسم السنابرة . ويرأس مجلس الوزراء أبو طاهر وصهره أبو محمد سنبر أحد رجال البحرين المعروفين[٧٦] .

ويتولى هذا المجلس قيادة الجيش وإدارة مجلس الوزراء، ويعقد المجلس جلساته في دار الهجرة التي تم بناؤها في عاصمته المؤمنية[٧٧] .

وبوفاة أبي طاهر تولى إدارة البحرين أخوه أبو القاسم سعيد وهيمن على مقاليد الحكم[٧٨] .

واستمرت إدارة البحرين بين أبناء أبي سعيد الجنابي يتناقلها الأبناء عن الآباء حتى تم القضاء عليهم على يد الأسرة العيونية سنة ٤٦٩هـ = ١٠٧١م(٧٩).

الأوضاع السياسية في البحرين وموقف الخلافة العباسية (X)

اتخذ إقليم البحرين أكثر من مرة مركزاً لعدد من الحركات التي أعلنت خروجها على الدولة العباسية، ويبدو أن للعامل الجغرافي أثره في ذلك لبعد البحرين عن مركز الخلافة مما جعل الإقليم محافظاً على عاداته وتقاليده العربية الأصيلة وتغلب الروح القبلية فيه فضلاً عن وجود أجناس غريبة في هذا الإقليم من فرس ويهود والتي لعبت دورها في هذه الحركات، كما لم يكن العامل الاقتصادي أقل أهمية من العوامل الأخرى فقد كانت الحالة المعيشية للسكان متدهورة وكان لها أثرها على الأوضاع الاجتماعية والثقافية مما دفعهم إلى قبول أية دعوة من شأنها أن ترفع مستواهم الاقتصادي المتدني(٨٠) مما جعل سكان البحرين صيداً للحركات التي اتخذت من البحرين مركزاً لها كحركة علي بن محمد (صاحب الزنج) وحركة ابن سعيد الجنابي القرمطي التي وعدت بالرخاء ورفاه الأحوال(٨١). وتشكل الحركات التي ظهرت في البحرين جزءاً من حركات انفصالية ظهرت في عدد من أرجاء الدولة العربية الإسلامية ولكنها لم تلبث قليلاً سوى حركة قرامطة البحرين التي دامت ما يقارب أربعة قرون استهدفت فصل إقليم البحرين عن الخلافة العباسية(٨٢). وكانت أولى الحركات التي ظهرت في البحرين وأعلنت عصيانها على الخلافة العباسية حركة سليمان بن حكيم العبدي الذي استطاع انتزاع مقاليد الولاية من أبي الساج عامل الخليفة المنصور مستغلا انشغال الخليفة بأمر خراسان(٨٣). إلا أن المنصور كان متفانياً في المحافظة على وحدة الدولة العربية الإسلامية فاستدعى عامله على البصرة عقبة بن مسلم سنة ١٥٠هـ = ٧٦٧م ووضع الخطط اللازمة

لقمع الحركة فاتجه إلى البحرين وتمكن من القضاء عليها[٨٤] .

وفي خلافة الرشيد ١٧٠هـ =٧٨٦م قام سيف بن بكير بحركته في البحرين معلناً تمرده على الخلافة العباسية ومتخذاً من مدينة هجر قاعدة له[٨٥] . فأسرع الرشيد بإسناد قمع الحركة إلى محمد بن يزيد الذي تمكن من القضاء عليها وقتل قائده في معركة عين النورة[٨٦] .

وفي خلافة المستعين(٢٤٨ - ٢٥٢هـ) = (٨٦٤ - ٨٦٨م) تحرك علي بن محمد من مدينة سامراء سنة ٢٤٩هـ = ٨٦٥م إلى مدينة هجر معلناً تمرده وعصيانه على الخلافة العباسية[٨٧] ولم تكن سامراء مركزاً صالحاً لأي عصيان لكونها عاصمة الخلافة ولبعد البحرين عن العاصمة . وزعم علي بن محمد النسب العلوي[٨٨] ليضفي على حركته الصفة العلوية، كما ادعى أنه من قبيلة عبد القيس في حين أن عبد القيس من القبائل التي أسهمت في القضاء على حركته مع قوات الخلافة[٨٩] . وأن ابن أبي الحديد يطعنه في نسبه ودينه ويرميه بالزندقة والإلحاد[٩٠] . ويؤكد جمهرة من المؤرخين أنه من أصل فارسي من قرية (ورزنين) في فارس واسمه (بهبود)[٩١] .

ومهما يكن من أمر في اختلاف نسبه وعقيدته فإنه اتخذ من مدينة هجر مركزاً لحركته فاتبعه جماعة ورفضته أخرى مما أدى للاقتتال بينهما فانتقل إلى الإحساء متخذاً منها مركزاً لحركته[٩٢] . ولكنه سرعان ما ترك الإحساء لفشله في التوفيق بين قبائلها فاتجه إلى البادية مستغلاً بساطتهم، فقد أوهم الناس بأنه يحيى بن عمر العلوي الذي قتل على مقربة من الكوفة وزعم أنه المهدي المنتظر[٩٣] . وبهذه المزاعم استطاع كسب أعداد كبيرة من أعراب البادية[٩٤] . مما دفع إلى محاولة توسيع سلطته إذ تمكن من جمع جيش من الأعراب زحف بهم إلى مدينة الردم وجرت معركة بين أتباعه وسكان المدينة بقيادة العربان بن الهيثم الذي تمكن من سحق قوات علي بن محمد فاضطر إلى ترك البحرين واللجوء إلى مدينة البصرة سنة ٢٥٤هـ = ٨٦٨م[٩٥] .

وفي سنة ٢٨١هـ = ٩٤٠م ظهرت حركة جديدة في البحرين متمثلة بحركة (القرامطة) والتي تعد من أشد الحركات الخارجية خطراً على الخلافة العباسية

لاستخدامها أساليب العنف والقوة تجاه سكان المدن وقوافل الحجاج والتجارة لزرع الرعب والخوف في النفوس(٩٦) .

وترجع بداية ظهور حركة القرامطة في العراق إلى سنة ٢٧٨هـ-٨٩١م عندما قدم رجل من الأحواز يعرف باسم عبد الله بن ميمون القداح من أهل قورح ادعى فيها النبوة وحاولت السلطة العباسية القبض عليه فهرب وبرفقته رجل من أصحابه يعرف بـ (الحسين الأحوازي) فنزلا على قوم من أولاد عقيل بن أبي طالب ﷺ في مدينة البصرة، وأخذا يعملان على تنظيم حركتهما محاولين كسب أعداد من السكان إلا أن أمرهما كشف فهربا إلى مدينة شامية واستمر عبد الله بن ميمون في نشر دعوته إلى أن توفى فخلفه ابنه أحمد وإليه يرجع الجهد في تنظيم وتوسيع قاعدتهم، فأرسل حسين الأحوازي كداعية إلى سواد العراق فاستطاع أن يكسب رجلاً يدعى حمدان بن الأشعث فأرسله إلى الكوفة داعياً هناك(٩٧) . ونزل على رجل يدعى (كرميتة) فسمي هو بنفس الاسم نسبة إلى صاحب الدار الذي نزله(٩٨)، ثم حوّر الاسم فقيل له قرمط (٩٩) .

وقد سعى حمدان قرمط إلى توسيع قاعدة حركته باتباع مختلف الوسائل منها أنه أخذ يظهر الزهد والتقشف ويكثر من الصلاة ، ثم بدأ يدعو إلى إمام من آل بيت الرسول ﷺ فاستجاب لدعوته جمع كثير منهم رجل يدعى (عبدان) الذي أخذ يؤلف الكتب في توضيح أفكارهم(١٠٠) .

أما نشأة الحركة القرمطية في البحرين فقد اختلف المؤرخون في تاريخ نشأتها وعلى أرجح الآراء تعود إلى سنة ٢٨١هـ = ٨٩٤م عندما قدم رجل يعرف باسم يحيى بن المهدي إلى مدينة القطيف فنزل في ضيافة رجل يدعى علي بن المعلى بن حمدان وقد كان من المغالين في الدين، وأخذ علي ويحيى يدعوان الناس في القطيف إلى دعوتهما(١٠١) . وفي رواية أخرى أن (عبدان) هو صهر حمدان قرمط أرسل أبا سعيد الجنابي إلى البحرين وزوده بالأموال والكتب(١٠٢) . وقيل بأن حمدان هو الذي أرسل داعيه إلى البحرين بعد أن وجد فيه المقدرة

والكفاءة[١٠٣] . وإليـه يرجـع الفضـل في نشر دعوة القرامطة . فقام بتنظيم الدعوة واجتمعت إليه الأعراب فكان منـهم مـن قبيلة عبد القيس بن ربيعة[١٠٤] .

كمـا انضـم إليـه مـن بقـي مـن الزنج[١٠٥] ، وانضم إليه عـدد ممن لهم شأن كبير في البحريـن منهم أبـو سنبر وأخواه حمدان والحسن فصاهرهم وعظم أمره بهم[١٠٦] . فتمكن من السيطرة على القطيـف وتوسـع سـلطانه إلى منـاطق أخـرى كما سـاعده في ذلك النزاعـات القبلية[١٠٧] . وفي سنة ٢٨٦هـ = ٨٩٩م اشتد خطـر أبـي سـعيد الجنـابي وذلك بتهديده بالاستيلاء على البصرة مما دفع أميرها محمد بن يحيى الواثقي لإنشاء سور حول المدينة[١٠٨] . وبـادر الخليفة المعتمد إلى نقل العباس الغنوي من ولاية فارس سنة ٢٨٧هـ = ٩٠٠م وعينه والياً علـى اليمامـة والبحريـن وزوده بـألفي فارس لقتال الجنـابي، كمـا انضم إليـه عشرة آلاف مـن المتطوعـة[١٠٩] . ومـع ذلك فقد تقدم الجنابي لاحتلال البصرة سنة ٢٨٩هـ = ٩٠٢م وكـاد الغنـوي أن ينتصر علـى أبـي سـعيد لـولا هـروب المتطوعـة مـن الأعـراب وأخـذ الغنـوي أسيراً مـع ٧٠٠ مـن جنده، وفي اليـوم الثاني أقدم أبو سعيد علـى قتـل جميـع الأسرى ثم أحرقهم وأخذ الغنوي أسـيراً إلى البحرين، ولم يلبث أن أطلقه وحمله رسـالة إلى الخليفـة العباسـي[١١٠] . وبعدها اتجه أبـوسعيد إلى هجر وفـرض الحصار عليها وقطع المياه عن أهلها مما دفعـهم إلى الاستسلام فقتـل مـن أهلـها خلقاً كبيراً دون رحمة وهرب عـدد كبير منهم إلى البصرة، وأخذ مـن بقي منـهم إلى الإحساء، وقـدر عـدد مـن قتلـهم بـ ٣٠٠,٠٠٠ حرقـاً بالنـار[١١١] . وأكـثرهم من النساء والشيوخ والأطفال إذ هيأ لهـم مـا يعـرف بـ (الخطـان) وهـي محرقـة فـأشعل النـار بـهم[١١٢] . وإزاء هـذه الهزائـم التي لحقت بجيش الخلافـة والجرائم البشعة التي ارتكبها أبو سـعيد في مدينـة هجر أصبح لـدى الخلافـة العباسية قناعـة بـأن أبـا سـعيد يحمـل أهدافاً توسعية لذلك اقترح الوزيـر علـي بـن عيسـى مكاتبـة الجنـابي وإرسـال الوفـود لـه، وبينمـا الوفد في طريقـه إلى البحرين تـرددت أنبـاء مقتلـه علـى يد خادمه الصقلـي[١١٣] . فتوقـف الوفـد في انتظـار موقـف الخلافـة الـتي أصـدرت أمرها باستكمال الرحلـة والتفـاوض مـع أبنائه[١١٤] . وقد توصل الوفـد إلى اتفـاق بـأن يعلـن القرامطـة طاعتـهم للخليفـة

مقابل السماح لهم بالتسوق من سيراف[١١٥] .

تولى أبو سعيد الإبن الأكبر أمر القرامطة ولكنه عجز عن القيام بالأمر فغلبه أخوه أبو طاهر ٣٠٤هـ = ٩١٧م وتولى إدارة البحرين[١١٦] . وسار سيرة أبيه بشن غارات على المدن وقتل الحجاج وسلب ما يقع في يده. بادر سنة ٣٠٧هـ = ٩١٩م بمهاجمة البصرة وسلب ونهب وعاد إلى مهاجمتها عام ٣١١هـ = ٩٢٤م فاستباحها وقتل أهلها كما قتل واليها سبك المفلحي وخرب كافة المرافق الدينية والاقتصادية فيها[١١٧] .

وإزاء هذه المآسي التي حلت بسكان البصرة أقدم الخليفة على تعيين محمد الغارقي والياً على البصرة، وإرسال تعزيزات عسكرية لإنقاذها، كما تعرض أبو طاهر لقافلة من الحجاج قادمة من مكة المكرمة فأوقع بالقافلة وأسر مرافقها أبو الهيجاء مع عدد من كبار رجال الدولة وترك قسماً من القافلة بينهم النساء والأطفال فمات أكثرهم من الجوع والعطش[١١٨] . وكانت ردود فعل العامة أن هاجموا دار الوزير ابن الفرات ونعتوه بالقرمطي الكبير[١١٩]، وقد هدف أبو عامر من هذه الأعمال إلى إرغام الخلافة على قبول شروطه بضم البصرة والأحواز[١٢٠] . وإزاء عدم تلبية مطالبه أعاد هجومه على البصرة والكوفة وقوافل الحجاج سنة ٣١٢هـ وحاول الخليفة المقتدر معالجة الموقف فأمر بنقل يوسف بن أبي الساج من ولاية فارس سنة ٣١٤هـ = ٩٢٦م وخصص خراجاً للنفقات العسكرية[١٢١] . أما أبو طاهر فلم يعر أي اهتمام لهذا الإجراء ففي سنة ٣١٥هـ = ٩٢٧م هاجم الكوفة بعد أن علم أن واليها قد أعد المؤن لقوات أبي الساج فأسرع بالدخول للكوفة قبل قوات أبي الساج فأخذ المؤن دون مقاومة[١٢٢] . وهرب سكانها إلى بغداد وحلوان وهمدان[١٢٣] . وتابع أبو طاهر هجومه على عين التمر والأنبار وهيت، وكانت مدينة هيت محصنة وأهلها على استعداد لقتاله فقتلوا أعداداً كبيرة من أتباعه ومنهم أحد قادته أبا الدرداء القرمطي[١٢٤] . فاضطر أبو طاهر إلى الانسحاب وأخذ في طريقه يهاجم المدن والقرى كالرحبة وقرقيبيا ورأس العين وصيبين وسنجار حتى بلغ مدينة الموصل[١٢٥] . عاد بعدها إلى سواد الكوفة ليمارس نشاطه فيها .

وفي سنة ٣١٧هـ = ٩٢٩م تقدم أبو طاهر نحو مكة المكرمة وكان يوم التروية والحجاج يؤدون مناسك الحج فقتل الحجاج في المسجد الحرام، كما قتل أمير مكة وقارب عدد القتلى ٣٠,٠٠٠ حاج، ورمى قسماً منهم في بئر زمزم، وسلب كسوة الكعبة ونهب دور أهل مكة وقلع الحجر الأسود ونقله معه إلى هجر كما قلع الباب والمحاريب الفضية وبلغ ما أخذه من الأموال ألف ألف دينار والدرة اليتيمة وعصا موسى والقناديل(١٢٦) . وأعيد الحجر الأسود إلى مكة بعد ٢٢ سنة(١٢٧) أي سنة ٣٣٩هـ =٩٤١م .

وعاد أبو طاهر إلى مهاجمة الكوفة سنة ٣١٩هـ = ٩٣١م فهرب أهلها إلى بغداد فخرج أهل بغداد رافعين المصاحف طالبين التصدي لأعمال وجرائم أبي طاهر(١٢٨) . فمكث فيها ١٥ يوماً سفك الكثير من الدماء ونهب الأموال وعاد إلى هجر(١٢٩) . وأخذ يهاجم المدن الساحلية المطلة على الخليج العربي بهدف التحكم بطرق التجارة وتعطيل حركة النقل(١٣٠) . كما هاجم سنة ٣٢٣هـ = ٩٣٤م مدينة القادسية وقوافل الحجاج وأعاد هجومه على الكوفة(١٣١) .

وكانت ردود فعل الخلافة أن تضرع الخليفة الراضي إلى الله لشدة حزنه لما أصاب الحجاج كما صام عدة أيام(١٣٢) .

ويبدو أن أبا طاهر كان هدفه من هذه الأعمال الإجرامية المتكررة الحصول على الأموال بسلب ونهب المدن وقوافل الحجاج وإرغام الخلافة على الاعتراف بما تحت يده من الأراضي ولتأمين طريق الحج لقاء مبلغ من المال يدفعه الخليفة له مما اضطر الخليفة سنة ٣٢٥هـ إلى إرسال وفد لمفاوضته بأن الخليفة علي استعداد لدفع ١٠٠ ألف دينار سنوياً بشرط أن يدخل أبو طاهر في طاعة الخليفة فلم يجبه(١٣٣) . وفي رواية أخرى : أن صاحب أفريقيا طلب منه الكف عن مهاجمة قوافل الحجاج مقابل أن يدفع خمسة دنانير على الجمل و٧ دنانير على المحمل(١٣٤) . ومنذ عام ٣٢٦هـ = ٩٣٧م لم يظهر لأبي طاهر أي نشاط سياسي أو عسكري تجاه قوافل الحجاج ومدن وأقاليم الدولة العباسية .

د. توفيق سلطان اليزبكي
كلية الآداب - جامعة الموصل

الهوامش

١ - الأزهري : تهذيب اللغة جـ ٥ ص ٤٠، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٩٤٧، النووي : تهذيب الأسماء جـ ١ ص ٣٧ .

٢ - ابن رستة : الأعلاق النفيسة ص ١٨٣، ابن محمد : معدن الجواهر ص ٩٣ .

٣ - ابن رستة : ص ١٨٣، البكري : الممالك والمسالك ص ١٣٧، ابن خلدون: تاريخ جـ ٤ ص٩٣.

٤ - الشامي : إقليم العروض في كتابات الجغرافيين العرب ص ١٦ - ١٧ .

٥ - للتفاصيل أنظر : (البحرين، دراسة سياسية حضارية) رسالة ماجستير للسيد طلال عبد الرزاق أشرف عليها د. توفيق اليوزبكي / كلية الآداب /جامعة الموصل .

٦ - الزعاق : الماء المر الطعم والكثير الملح : أنظر ابن منظور : لسان العرب جـ ١ ص ١٤١ .

٧ - الزمخشري : كتاب الجبال والأمكنة والمياه، ص ٣٢، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص٥٠٦، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٩٩ .

٨ - ابن المجاور : تاريخ المستبصر ص ٣٠٠ .

٩ - سورة فاطر، آية ١٢ .

١٠ - سورة الفرقان، آية ٥٣ .

١١ - سورة الرحمن، آية ٢٠ .

١٢ - لجنة تدوين تاريخ قطر : البحرين وقطر القديمة للمسميات الحديثة، جـ ١ ص ٤٢ .

١٣ - ابن خياط : تاريخ، جـ ١ ص ٦٢ .

١٤ - ابن هشام : السيرة النبوية، ق ٢ حـ ٢ ص ٥٧٥، البلاذري : فتوح البلدان، ص ٨٩، الطبري : تاريخ، حـ ٢ ص ٦٤٥ .

١٥ - البلاذري : فتوح البلدان، ص ٨٩ .

١٦ - ابن خياط : تاريخ، جـ ١ ص٦٢، العاني : البحرين في صدر الإسلام، ص ١٥٣ .
١٧ - حسن ابراهيم : النظم الإسلامية، ص ١٧٠ .
١٨ - صبحي الصالح : النظم الإسلامية ص ٣٠٩ .
١٩ - ابن خياط : تاريخ، جـ ١ ص ١٥٩ .
٢٠ - المصدر نفسه والصحيفة .
٢١ - كيرفان : حفريات قلعة البحرين، جـ ١ ص ٧ .
٢٢ - العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٤٢ .
٢٣ - المسعودي : مروج الذهب، جـ ٢ ص ٢٦٤ .
٢٤ - ابن الأثير : الكامل، جـ ٥ ص ٤٤٥، الإحسائي : تحفة المستفيد، ص ٧٩ .
٢٥ - الطبري : تاريخ، جـ ٢ ص ٤٥٩، ابن قتيبة : المعارف، ص ٣٧٥ .
٢٦ - ابن خياط : تاريخ، جـ ٢ ص ٤٣٩ .
٢٧ - الطبري : تاريخ جـ ٧ ص ٥٥١، ابن الأثير : جـ ٥ ص ٥٢٧ .
٢٨ - المسلم : ساحل الذهب، ص ١١٣ .
٢٩ - السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص٢٦٩، ابن خياط : جـ ٢ ص ٤٦٣ .
٣٠ - اليعقوبي : تاريخ، جـ ٣ ص ١٢٩ .
٣١ - الأصبهاني : مقاتل الطالبيين، ص ٤٠٤ .
٣٢ - ابن خياط : جـ ٢ ص٤٦٤ .
٣٣ - الطبري : جـ ٨ ص ٥٢، ابن خلدون : جـ ٣ ص ٢٠١ .
٣٤ - الطبري جـ ٢ ص ١٣٤، ابن الأثير : حـ ٦ ص٦٢ .
٣٥ - المسلم : ساحل الذهب ص ١١٤ .
٣٦ - ابن الأثير : جـ ٦ ص ٩٤، ابن خلدون : جـ ٣ ص ٢١٤ .
٣٧ - الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك، ص ١٠٩، أباحسين : صيد اللؤلؤ، مجلة الوثيقة، العدد ١٠ لسنة ١٩٨٧م ص ١١٤ .
٣٨ - ابن خياط : جـ ٢ ص ٤٨٠ .

٣٩ – شاكر مصطفى : دولة بني العباس، جـ ٢ ص ٣٧٣ .
٤٠ – المبرد : الكامل في الأدب، جـ ٢ ص ٢٦ .
٤١ – الإحسائي : تحفة المستفيد، ص ٨١ .
٤٢ – الطبري تاريخ جـ ٩ ص ١٥٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ١ ص ٤١١ .
٤٣ – الطبري : تاريخ، جـ ٩ ص ١٨٣ ، الشابشتي : الديارات ص ٨ (نديم المتوكل من الشعراء).
٤٤ – المصدر السابق والصحيفة، ابن خلدون ، جـ ٣ ص ٢٧٥ .
٤٥ – المصدر نفسه جـ ٩ ص ٣٥٤ .
٤٦ – المصدر نفسه جـ ٩ ص ٤٧٦ .
٤٧ – المصدر نفسه جـ ٩ ص ٥١٤، ابن الأثير : جـ ٧ ص ٥٤١ .
٤٨ – المصدر نفسه والصحيفة .
٤٩ – ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ٥٢٦ .
٥٠ – ابن سنان : تاريخ ص ١٣ ، ابن الأثير جـ ٧ ص ٣٩٣، ابن كثير : البداية، جـ ١١ ص ٨١
٥١ – ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٥٢ .
٥٢ – الطبري : ج ـ ١٠ ص ٧١، الذهبي : دول الإسلام، ج ـ ١ ص١٧٢ ، ابن الجوزي : المنتظم، جـ ٦ ص ١٨ .
٥٣ – المسعودي : مروج الذهب، جـ ٤ ص٢٦٤ ، مجهول : العيون والحدائق، جـ ٤ ص ٩١ .
٥٤ – ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٣٠ .
٥٥ – سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ٤٢ .
٥٦ – جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية ص ١٩١ .
٥٧ – لويس : أصول الإسماعيلية ص ١٥٩ ، ثامر : القرامطة أصلهم ونشأتهم ص ٧٧ .
٥٨ – غالب : القرامطة بين المد والجزر ص ٣٩٨ .
٥٩ – ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٤٣ ، المقريزي : اتعاظ الحنفاء ص ١٦٤ .
٦٠ – الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٢٦ .
٦١ – تامر : القرامطة أصلهم ونشأتهم ص ٧٢ .

٦٢ – فوزي : الخلافة العباسية ص ١٦٦، غالب : القرامطة بين المد والجزر ص ٣٥١ .

٦٣ – محمود اسماعيل: الحركات الفكرية في الإسلام ص ١٧٨ .

٦٤ – ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٤٣ .

٦٥ – المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٦٤ .

٦٦ – ناصر خسرو ص ١٤٣ .

٦٧ – المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٦٢ .

٦٨ – ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ١١ ص ١٢٢ .

٦٩ – ناصر خسرو : ص ١٤٣ – ١٤٤ .

٧٠ – ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٣ – ٣٤ .

٧١ – المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٦٥ .

٧٢ – مسكويه : تجارب الأمم، جـ ٤ ص ٣٣ .

٧٣ – تامر : القرامطة ص١١٣ .

٧٤ – مسكويه : المصدر السابق جـ ٤ ص٥٦ .

٧٥ – ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٤٣ .

٧٦ – الهمداني : تكملة الطبري، جـ ١ ص ١٤٠، ابن الجوزي : المنتظم، جـ ٦ ص ١٤٠ .

٧٧ – ناصر خسرو ص ١٤٣ .

٧٨ – الهمداني جـ ١ ص ١٤٠، ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٤١٦ .

٧٩ – كيرفان : حفريات قلعة البحرين، جـ ١ ص ١٢ – ١٥ .

x – أنظر التفاصيل (البحرين دراسة سياسية حضارية) رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الموصل، للسيد طلال عبد الرزاق، أشرف عليها الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي .

٨٠ – الحميدان : إمارة العصفوريين ودورها السياسي، مجلة الوثيقة، العدد ٣، لسنة ١٩٨٣م ص ٩٤ .

٨١ – أبو النصر : الاشتراكية الشيوعية في الإسلام، ص ١٤٣ .

٨٢ – بندلي جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، برنارد لويس : العرب في التاريخ .

٨٣ – السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٤ .

٨٤ – الطبري : جـ ٨ ص ٣٩، ابن الأثير : جـ ٥ ص ٦٠٤، الأحسائي : تحفة المستفيد ص ٨٠، الأزدي : تاريخ الموصل، ص ١٧٥ .

٨٥ – أباحسين : عن صيد اللؤلؤ : مجلة الوثيقة، العدد ١٠ لسنة ١٩٨٧م ص ١١٤ .

٨٦ – الأحسائي : تحفة المستفيد، ص ٨١ .

٨٧ – الطبري : جـ ٩ ص ٤١٠، ابن كثير : البداية ، جـ ١١ ص ١٠٨، أبو الفدا : المختصر، جـ ٢ ص ٤٦ .

٨٨ – ويقول السيوطي (أن علي بن محمد كان يصعد المنبر ويسب عثمان وعلي ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة، وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العلويات يطؤهن ويستخدمهن (تاريخ الخلفاء ص ٣٦٤) .

٨٩ – ابن الطقطقي : الفخري من الآداب السلطانية ص ٢٥٠ .

٩٠ – ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة، جـ ٨ ص ٣٢٢ .

٩١ – السيوطي : ص ٢٤٢، ابن الجوزي : المنتظم، جـ ٥ ص٦٩، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ٣ ص ٤٨ .

٩٢ – الطبري : جـ ٩ ص ٤١٠، ابن الأثير : جـ ٧ ص ٣٠٦، ابن خلدون : تاريخ، جـ ٣ ص٣٠٢ .

٩٣ – الطبري : جـ ٩ ص ٤١١، السامر : ثورة الزنج ص ٤٣ .

٩٤ – الردم : مدينة لبني عامر بن الحارث بالبحرين (أنظر ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص٤٠) .

٩٥ – أباحسين : قرامطة البحرين أشد الحركات المعارضة، مجلة الوثيقة، العدد الأول لسنة ١٩٨٢م، ص ١٥٦ .

٩٦ – المرجع نفسه .

٩٧ – المقريزي : ألفاظ ص ٢٥ – ٢٦ .

٩٨ – ابن الأثير : الكامل، جـ٧ ص ٤٤٦ .

٩٩ – مجهول : العيون، جـ ٤ ص ١٢٩، ابن الأثير : جـ ٧ ص ٤٤٦، ابن العبري : مختصر ص ١٥٠ .

١٠٠ – الطبري، جـ ١٠ ص٢٤ ، مجهول : جـ ٤ ص ١٢٦ ، جوزي : من تاريخ الحركات الفكرية ص ١٦٤ .

١٠١ – ابن الأثير جـ ٧ ص ٣٩٣، ابن كثير : جـ ١١ ص ٨١، ابن خلدون : تاريخ، جـ ٣ ص ٣٥٠ .

١٠٢ – ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٢٥٨ ، ابن النديم : الفهرست، ص ٢٦٦ ، لويس : الدولة الإسماعيلية، ص ١٦٩ .

١٠٣ – البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٦٧ .

١٠٤ – ابن الأثير : جـ ٧ ص ٤٩٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب، جـ ٢ ص ١٩٢ .

١٠٥ – الذهبي : دول الإسلام جـ ١ ص ١٧٢ ، اليافعي : مرآة الجنان، جـ ٢ ص٢١٣ .

١٠٦ – ابن سنان : تاريخ، ص ١٠٢ ، المقريزي : ألفاظ ، ص ١٦٠ .

١٠٧ – ابن المقرب : ديوان ابن المقرب، ص ٦٣٩ .

١٠٨ – الطبري : تاريخ، جـ ١٠ ص ٧١، ابن سنان : تاريخ، ص ١٧ .

١٠٩ – ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ٥ ص ٤٣١ ، ابن الأثير : البداية، جـ ١١ ص ٨٣ .

١١٠ – الطبري : جـ١٠ ص ٧٥ ، ٨٩، ابن سنان : ص ١٦ ، ابن الجوزي : المنتظم، جـ ٦ ص٢٤.

١١١ – الطبري : جـ ١٠ ص ٧٥، المسعودي : مروج، جـ ٤ ص٢٦٦ ، الأزهري : الروض ص ١٥٦ ، المقريزي ص ١٦٢ .

١١٢ – عريب : صلة الطبري ص ٤١ ، الهمداني : تكملة الطبري، جـ١ ص ١٤ ، مسكويه : تجارب الأمم، جـ ١ ص ٣٣ .

١١٣ – مسكويه : جـ ١ ص٣٤، الذهبي : دول الإسلام، جـ١ ص ١٨٣ .

١١٤ – الذهبي: جـ ١ ص ١٨٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب، جـ ٢ ص ٢٥٠ ابن سنان: ص ٣٧، عريب : ص ٩٧ .

١١٥ – عريب : الطبري، ص ٥٧ ، ابن كثير : جـ ١١ ص ١٢٣ .

١١٦ – مسكويه : تجارب الأمم جـ ١ ص ٥٧ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ص ١٦٥ .

١١٧ – مسكويه : جـ ١ ص ١٠٤ ؛ ابن الجوزي : المنتظم، جـ ٦ ص١٧٣ .

١١٨ – ابن سنان : ص ٣٨، مسكويه : جـ ١ ص ١٢٠ ، الصابئ : الوزراء ص ٥٦ ، عريب : ص ١٠٣ .

١١٩ - المصدر السابق والصحيفة .

١٢٠ - ابن سنان : ص ٤٥ ، مسكويه : جـ ١ ص ١٣٩ ، مجهول : العيون، جـ ٤ ص ٢٢٦ .

١٢١ - ابن الوردي : تاريخ، جـ ١ ص ٣٥٨ ، ابن خلدون : تاريخ، جـ ٣ ص ٣٧٧ .

١٢٢ - ابن سنان : ص ٤٦ ، مسكويه : جـ ١ ص ١٦٥ ، المسعودي : التلبية، ص ٣٨١ .

١٢٣ - الهمداني : تكملة الطبري، جـ ١ ص ٥٩ ، مسكويه : جـ ١ ص ١٥٧ .

١٢٤ - الخطيب الموصلي : غاية المرام، ص ١٣٨ .

١٢٥ - ابن سنان ص ٥١ ، مجهول : العيون والحدائق، جـ ٤ ص ٢٤٠ .

١٢٦ - ابن سنان : ص ٥٣ ، مسكويه : جـ ١ ص ٢٠١ ، الذهبي : جـ ١ ص ١٩٢ ، المسعودي : التنبيه ص ٤٣٤ .

١٢٧ - ابن الآبار : الحلة السيراء، جـ ٢ ص٢٨٩ .

١٢٨ - السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٤ .

١٢٩ - عريب : صلة الطبري ، ص ١٣٩ .

١٣٠ - المقريزي : اتعاظ الحنفاء، ص ١٨٣ ، مسكويه : تجارب الأمم، جـ ٤ ص٢٨٤ ، ياقوت : المعجم، جـ ٢ ص ٥٦ .

١٣١ - ابن سنان : ص ٥ ، المسعودي : التنبيه، ص ٣٨٩ ، مسكويه : جـ ٤ ص ٢٨٧ .

١٣٢ - الصولي : أخبار الدولة العباسية، ص ٦٨ .

١٣٣ - مسكويه : جـ ٤ ص٣٦٧ ، مجهول العيون، جـ ٤ ص ٢٩٩ .

١٣٤ - ابن خلدون : تاريخ، جـ ٤ ص ١٠٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب، جـ ٢ ص ٣٠٨ .

مصادر ومراجع البحث

◆ ابن الأبار : عبد الله محمد بن عبد الله أبي بكر (ت و ٦٦٠هـ = ١٢٦٠م) .

١ - (الحلة السيراء) مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٣م .

◆ ابن الأثير : عز الدين بن الحسن علي بن آلكرم الشيباني (ت ٦٣٠هـ = ١٢٣٢م) .

٢ - (الكامل في التاريخ) دار صادر بيروت للطباعة ١٩٦٥ .

◆ ابن أبي الحديد : عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م) .

٣ - (شرح نهج البلاغة) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٩م) .

◆ ابن تغري بردي : جمال الدين أبي المحاسن (٨٧٤هـ = ١٤٦٦م) .

٤ - (النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة) طبع المؤسسة المصرية للتأليف والطبع ١٩٥٦م .

◆ ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ = ١٢٩٧م) .

٥ - (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) دار المعارف العثمانية / الركن ١٩٣٧ .

◆ ابن حوقل : أبو القاسم النصيب (ت ٣٦٧هـ =٩٧٧م) .

٦ - (صورة الأرض) مكتبة الحياة بيروت ١٩٧٩م .

◆ ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ = ١٤٠٥م) .

٧ - (العبر ديوان المبتدأ والخبر) دار الأعلمي للمطبوعات ١٩٧١م .

◆ ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد (ت ٦٨١هـ = ١٢٨٢م) .

٨ – (وفيات الأعيان) دار صادر بيروت ١٩٧١م .

◆ ابن خياط : أبو عمر خليفة (ت ٢٤٠هـ = ٨٥٤م) .

٩ – (تاريخ خليفة) مطبعة الآداب – اليمن ١٩٦٧م .

◆ ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ = ٩٠٣م) .

١٠ – (الأعلاق النفيسة) طبع بريل – لندن ١٨٩١م .

◆ ابن سنان : ثابت (ت ٣١٥هـ = ٩٧٥م) .

١١ – (تاريخ أخبار القرامطة) طبع دار العلم بيروت ١٩٧١م .

◆ ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ = ١٣٠٩م)

١٢ -(الفخري في الآداب السلطانية) دار صادر – بيروت ١٩٦٦م .

◆ ابن العبري : غريغوروس أبو الفرج بن هارون السلطي (ت ٦٨٥هـ = ١٢٨٦م) .

١٣ – (تاريخ مختصر الدول) المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٥٨م .

◆ ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ = ١٦٧٨م) .

١٤ – (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) نشر المكتب التجاري – بيروت .

◆ ابن قتيبه : محمد بن عبد الله الدينوري (ت ٢٧٦هـ = ٨٨٩م) .

١٥ – (المعارف) مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٦٠م .

◆ ابن كثير : أبو الفدا الحافظ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ = ١٣٦٢م) .

١٦ – (البداية والنهاية) نشر مكتبة المعارف – بيروت ١٩٧٧م .

◆ ابن محمد : الشيخ نعمان بن العراق (القرن العاشر الهجري = السادس عشر الميلادي) .

١٧– (معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر) طبع مجمع البحوث والآداب – إسلام أباد ١٩٧٣م .

◆ ابن المجاور : جمال الدين يوسف بن يعقوب (ت٦٩٠هـ = ١٢٩١م) .

١٨ – (تاريخ المستبصر صفة بلاد النجف ومكة وبعض الحجاز) طبع ليدن ١٩٥١م .

◆ ابن المقرب : جمال الدين بن المقرب العيوني (ت ٥٧٢هـ = ١١٧٦م) .

١٩ – (ديوان ابن المقرب) نشر مكتبة التعاون – الإحساء ١٩٦٣م .

◆ ابن منظور : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ = ١٣١١م) .

٢٠ - (لسان العرب) طبع دار صادر - بيروت ١٩٥٥م .

◆ ابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن أيوب (ت ٢١٨هـ = ٨٣٣م) .

٢١ - (السيرة النبوية) مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٥م .

◆ أبو الفدا : عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل (ت٧٣٢هـ = ١٣٢٦م) .

٢٢ - (المختصر في أخبار البشر) المطبعة الحسينية - مصر ١٩٤٨م .

◆ الأربلي : عبد الرحمن سنبط فيتو (ت ٧١٧هـ = ١٣١٧م) .

٢٣ - (خلاصة الذهب المسبوك) نشر مكتبة المثنى - بغداد .

◆ الأزدي : أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ = ٩٤٥م) .

٢٤ - (تاريخ الموصل) طبع لجنة إحياء التراث الإسلامي - مصر ١٩٦٧م .

◆ الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٢٧٠هـ = ٩٨٠م) .

٢٥ - (تهذيب اللغة) مطبعة سجل العرب - القاهرة ١٩٦٧م .

◆ الأصبهاني : أبو الفرج بن الحسين (ت ٣٥٦هـ = ٩٦٧م) .

٢٦ - (مقاتل الطالبيين) المطبعة الحيدرية - النجف ١٩٣٣م .

◆ البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت ٢٧٩هـ = ٨٩٢م) .

٢٧ - (فتوح البلدان) طبع دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٨م .

◆ البغدادي : عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ = ١٠٣٧م)

٢٨- (الفرق بين الفرق) دار الآفاق الحيدرية - بيروت ١٩٧٣م .

◆ الحميري : محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٦هـ = ١٣٢٢م) .

٢٩ - (الروض المعطار في خبر الأقطار) نشر مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٤م .

◆ خسرو : ناصر (ت ٤٨١هـ = ١٠٨٨م) .

٣٠ - (سفرنامه) مطبعة دار القلم - بيروت ١٩٧٠م .

◆ الخطيب الموصلي : ياسين خير الله العمري (ت ١٢٢٠هـ = ١٨٠٠م) .

٣١ – (غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد . . . دار السلام) نشر دار المصري – بغداد ١٩٦٨م .

◆ الذهبي : الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ = ١٣٤٧م) .

٣٢ – (دول الإسلام) نشر الهيئة المصرية للكتاب – القاهرة ١٩٧٤م .

◆ الزمخشري : جار الله محمد بن عمر (ت ٨٣٥هـ = ١١٤٤م) .

٣٣ – (كتاب الأمكنة والمياه والجبال) مطبعة السعدون – بغداد .

◆ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ = ١٥١١م) .

٣٤ – (تاريخ الخلفاء) مطبعة منير – بغداد ١٩٥٢م .

◆ الصابئ : أبو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ = ١٠٥٦م) .

٣٥ – (شمعة الأمراء في تاريخ الوزراء والكتاب) مطبعة البابي الحلبي – مصر ١٩٥٨م

◆ الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥ هـ = ٩٤٦م) .

٣٦ – (تاريخ الدولة العباسية) نشر دار المسيرة – بيروت ١٩٧٩م .

◆ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ = ٩٢٢م) .

٣٧ – (تاريخ الرسل والملوك) نشر دار المعارف – مصر ١٩٦٦م .

◆ عريب : ابن سعيد القرمطي (ت ٣٦٦هـ = ٩٧٦م) .

٣٨ – (صلة تاريخ الطبري) نشر دار المعارف – القاهرة ١٩٣٩م .

◆ مؤلف مجهول .

٣٩ – (كتاب العيون والحدائق في أخبار الحقائق) المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٧٢م .

◆ المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ = ٩٥٧م) .

٤٠ – (التنبيه والإشراف) نشر مكتبة خياط – بيروت ١٩٦٥م .

◆ مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ = ١٠٤٩م) .

٤١ – (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) نشر مكتبة المثنى – بغداد ١٩١٥م .

◆ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ = ١٤٥٥م) .

٤٢ – (ألفاظ الخفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) طبع القاهرة ١٩٦٧م .

◆ النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت ٦٧٢هـ = ١٢٧٢م .
٤٣ – (تهذيب الأسماء واللغات) نشر شركة علاء للطباعة بيروت .
◆ الحمداني : محمد بن عبد الملك بن إبراهيم (ت٥٢١هـ = ١١٢٧م) .
٤٤ – (تكملة تاريخ الطبري) المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٦١م .
◆ ياقوت : شهاب الدين أبي عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ = ١٢٢٨م) .
٤٥ – (معجم البلدان) دار صادر بيروت للطباعة – بيروت ١٩٥٥م .
◆ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الإخباري (ت ٢٩٢هـ = ٩٠٤م) .
٤٦ – (تاريخ اليعقوبي) نشر المكتبة الحيدرية – النجف ١٩٧٤م .
◆ اسماعيل : محمود .
٤٧ – (الحركات السرية في الإسلام . . رؤية عصرية) دار العلم – بيروت ١٩٧٣م .
◆ الإحسائي : محمد بن عبد الله .
٤٨ – (تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد) مطابع الرياض ١٩٦٠م .
◆ تامر : عارف .
٤٩ – (القرامطة . . أصلهم ونشأتهم وتاريخهم) نشر دار الكتاب العربي – بيروت .
◆ جوزي : بندلي .
٥٠ – (من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام) مطبعة الجهاد – بيروت .
◆ الدوري : عبد العزيز .
٥١ – (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) مطبعة الريان – بغداد ١٩٤٥م .
◆ العاني : عبد الرحمن النجم .
٥٢ – (البحرين في صدر الإسلام) دار الحرية للطباعة والنشر – بغداد ١٩٧٣ .
◆ غالب : مصطفى .
٥٣ – (القرامطة بين المد والجزر) دار الأندلس ١٩٧٩م .
◆ كيرفان : مونيك .
٥٤ – (حفريات قلعة البحرين) دار الآثار والمناخة البحرية ١٩٧٩م .

◆ لويس : برنارد .

٥٥ - (أسرى الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية) دار الحداثة - بيروت .

◆ المسلم : محمد سعيد .

٥٦ - (ساحل الذهب الأسود) نشر مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٢م .

◆ مصطفى : شاكر .

٥٧ - (دولة بني العباس) وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٤م

◆ أباحسين : علي .

٥٨ - (قرامطة البحرين أشد الحركات المعارضة) طبع المؤسسة العربية - البحرين ١٩٨٤م .

٥٩ - (وثائق سياسية عن صيد اللؤلؤ) مجلة الوثيقة العدد العاشر ١٩٨٧م .

◆ الحميدان : عبد الله ناصر .

٦٠ - (إمارة العصفوريين ودورها السياسي في الخليج العربي) مجلة الوثيقة - العدد ٣ - سنة ١٩٨٣م .

◆ الشامي : عبد العال عبد المنعم .

٦١ - (إقليم العروض في كتابات الجغرافيين العرب) مجلة دراسات الخليج والجزيرة - الكويت سنة ١٩٨٧م .

◆ كرفران : وأبو خلدون .

٦٢ - (حفريات قلعة البحرين) مجلة الوثيقة - العدد الأول ١٩٨٢ .

الاستقرار العربى فى الجـ



ـانب الشرقي للخليج العربي

خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة

بقلم : د. محمد كريم إبراهيم

اتصف الخليج العربي بأهمية متميزة منذ العصور القديمة، وتتضح تلك الأهمية بسبب موقعه الجغرافي ودوره في طرق المواصلات والتجارة العالمية ولما يتمتع به من موقع استراتيجي مهم، كان سبباً في تنافس عدة قوى دولية ومحلية منذ أقدم العصور وحتى الآن للسيطرة عليه والتحكم في مقدراته .

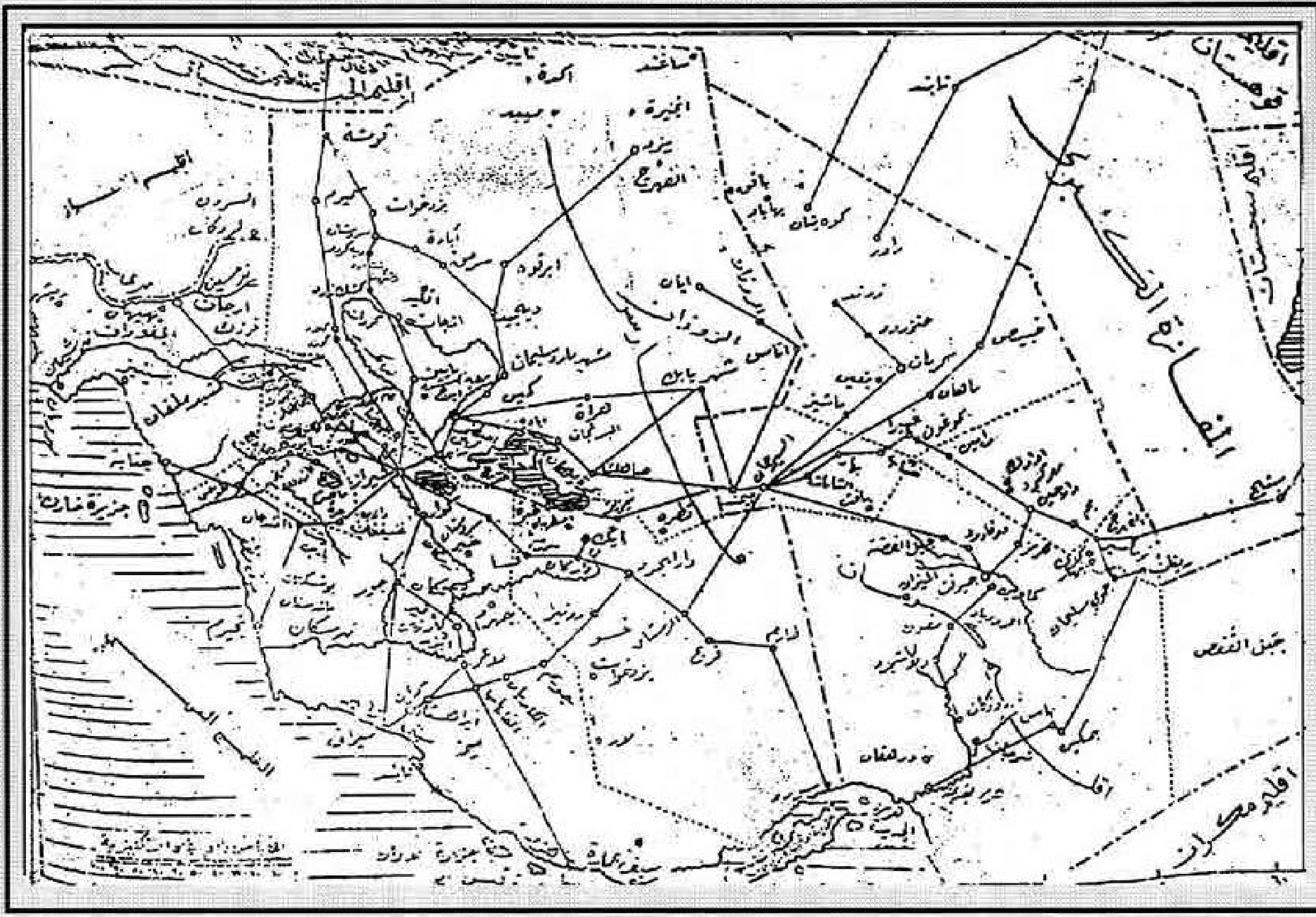
وتبدو تلك الأهمية واضحة عبر العصور التاريخية وعلى مختلف الأصعدة : السياسية والاقتصادية والفكرية، وما تعرضت إليه هذه المنطقة الحيوية من اعتداءات مستمرة منذ فجر التاريخ، مما جعل الكتاب العرب وغيرهم يولونها اهتماماً متميزاً في كتاباتهم، وظلوا

يشبعون الجانب الغربي من الخليج العربي دراسة دون الجانب الشرقي منه، الذي لابد من دراسته دراسة شاملة والعناية به عناية خاصة، بسبب استقرار العرب في هذا الجانب وامتداده إلى الداخل منذ عصور قديمة تعود إلى القرن الرابع الميلادي .

يهدف هذا البحث لدراسة الاستقرار العربي في الجانب الشرقي للخليج العربي، الممتد من مهروبان إلى ميناء سيراف، فضلاً عن المناطق الداخلية، منذ العصور القديمة وحتى أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ذلك الاستقرار الذي أصبح واضحاً جلياً ابتداءً من حركات التحرير العربي الإسلامي، وإيضاح دور القبائل العربية التي استقرت في السواحل والمناطق الداخلية من الجانب الشرقي والغربي منذ العصور القديمة وحتى عصرنا الراهن، نستدل على ذلك من آثار العرب الخالدة على جانبيه في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية والعمرانية . تلك الآثار التي نقل العرب من خلالها حضارتهم ومظاهرها وفكرهم إلى أمم وشعوب شتى . وأصبح وجودهم حقيقة ماثلة تدل على دورهم الإنساني في ركب التاريخ والحضارة الإنسانية .

استقرار العرب في السواحل والجزر

تعد الهجرات البشرية مسألة طبيعية بالنسبة للشعوب في مرحلة النمو السريع، أو ما يسمى بـ : مرحلة الشباب، لاسيما إذا ترافق نموها مع أوضاع سيئة اقتصادياً وأوضاع سياسية غير طبيعية مشوبة بالنزاع المستمر على الأرض في الداخل وعلاقات متردية مع جيرانها في الخارج، لذا كانت هجرة القبائل العربية من اليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية نحو شمالها وخارج حدودها، مسألة لابد منها بعد انهيار سد مأرب عصب الحياة لبلاد اليمن



الجانب الشرقي للخليج العربي

قديماً، وفي هذا الصدد يقول الهمداني[١] : "... ولحق كثير من ولد نصر بن الأزد بنواحي الشحر وريسوت وأطراف بلد فارس .."، ويبدو أن الضائقة الاقتصادية التي كان يمر بها العرب في ذلك العصر، اقترنت بوضع سياسي سيئ في بلاد فارس، إذ كان الملك فيها طفلا لا يملك القرار.

قام العرب بهجرات منظمة من البحرين وكاظمة إلى السواحل الشرقية للخليج العربي، واستقروا في أبو شهر وسواحل كورة أردشير خرة[٢]، ويؤكد الثعالبي[٣] ذلك إذ يقول : "... فسار جمع عظيم من بلاد أياد وناحية بلاد عبد القيس والبحرين وهجر وكاظمة وغيرها إلى أطراف العراق وأسياف فارس ...".

يتضح لنا من هذا النص أن هجرة العرب هذه كانت هجرة منظمة، لأنها جماعية وليست فردية، شملت مجموعة كبيرة من القبائل، كان أهم نتائجها استقرار العرب في السواحل الشرقية وسيطرتهم على اقتصاديات المنطقة التي هاجروا إليها، لكن الأمر غير الواضح هو وصف الدينوري لهؤلاء العرب بأنهم : "أعراب"، ونحن نتساءل هل كان للبدوي علم بركوب البحر والملاحة؛ خصوصاً وأن العرب انتقلوا من الساحل الغربي إلى الساحل الشرقي للخليج العربي، وهذا يعني استخدامهم سفنا بحرية، إذ لا يمكن بحال من الأحوال أن نتصور هؤلاء العرب سوى كونهم ذوي معرفة واسعة بركوب البحر، ولديهم سفنهم المُعَدَّة لذلك وهم ذوو إطلاع مسبق بأحوال الساحل الشرقي للخليج العربي من الناحيتين السياسية والاقتصادية، إذن فلابد أنهم كانوا يترددون على هذا الساحل بسفنهم لغرض التجارة وغيرها، وهم يعرفون جيداً الوضع السياسي والعسكري لهذا الساحل.

وتجدر الإشارة إلى أننا لا نتفق مع الثعالبي[٤] الذي برَّر هجرة العرب بسبب وضعهم الاقتصادي المتردي، ونقول أن العرب كانوا أصلا مستقرين في هذه السواحل منذ زمن بعيد، لهذا كانت قبائل عديدة أو جموع منها مستقرة فيها وامتلكوا المواشي والأراضي والزروع، ويحتمل أن استقرار العرب في هذه المنطقة حدث منذ القدم وقبل هذه الهجرات المنظمة في السواحل الشرقية، وكان ضعف السلطة المركزية للسلطة

الفارسية، حافزاً دفعهم إلى الهجرة الجماعية، بغية الاتساع في معايشهم . ومن المحتمل أيضاً أن تكون تلك المناطق أصلاً قليلة السكان، مما أدى بدوره إلى تشجيع هجرة العرب إليها وتملكهم الأراضي ومن ثم محاولتهم التخلص من السيطرة الفارسية، لذا قام سابور بن هرمز (ذو الأكتاف) بعدما امتلك أمره، بأعمال عسكرية كبيرة ضدهم . ولو افترضنا - جدلاً - أن أعداد العرب كانت قليلة ولم يحاولوا الاستقلال سياسياً عن دولة فارس، فكيف نفسر عجز دولة كبرى حينها عن إبعاد هؤلاء العرب طوال المدة التي كان فيها ملك فارس طفلاً ؟

ذكر الدينوري[٥] أن سابور ذو الأكتاف لما امتلك أمره قام بتجريد حملة عسكرية كبيرة ضد العرب المستقرين في السواحل الشرقية، معبراً عن حقده الدفين وحقد الفرس على العرب سكان المنطقة الأصليين، مستهدفاً تشتيتهم وانتزاع أراضيهم وممتلكاتهم بأسلوب غادر خبيث، ولم يقتصر سابور بعمله العدواني على ذلك فقط، بل قام بحملة عسكرية واسعة النطاق على السواحل الغربية للخليج العربي وديار العرب التي انطلقت منها الهجرات العربية إذ ورد أرض البحرين وبلاد عبد القيس وبكر بن وائل واليمامة وغيرها، وقتل وسبى الكثير من العرب في هذه القبائل[٦] .

توضح لنا هذه الحوادث أن العرب كانوا يمثلون قوة كبيرة، بدليل تجهيز دولة كبرى في ذلك العصر، مثل فارس، جيشاً لقتالهم في الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وكذلك في السواحل الغربية للخليج العربي وديار العرب، لكن العمليات العسكرية هذه لم تحقق أهدافها، بل على العكس من ذلك فقد عاد سابور وأسكن العرب في العديد من مناطق الساحل الشرقي للخليج العربي، ويبدو أنه رضخ للأمر الواقع ، أو أنه أدرك أنه من الحكمة مهادنة العرب وتسوية مشاكله معهم بأسلوب سياسي بدلاً من الأسلوب العسكري، مستهدفاً السيطرة على تلك القبائل بهذا الأسلوب الجديد .

وتعزيزاً لما ذكرناه يشير الثعالبي[٧] إلى ذلك مؤكداً عروبة المنطقة وعدم جدوى السياسة الفارسية في تهجير العرب، إذ يقول : "فأسكن بني تغلب دارين وعبد القيس وقبائل من تميم هجر

وبكر بن وائل كرمان وبني حنظلة تُوّج من كور فارس وأسكن وجوههم مدينته المسماة فيروز سابور[٨] . . . " .

وإذا تأملنا هذا النص جيداً يتضح لنا أن رؤساء أو شيوخ قبيلة بني حنظلة أسكنهم سابور مدينته (فيروز سابور)، ونعتقد أن ذلك لم يكن أبداً من باب التكريم لهم، إنما من المحتمل جداً أن يكون هذا الأمر قد تم لغرض إحكام السيطرة على القبيلة من خلال السيطرة على رؤسائها، خصوصاً إذا علمنا أن نظام القبيلة يقتضي وجود الشيخ إلى جانب قبيلته لمباشرة أمورها .

لم يكن استقرار العرب في الساحل الشرقي للخليج العربي محدداً في بقعة جغرافية معينة من هذا الساحل، وإنما كان ممتداً على طوله من الشمال حتى مضيق هرمز تقريباً، وكانت الهجرات العربية مستمرة عبر التاريخ قبل الإسلام وبعد حروب التحرير العربية، إذ يرجع استقرار العرب في الساحل الشرقي للخليج العربي إلى عهود قديمة قد تمتد إلى أوائل القرن الرابع الميلادي أو قبلها[٩]، ويبدو لنا أن الهجرات العربية كانت متتابعة ومنطلقة من كل أجزاء الساحل الغربي للخليج العربي نحو الساحل الشرقي، فالأزد انطلقوا نحو كرمان وأسس سُليمة بن مالك[١٠] من قبائل الأزد إمارة حكمها هو وأولاده من بعده، حيث استقر في جزيرة جاسك[١١] أو جاشك، قرب الساحل الشرقي للخليج العربي وتزوج هناك، وملك سُليمة بن مالك كرمان، وتوفي وهو ملك عليها، ثم اختلف أولاده من بعده، فزال ملكهم وتفرقوا في أرض فارس وكرمان[١٢]، يقول العوتبي[١٣] : " . . . وسليمة بن مالك، وولده بأرض كرمان وفارس، وبعمان منهم الأقل . . . " .

انطلقت من عمان أكثر الهجرات العربية قاطبة إلى الساحل الشرقي للخليج العربي، وأهمها هجرة بني الجلندي من الأزد، وقد شكل هؤلاء مجموعتين قبليتين هما : آل عمارة وآل الصفار، ووصف الأصطخري[١٤] آل عمارة بقوله : " . . . ومنهم آل عمارة ويعرفون بآل الجلندي، ولهم مملكة عريضة وضياع كثيرة وقلاع على سيف البحر بفارس متاخمة لحد كرمان، ويزعمون أن ملكهم هناك قبل موسى عليه السلام، وأنه الذي قال الله عز وجل [فيه] "**وكان وراءهم ملك** . ."، هو الجلندي . . " . وأكد الهمداني[١٥] هذه

الرواية، إذ ذكر أن قسماً كبيراً من قبيلة الأزد هاجروا إلى الساحل الشرقي واستقروا فيه، خاصة في موقع يقال له: الجويم[١٦]، استقر فيه آل الجلندي.

وعلى الرغم من المبالغة الواردة في نص الأصطخري، في كون مُلك آل عمارة من الأزد كان قبل نبي الله موسى عليه السلام، لبعد الزمن بين عصر موسى وعصرهم، لكن من المؤكد أن هجرتهم هذه كانت قبل الإسلام بكثير، بل إنهم امتلكوا مملكة واسعة تقع شرقي جزيرة قيس[١٧]، وقد وصفهم الأصطخري[١٨] بقوله: "وهم قوم من أزد اليمن، ولهم إلى يومنا هذا منعة وعدة وبأس وعدد، لا يستطيع السلطان أن يقهرهم . . .".

يتضح لنا أن كثيراً من المصادر تجمع على عراقة وجود العرب من آل الجلندي واستقرارهم في الساحل الشرقي للخليج العربي، وكانوا يتمتعون باستقلال سياسي شبه تام منذ عصر متقدم جداً حتى منتصف القرن الرابع الهجري كما يبدو لنا من نص الأصطخري، بل كان لهم أيضاً تأثير سياسي وعسكري كبير، بدليل وجود قلاع مهمة لهم تشرف على الخليج العربي، تمكنوا من خلالها من السيطرة على حركة مرور السفن وفرض الرسوم والعشور عليها، ويؤكد الأصطخري[١٩] ذلك، إذ يقول: ". . . وإليهم أرصاد البحر وعشور السفن . . "، وقد بنى آل عمارة قلعة صعبة المنال لا يمكن فتحها بسهولة لمنعتها، ومنها يتم رصد السفن واستحصال العشور عليها، وتسمى بـ: قلعة الديكدان[٢٠]، وكانت القلعة تطل على الميناء[٢١].

نستنتج من ذلك أن آل عمارة كانوا معنيين بأمن الخليج العربي، من حيث سلامة وأمن السفن والتجارات المارة فيه، فضلاً عن كونهم يمتلكون القوة الكافية من حيث العدد والعدة والموقع الاستراتيجي، بما يمثله مدخل الخليج العربي من أهمية وما تمثله قلعتهم من وسيلة دفاعية مهمة في مدخله، من هنا تمكن آل عمارة من استحصال الرسوم والعشور عن هذه التجارات، وبما أن بعض هذه التجارات يدخل إلى المنطقة، لذا لابد من قيام ميناء صالح لرسو السفن (المراكب) فأقاموا ميناء يمكنه استقبال وتفريغ حمولة عدد منها دفعة واحدة.

أما القبيلة الثانية من آل الجلندي فهم: آل الصفار، وهم الذين نسب

إليهم جزء من ساحل كورة أردشير خرة، وصفهم الأصطخري[٢٢] بأنهم : "... أقدم من ملوك الإسلام بفارس، وأمنعهم جانباً ..." . ويدل هذا النص دلالة قاطعة على أن وجود آل الصفار يرجع إلى ما قبل الإسلام، فهم من حيث الاستقرار في الجانب الشرقي للخليج العربي أقدم من ولاة الإسلام، ونستدل من النص أيضاً على قوتهم العسكرية فهم في منعة من التدخل في شئونهم الداخلية أو ملكيتهم للساحل والأرض .

ومن آل الصفار صاحب زم الكاريان[٢٣] ، فقد بقي هذا الزم بيد عرب الأزد طوال تلك المدة، على الرغم من عدم علمنا متى كان ذلك بالضبط، لكننا نعرف - في الأقل - أن هذا الزم بقي بأيديهم، إذ تذكر بعض المصادر[٢٤] قلعة الكاريان الحصينة، وكان مالك هذا الزم أحمد بن الحسين الأزدي وابنه حجر من بعده، ويبدو أن الأخير كان حياً في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ذكر العاني [٢٥] أن القوات العسكرية لهذا الزم بلغت ثلاثة آلاف مقاتل، ومن خلال وقفة سريعة عند هذا العدد يمكننا استنتاج حجم الاستقرار العربي في هذا الزم من خلال تفحصنا لعدد مقاتليه .

وذكر الأصطخري[٢٦] أن زم اللوالجان كان بأيدي آل الصفار، لكن الأمور لم تكن لصالحهم في منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، إذ انتُزِعت ملكيته من أيديهم .

استقرت أعداد كبيرة من العرب من قبيلة سامه بن لؤي في الساحل الشرقي للخليج العربي، منهم آل أبي زهير المديني، وينسب إليهم سيف بن زهير المتد من مدينة نُجَيْرم[٢٧] الساحلية إلى الحد الفاصل مع سيف آل عمارة، ومركز استقرارهم مدينة كُران[٢٨]، وقد برز الكثيرون من رجالهم، مثل جعفر بن أبي زهير الذي بلغ من نبوغه السياسي أن قال فيه الخليفة العباسي هارون الرشيد : "لولا طرشٌ به لاستوزرته ...."[٢٩] .

واستقر فرع من آل أبي زهير، وهم آل المظفر إلى الشمال من المنطقة سالفة الذكر على الساحل نفسه، ابتداءً من مدينة نجيرم جنوباً حتى مدينة جنابه شمالاً، وقد وصفهم الأصطخري[٣٠] بقوله : "... والمظفر بن جعفر الذي

يملك عامة الدستقان وله مملكة السيف من حد جنابه إلى حد نُجيرم وسائر آل بني زهير من نجيرم إلى حد بني عمارة وسكن آل بني زهير كُران، وسكن المُظفر على ساحل البحر بصفارة . . . ".

يتبين لنا من هذه النصوص أن قبائل عربية عديدة كانت تقطن الساحل الشرقي للخليج العربي قبل الإسلام، ابتداءً من مضيق هرمز حتى مدينة جنابة الساحلية شمال الخليج العربي، وما بعد ذلك فهو يدخل ضمن إقليم الأحواز العربي .

كان لحروب التحرير العربية دور مهم في استقرار القبائل العربية في هذه المنطقة، ذكر مؤلف كتاب "فارسنامة"[٣١] أن العرب من القبائل العربية النجدية والعمانية واليمانية نزحوا إلى الساحل الشرقي في عهد الدولتين الأموية والعباسية واستقرارهم يرجع إلى فجر الإسلام . وعلى الرغم من أن رأيه هذا لم يكن صحيحاً ولا دقيقاً - **إذ سبق أن أوضحنا أن الاستقرار العربي في هذا الساحل يرجع إلى عصور سبقت الإسلام** - إلا أن كلامه يؤكد الاستقرار العربي في السواحل الشرقية .

ولما خرج الخريت بن راشد - وهو من بني ناجية - على الخليفة علي ﷺ، اتجه إلى الجانب الشرقي وإلى أسياف (سواحل) البحر، وذلك لكسب المؤيدين له من ناحية، ولأجل الامتناع بقومه من ناحية أخرى، لوجود بطون كثيرة من قبائل عبد القيس وبني ناجية، روى الطبري[٣٢] ذلك بقوله : " . . . فنبئ بمكانه بالأسياف، وأنه قد رَدَّ قومه عن طاعة علي، وأفسد من قبله من عبد القيس ومن والاهم من سائر العرب، وكان قومه قد منعوا الصدقة عام صفين ومنعوها ذلك العام أيضاً . . ." . ويتضح لنا أن بعض قبائل بني ناجية وكذلك عبد القيس وعرباً آخرين استقروا في هذه السواحل، منذ وقت مبكر من بداية التحرير العربي للمنطقة، بل من المرجح أن هؤلاء العرب استقروا في هذه السواحل قبل الإسلام، وكانت لهم القوة الكافية من الرجال والعدة . بحيث أنهم منعوا الصدقة والزكاة عامين، وهذا دليل على ضعف إيمانهم، ولعلهم من أوائل العرب الذين عبروا من

سواحل البحرين وكاظمة وغيرهما قبل الإسلام بقرون[٣٣].

وهنالك أيضاً قبيلة عربية من قبائل الأزد هي: آل الصفاق، يرجع نسبها إلى مالك بن فهم، ولها عدد ورئاسة، وصفها ابن الفقيه[٣٤] بقوله " . . . وفي شرق هذا البحر [الخليج العربي] فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بني الصفاق وجزيرة ابن كاوان . . . " .

لجزر الخليج العربي القريبة من الساحل الشرقي أهمية لا تقل عن أهمية الساحل نفسه، من حيث الاستقرار العربي فيها، بل إن المنطق يحتم علينا أن ندرك إمكانية قيام استقرار بشري عربي في الساحل الشرقي للخليج العربي دون السيطرة على هذه الجزر، وأهمها : جزيرة ابن كاوان، أو بني كاوان التي ذكرها الحموي[٣٥] بقوله : " . . . كاوان اسمه الحارث بن امرئ القيس بن حجر بن عامر بن زياد بن عصر بن عوف بن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . . . " .

إن نسبة جزيرة مهمة في مدخل الخليج العربي إلى رجل عربي يعني عائديتها إلى العرب منذ القدم، ووصف بن خرداذبة[٣٦] أهلها بأنهم [شراة أباضية] . ونعتقد أن قرب هذه الجزيرة من عمان، ووحدة المذهب الأباضي بين أهل عمان وأهل هذه الجزيرة، يجعلنا نرجح أن أهل هذه الجزيرة هم من نفس جنس الشريحة الاجتماعية المستقرة في عمان، أي من قبائل الأزد العمانية العربية، وإلى ذلك يشير بن حزم[٣٧] بقوله : " . . . وللجلندي عقب يملكون جزيرة واسعة بقرب عمان إلى اليوم" . ونستنتج من هذا النص أن العرب من نسل الجلندي كانوا مستقرين في هذه الجزيرة في الأقل حتى أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وهو عصر بن حزم المذكور .

تعد جزيرة بني كاوان، أو (لافت) من فتوح عثمان بن أبي العاص عام ١٩ هـ/ ٦٤٠م، وكان قائد الحملة الحكم بن أبي العاص، إذ حررتها قوات مكونة من ألفي مقاتل من قبائل الأزد وعبد القيس وتميم وبني ناجية[٣٨]، ويبدو أن هذه الجزيرة تميزت ببعدها عن قبضة السلطة المركزية، مما كان له أثره لأن تصبح وكراً للمعارضة السياسية، حيث كانت الملجأ الأمين للخوارج، إذ التجأ

إليها شيبان بن الحلس بن عبد العزيز اليشكري الشيباني الخارجي، ووقعت هناك معركة فاصلة بين قواته وقوات الدولة العباسية عام ١٣٤هـ/٧٥١م[٣٩].

من الواضح جداً أن سكان جزيرة بني كاوان هم من العرب فقط، إذ جنَّدهم يزيد بن المهلب بن أبي صفرة أيام ولايته على العراق والبحرين وعمان في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، وانفرد العوتبي[٤٠] برواية يؤكد فيها هذا الأمر، إذ يقول : ". . . وبعث يزيد بن المهلب المنهال بن عيينة إلى جزيرة بني كاوان وأمر زياد بن المهلب [وهو أخوه وعامله على عمان حينها] أن يفرض لأهل كاوان ويوجههم المنهال إلى البصرة . . . " .

من خلال هذا النص وبحكم معرفتنا الكافية بآل المهلب واعتمادهم على العرب وقومهم من الأزد بالدرجة الأولى في القتال، نرجح بأن يكون سكان جزيرة بني كاوان من قبائل الأزد فقط، إن لم يكن معهم بعض العرب من قبائل أخرى .

أما الجزيرة الثانية في الأهمية بالنسبة لجزر الخليج العربي، والتي كان لاستقرار العرب فيها دور مهم، فهي جزيرة قيس، وتقع إلى الشمال من جزيرة بني كاوان، ومازالت تعرف وتكتب على خوارط الخليج العربي باسم : (جزيرة كيش) خطأً، والصحيح : قيس .

برزت أهمية جزيرة قيس بعد زلزال عام ٣٦٦ - ٣٦٧هـ / ٩٧٦ - ٩٧٧م، الذي ضرب المنطقة ودمر ميناء سيراف[٤١]، وأشار الحموي[٤٢] إلى إعمار هذه الجزيرة وأثره على ميناء سيراف بقوله : ". . . فمنذ عَمَّر [قيس] بن عميرة جزيرة قيس صارت فُرضة الهند وإليها مُنقَلب التجار خربت سيراف وغيرها . "

أما القفطي[٤٣] فقد أوضح سبب اختلاف تسمية وعائدية جزيرة قيس للعرب، وسبب تحريف اسمها إلى كيش بقوله : ". . . إحدى جزائر البحر الهندي [الخليج العربي] قد اشتهرت تسميتها بذلك، وهو على غير الأصل والحقيقة في تسميتها جزيرة قيس، منسوبة إلى قيس بن عُميرة، من ربيعة الفَرَس، كان قد نزلها واستوطنها هو وأهله بعده، ثم استولت عليها بعد ذلك الأعاجم، وملكها قوم من فارس من

أولاد الأساورة وسموها كيش، عجّموا قيساً . . . " .

يتضح لنا من هذا النص أن جزيرة قيس جزيرة عربية، لأن أول من استقر بها وبنى بها البناء وجعلها ميناءً عامراً بالحركة ترسو فيه السفن، هم العرب، ووصفها القزويني(٤٤) بأنها : "مُنقلب التجارة ومتجر العرب والعجم، شربها من الآبار ولخواص الناس صهاريج . حولها جزائر كلها لصاحب قيس . . " .

وهناك جزر عديدة في الخليج العربي قرب الساحل الشرقي، يبدو أنها قليلة السكان، وربما قليلة الأهمية، لذا لم نذكر سوى أسمائها مثل : قشم وهنجام وخارك وغيرها من الجزر(٤٥) .

أما ميناء سيراف فهو مدينة تقع في سيف آل زهير من بني سامة بن لؤي(٤٦)، وعلى هذا الأساس فإن العرب استقروا في هذا الميناء بحكم ملكيتهم ووجودهم في السيف (الساحل)، وهناك إشارات إلى استقرار الكثير من العلويين في سيراف، منهم : الحسن وعلي ابنا محمد بن أحمد بن عبيد الله، توفيا في سيراف ولهما عقب (أبناء)، كذلك هناك عقب من أولاد أبي عبد الله الحسن نقيب الهاشميين بن عبيد الله الأصغر(٤٧) .

ونظراً لأهمية ميناء سيراف لكل من العراق بشكل عام، والبصرة بشكل خاص، وكونه محطة رئيسة للتجارة، فقد وفد إليه الكثير من تجار العرب واستقروا فيه، ففي رواية(٤٨) أن كاتباً عراقياً من سواد الحِلّة اسمه علي النيلي،عمل لتاجر هندي سكن سيراف .

استقرار العرب في المناطق الداخلية

١ - مدينة فسا ودارا بجرد[٤٩] :

لم يقتصر استقرار وانتشار العرب على السواحل الشرقية للخليج العربي،

وإنما انتشروا في المناطق الداخلية، وإلى ذلك يشير البلاذري[٥٠] بقوله : "وبفسا قلعة تعرف بخرشنة ابن مسعود من بني تميم ثم من بني شقرة كان مع ابن الأشعث فتحصن في هذه القلعة ثم أومن فمات بواسط وله عقب بفسا . . ."، ولا يمكننا قبول فكرة استقرار ذرية خرشنة في بيئة فارسية دون أن تكون هناك أحياء عربية بكاملها في مدينة فسا، على أن البخاري الذي كان حياً في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، يؤكد أن هنالك الكثير من العلويين الذين استقروا في هذه المدينة، إذ يقول[٥١] : ". . . بفسا فارس من ولد علي بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي قدر ثلاثمائة رجل . . .، وكان منهم عقيل المقتول ﷺ ولاّه عضد الدولة بن بويه ثم قتله . . ." .

يتضح لنا أن عددا من العرب العلويين استقروا في هذه المدينة، وقد لعبت الظروف السياسية في عهد الدولتين الأموية والعباسية أثراً كبيراً في استقرارهم في هذه المدينة أو غيرها من المدن التي سيرد ذكرها، ولعل العلويين وجدوا لهم المؤيدين في هذه المناطق سواء من العرب أو من الأعاجم الناقمين على السلطة العربية في دمشق أو بغداد، فإذا كان عدد هؤلاء العلويين في هذه المدينة ثلاثمائة رجل، فنحن نتساءل كم هو عدد العرب جميعاً فيها ؟

كما استقرت جماعة أخرى من العرب العلويين في هذه المدينة من أحفاد موسى الكاظم ومحمد بن الحنفية، منهم : القاسم وعبد الله والحسن أبناء إسحق بن عبد الله وغيرهم[٥٢] .

تعد مدينة دارا بجرد وهي قصبة (عاصمة) كورة دارابجرد، من المدن التي استقر فيها العرب، وصفها الأصطخري[٥٣] بقوله : ". . . وليس بها في زماننا كثير من العجم . . ." .

وبما أن هذه المدينة كبيرة وتتصف بحركة دائبة أيام الأصطخري في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، فلابد أن تكون غالبية سكانها من العرب، وفي اعتقادنا أن ذلك هو التفسير المنطقي والأكثر صواباً، لكن من المحتمل وجود بعض الأقليات في هذه المدينة من الفرس والأكراد وغيرهم.

٢ - كورة اصطخر :

لعل من أهم الأسباب التي أدت إلى ازدياد هجرة العرب إلى الجانب الشرقي للخليج العربي، هي عملية التحرير العربي الإسلامي وما تمخض عنها من دخول العرب إلى بلاد فارس، والتي كانت سببا إضافياً مهماً في استقرار العرب بعد توحيد المجتمع الجديد برباط الدين الإسلامي الحنيف، وانتشار اللغة العربية لغة العرب فيه. وكانت كورة اصطخر إحدى هذه الكور التي استقر فيها العرب، فقد استقر بها آل حنظلة من بني تميم ولعبوا دوراً سياسياً واقتصادياً بارزاً في هذه الكورة ومدينتها اصطخر بشكل خاص وفي عموم المنطقة بشكل عام[٥٤].

كانت حركة أبي بلال مرداس بن أُديَة أو حدير[٥٥] الخارجي - الذي تمرد على الدولة الأموية في إقليم الأحواز عام ٥٨هـ/٦٧٧م - سبباً في مقتل أخيه (عروة) في البصرة من قِبل عاملها عبيد الله بن زياد [٥٦]، ومن ثم إرسال عدة جيوش لقتال مرداس تمكنت من قتله عام ٦١هـ/٦٨٠م في مدينة تُوَّج[٥٧]، كل ذلك أدى إلى انتقال أبناء عروة بن أُدَيَّة من البصرة إلى اصطخر، ويؤكد الاصطخري[٥٨] ذلك في حديثه عن العرب في هذه المنطقة، إذ يقول: "ومنهم آل حنظلة بن تميم من ولد عروة بن أُدية فسكنوا اصطخر ونواحيها، وملكوا الأموال الكثيرة والقرى النفيسة". ويدلل هذا النص على سبب انتقال آل حنظلة، والغريب أن النص يحدد عبورهم الخليج العربي من البحرين، وليس بطريق البر أو البحر من البصرة ثم فارس واصطخر، علما بأنهم ممن استقروا في البصرة قبل انتقالهم إلى اصطخر، ويدل النص على كثرتهم وهذا أمر طبيعي، فالفارق الزمني كبير بين مقتل عروة ومرداس في منتصف القرن الأول الهجري تقريباً ومنتصف القرن الرابع الهجري، إذ من المؤكد أن ذريتهما بلغت عدداً كبيراً جداً إن لم

ترتحل معهم أعداد من بني حنظلة التميميين حينها، وهم الذين أسهموا جدياً في الحركات الخارجية في البصرة وفارس .

يشير ابن حزم[٥٩] إلى ذرية مرداس بن أُدَيَّة في اصطخر، إذ يقول : "ولأبي بلال [مرداس بن أُدَيَّة] هذا عقب كثير بأصطخر" . ويبدو أن أهل هذا البيت كانوا من الموسرين جداً، يقول الأصطخري[٦٠] : "وكان منهم عمرو بن عُيَيْنة، وبلغ من يساره أنه ابتاع بألف ألف درهم مصاحف فوقفها في مدن الإسلام، وكان مبلغ خراج أهل هذا البيت في ضياعهم نحو عشرة آلاف ألف درهم . . . " . إن هذا الثراء يدل على ما كان لهذا البيت من يد طولى في اقتصاد اصطخر، إذ بلغ مقدار الخراج السنوي لآل حنظلة في اصطخر حوالي عشرة ملايين درهم، وهو مبلغ كبير جداً يدلل على القدرة الاقتصادية لهذه القبيلة في اصطخر .

ومما لا ريب فيه أن الاقتصاد والقدرة المالية يلعبان دوراً أساسياً كبيراً ويشكلان أهمية كبيرة في هذا الخصوص، إذ يمكن من خلالهما إعداد قوات عسكرية وتدريبها بشكل جيد، ومن المحتمل أن يكون لآل حنظلة مثل هذه القوات، بل لابد وأنهم سيطروا سياسياً وعسكرياً على مساحات كبيرة من أراضي أصطخر، لذلك ولّى الخليفة العباسي المأمون أحد أعيان هذه القبيلة حماية الخليج العربي وتطهير مياهه من لصوص البحر والقراصنة الذين كانوا يهددون التجارة المارة فيه، ويشير الأصطخري[٦١] إلى ذلك بأن الخليفة المأمون ولّى عمر بن إبراهيم الحنظلي حماية البحر بقتال القراصنة واللصوص، بل برز من هذا البيت رجال طموحون امتاز بعضهم بفتوته العربية، خصوصاً بعد سيطرة الأجانب المرتزقة على مقدرات الخلافة، وعمل على انتزاع هذه المنطقة من أيدي الجند الأتراك، ويروي الأصطخري بخصوص ذلك، إذ يقول : "واستولى محمد بن واصل [الحنظلي] على فارس، فبُعِث إليه من بغداد عبد الرحمن بن مفلح، وكان على جيشه طاشم في جيش عظيم، فهُزِم جيش عبد الرحمن وقُتِل طاشم، وأسر عبد الرحمن وقتله، فصفت له فارس . . . " . ويبدو أن نهاية حكم محمد بن واصل للمنطقة كانت على يد يعقوب بن الليث الصفار أمير سجستان، الذي جاء بدعوة من ابن عم محمد بن واصل، وهو

مرداس بن عمر بـن إبراهيم الحنظلـي، لأن ابن واصل حاول قتل ابن عمه هذا، لكن أمر محمد بن واصل انتهى بأسره وقتله في سيراف، بعد هزيمة قواته أمام قوات يعقوب بن الليث الصفار .

ومن الآثار التي تدل على الاستقرار العربي في اصطخـر، القلعة المعروفة بـ "قلعة زياد"، التي تحصن فيها زياد بن أبيه مدة من الزمن بعـد أن أقام عليـها تحصينـات مهمـة، عندمـا كـان عـاملاً للخليفـة علـي ﷺ، ثـم تحصـن فيـها آخر أيام بني أمية منصور بن جعفر اليشكري، الـذي كـان عـاملاً للأمويين على بلاد فارس، ثم خربـها محمد بـن واصل الحنظلي بعـد سيطرته علـى فـارس، لكنـه احتـاج إليـها فأعـاد بناءها[٦٢] . وهكـذا تعـد هـذه القلعـة شـاهداً صريحـاً علـى الاستقرار العربـي ليس بالنسبة للـولاة فحسـب، إنمـا للسكان العرب الذين أعادوا بناءها أكثر من مرة .

كذلـك استقر العرب مـن قبـائل الأزدفي مدينة اصطخر . لاسيما من نسل فراهيد بن مالك بن فهم الأزدي، ومنهم أبو دُرسـة وولـده، وهـو أبـو دُرسـة بـن راشد بن عمرو الحديدي بن النعمان بـن حي بن حاضر بن ظالم بن فراهيد[٦٣] .

ويظهر الأثر العربي واضحاً في هذه الكـورة، بدليـل تسمية إحـدى مدنــها باسم عربي، وهي مدينـة البيضـاء، ومـا يـزال هـذا الاسـم متـداولاً إلى يومنـا هـذا[٦٤] .

٣ - مدينة شيراز :

يبدو الأثر العربي باستقرار العـرب واضحاً في هذه المدينة، متمثلاً بالدرجـة الأولى في بناء العرب لهـا، إبـان مرحلـة التحرير العربي الإسلامي .

تتفق الروايات على أن الـذي بنـى هذه المدينة هو محمد بن القاسم بن أبـي عقيـل الثقفـي، بـن عـم الحجـاج بـن يوسـف الثقفـي والي العـراق المشـهور في عصر الدولة الأموية، وذلك حين أرسـله لفتح بـلاد السند[٦٥] . وهنــاك خطـأ بخصـوص مدينـة شـيراز، فقـد ذكـر المقدسي[٦٦] خطأً أنها مدينة قديمـة مـن بناء شيراز بن فارس، ودليلنا على خطأ روايـة المقدسـي مـا ذكـره الأصطخـري عنها، إذ قـال[٦٧] : "وكـانت [شيراز] معسكراً للمسلمين لمـا أنـاخوا علـى فتـح اصطخـر، فلمـا فتحـوا اصطخـر نـزل

(محمد بن القاسم) بهذا المكان فجُعل معسكر فارس، وبناها مدينة . . . ". وهذا شيء منطقي فكيف لجيش فاتح أن يسكن مع أبناء ذلك البلد في مدينة واحدة ؟ إذن لابد أن بناءها كان تدريجياً، وبين فتح اصطخر وولاية محمد بن القاسم الثقفي لفتح السند زمن طويل، ومن المحتمل أنها بنيت بين عامي ٨٥ -٩٢ هـ / ٧٠٤ - ٧١٠م(٦٨). أي قبل فتح بلاد السند من قِبَل هذا القائد، كما أن العرب جعلوها قصبة (عاصمة) للجانب الشرقي للخليج العربي، ومقراً لدار الإمارة والحبس والدواوين(٦٩) .

إن وجود مقر لعامل المنطقة وإدارتها وبقية المؤسسات العسكرية والمدنية في مدينة شيراز، لا يمكن أن يتم إلا بعد توفر الأمن - في الأقل - في بداية هذا العهد الجديد الذي ظهر بعد التحرير العربي الإسلامي للمنطقة، ومن هنا نستنتج أن هذه المدينة قد تم بناؤها بعد توزيعها خططاً على القاتلة العرب، فقد أُطلق على ربض المدينة اسم [ربض زياد]، الذي نسب إليه كثير من العلماء العرب، منهم : إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن المثنى الباهلي الشيرازي الربضي(٧٠)، كذلك هناك الدروب والسكك العربية في شيراز والتي سميت بأسماء قبائل عربية أو أسماء أبرز رجالها، ولا بد أنها تشير إلى خطط تلك القبائل، مثل : درب أسلم ودرب غسان وكذلك دار الإمارة في شيراز التي عرفت بـ : دار حراب بن ضرار المازني(٧١) .

وصل الكثير من العرب إلى شيراز إثر استقرار الأحوال السياسية في هذه المنطقة، لاسيما بعد تعريب الدواوين للعمل في هذه المؤسسات، مثل المُعَلّى بن النظر وهو عراقي الأصل عمل كاتباً للحسن بن رجاء، استقر بشيراز ومات بها، وكذلك الحسن بن عبد الله أبي سعيد بن المرزبان، وأصله من مدينة فسا استقر في شيراز، وهو منسوب إلى بني مروان من جهة أمه . وعمل في ديوان فارس فأجاد فيه، على الرغم من صعوبته، بسبب اتساع الرقعة وتنوع اقتصاديات المنطقة وضخامتها(٧٢) .

واستقر في شيراز من البيوتات العربية آل حبيب، ومنهم مدرك وأحمد والفضل، كذلك آل أبي صفية من موالي باهلة، وبني مازن وهم مع آل حبيب من الأسر والبيوتات العربية المشهورة،

والتي كانت تتناوب أعمال الدواوين بفارس منذ الفترات الإسلامية الأولى[٧٣] .

ومن العرب الذين استقروا في شيراز جماعة من الهاشميين والعلويين، منهم الحسن بن زيد الأسود . وكان له من الولد : الحسن ويحيى والحسين وإبراهيم ومحمد وزيد، كما استقر في شيراز أحمد وعلي ابنا القاسم (المتوفى بشيراز) بن أحمد بن سليمان بن القاسم الرسي العلوي، واستقر في شيراز أيضاً الكثير من أحفاد جعفر الصادق وموسى الكاظم وغيرهما[٧٤] .

مما سبق تتضح لنا كثرة العرب العلويين في هذه المدينة، وكان للأوضاع السياسية إبان قيام الدولة الأموية والعباسية وما تعرَّض له العلويون من ضغوط سياسية؛ بسبب قيام بعضهم بحركات ضد السلطة المركزية، أمثال عبد الله بن معاوية ومحمد وإبراهيم النفس الزكية، كل ذلك جعلهم يبتعدون عن مركز الخلافة ومناطق السيطرة المطلقة للخليفة باتجاه المناطق البعيدة ومنها مدينة شيراز ومن المحتمل أن عقيل بن الحسن بن حمزة بن أبي هاشم نقيب فارس[٧٥] استقر في شيراز، ذلك لأنه أطلق عليه لقب [نقيب فارس]؛ لأن شيراز هي عاصمة المنطقة .

ولم يكن العلويون مستقرين في مدينة شيراز فحسب، وإنما انتشروا في أريافها، فقد استقرت طائفة من أحفاد موسى الكاظم في قرية [جُرَّة] من رستاق شيراز، منهم الحسن بن إبراهيم وولده[٧٦] .

وكان للظروف السياسية في المناطق القريبة من فارس أثرها على المنطقة، ومن ملاحظة الأحوال السياسية في كل من البصرة والبحرين وعمان وغيرها من الأقاليم القريبة لفارس، نجد أنه كلما تعرضت هذه المنطقة لأية تغيرات سياسية أو عسكرية فإنها حتماً سوف تسبب انتقال بعض البيوتات أو أجزاء من بعض القبائل العربية إلى الساحل الشرقي للخليج العربي حيث الاستقرار والهدوء النسبي، ففي إثر الفتن التي وقعت في عمان عام ٢٧٧هـ/٨٩٠م أيام الخليفة العباسي المعتضد بالله، واستنجاد أهل عمان بعامل الخليفة في البحرين، وهو : محمد بن بور (أو ثور)، نزح الكثير من العرب في عمان، وخرج أهل مدينة صحار بعوائلهم وأموالهم إلى مدينة شيراز[٧٧] . وهكذا

يتضح لنا أن مدينة ساحلية عريقة في عمان هي (صحار) هجرها سكانها العرب ليستقروا في مدينة شيراز، وهذا يدل على ارتفاع حجم الاستقرار العربي في مدينة شيراز بشكل كبير جداً، خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

وبما أن مدينة شيراز هي قصبة (عاصمة) فارس، وبسبب أهميتها السياسية والاقتصادية والعلمية، فقد استقرت فيها نخبة من العلماء، منهم آل الخرجوشي ممن عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وهم من العرب منهم : محمد بن عبيد الله بن جعفر بن أحمد بن خرجوش بن عطية بن معن بن بكر بن شيبان بن منيع الخرجوشي الشيرازي، وابنه عبيد الله المتوفى بشيراز عام ٣٩٠هـ / ٩٩٩م، وحفيده أبو الفرج محمد بن عبيد الله الذي سكن بغداد، وهؤلاء هم أبرز رجال هذه الأسرة[٧٨] .

٤ – كورة أرَّجان :

تقع هذه الكورة على الحدود مع إقليم الأحواز العربي، الذي استقر فيه العرب منذ زمن بعيد جداً مثل قبيلتي حنظلة وبكر بن وائل[٧٩] . ويبدو أن قبيلة حنظلة من بني تميم استقرت أيضاً في أرجان، ففي رواية للقفطي[٨٠] أن لبني حنظلة ضياعاً ومزارع كثيرة في كورة أرُجان، وفيها من الموالي ممن انتسب إلى آل حنظلة .

واستقر في هذه الكورة أيضاً ومدينتها أرُجان عديد من العرب العلويين، منهم نقيب العلويين فيها أبو الحسن علي بن الحسين بن عبيد الله بن علي، واستقر فيها من ولد القاسم بن الحسن بن يزيد، العباس بن الحسن بن محمد بن الحسن البطحاني وعقبه محمد فيها . كما استقر في أرَّجان من ذرية جعفر الصادق : زيد بن الحسين بن زيد بن موسى بن جعفر الصادق، وأخوه أبو جعفر محمد وكثير من العرب الهاشميين العلويين[٨١] .

وبنى الولاة العرب إبان حروب التحرير العربية وبعدها الكثير من المساجد والجوامع فيها، فبنى الحكم بن نُهيك الهُجَيْمي، عامل الحجاج بن يوسف على أرُجان مسجداً ودار إمارة فيها[٨٢] . ويحتمل وجود الكثير من المؤسسات التي أقامها الولاة العرب

هناك، لكن المصادر لا تزودنا - مع الأسف - بمعلومات كافية حولها .

٥ - مدينة توَّج :

يرجع استقرار العرب في هذه المدينة إلى عصور قديمة، منذ القرن الرابع الميلادي تقريباً، حين أسكن سابور ذو الأكتاف بني حنظلة فيها[٨٣]، ويبدو أن استقرار بني حنظلة في تُوَّج جعل منها قاعدة لاستقرار أعداد أخرى من العرب من بني تميم وغيرهم في هذه المدينة والمدن الأخرى في السواحل الشرقية .

وبقيام حركات التحرير العربية الإسلامية، اجتازت القوات العربية الإسلامية، الخليج العربي لتخوض معارك عنيفة ضد جيوش كسرى، فقد عبرت هذه القوات بقيادة عثمان وأخيه الحكم بن أبي العاص عام ١٩هـ/٦٤٠م، وتم تحرير مدينة توَّج، فبنى بها المساجد وأسكنها عبد القيس ومصرها[٨٤] .

وصف بن خياط[٨٥] عثمان بن أبي العاص المقاتلة العرب، بقوله : "فنزلوا توَّج وابتنوا بها البناء ثم تحولوا عنها"، لكن هذا الأمر يبدو غريباً فمن يبني بناءً لابد أن يستقر فيه ولا يمكن بأية حال أن يبني الجيشٍ بناءً وهو غير مستقر وفي حالة كر وفر، إلا إذا كان المقصود من ذلك أنهم استقروا مدة طويلة ثم انتقل المقاتلة منها فقط .

ويؤكد البلاذري[٨٦] استقرار العرب في توَّج بعد التحرير، إذ يقول : "فنزل [عثمان بن أبي العاص] تُوَّج ففتحها وبنى بها المساجد وجعلها داراً للمسلمين وأسكنها عبد القيس وغيرهم"، ويتضح لنا من هذا النص أن مدينة تُوَّج أصبحت القاعدة العربية التي تخرج منها الجيوش نحو المناطق الأخرى في الجانب الشرقي للخليج العربي، بعد أن تحولت هذه المدينة إلى (دار هجرة وبنى [عثمان بن أبي العاص] مسجداً جامعاً، فكان يحارب أهل أردشير حتى غلب على طائفة من أرضهم، وغلب على ناحية من بلاد سابور وبلاد اصطخر وأرَّجان . . ."[٨٧] .

ويشير الدكتور ناجي حسن[٨٨] إلى تركيبة جيش عثمان بن أبي العاص فيقول : "وضم جيشه عبد القيس، والأزد، وتميم، وبني ناجية الذين أسكنهم تلك المناطق" .

وهكذا انتشر العرب من قبائل عديدة واستقروا في تُوَّج وغيرها من المناطق الأخرى، وكونوا المادة الرئيسية لجيش التحرير في المشرق الإسلامي، وعربوا تلك المناطق من خلال نشرهم اللغة العربية لغة القرآن الكريم ومادة الصلاة الرئيسية في الدين الإسلامي الحنيف، ومن خلالهم دخل المشرق الإسلامي مرحلة جديدة من التطور .

ويؤكد بن دريد[٨٩] وجود قبيلة عبد القيس في توج، لاسيما فصيلة منها تدعى اللبّو[٩٠]، إذ يقول : " وللبّو عدد كثير بتُوّج وغيرها، وليس فيهم رجل معروف إلا رجل يقال له زياد الفَرَس" . وليست لدينا معلومات عن زياد هذا، ولكن النص يؤكد وجود هذه القبيلة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وفي الأقل في العقود الأولى منه، ومن المحتمل أن يكونوا من أحفاد أولئك الرجال الذين سكنوا تُوَّج قبل الإسلام، أو أثناء حروب التحرير العربية الإسلامية وبعدها .

وذكر الحموي[٩١] في رواية عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، فصيلة اللبو هذه، إذ يقول : "وقال أبو عبيدة اللبّو قوم ينزلون في قلعة يقال لها معسر فوق سيراف في موقع يقال له فوزان" . ويؤكد هذا النص رواية بن دريد - سابقة الذكر - حول انتشار هذا البطن أو الفصيلة من قبيلة عبد القيس في تُوَّج وغيرها من مناطق الجانب الشرقي للخليج العربي .

وكان للظروف السياسية أو الاقتصادية التي تمر بها المنطقة، أثرها في توجيه سياسة العمال، فقد قام بعضهم بتوطين العرب فيها، نستدل على ذلك من رواية أوردها ابن الجوزي[٩٢]، لم يذكر فيها العرب صراحة، حول قيام عضد الدولة البويهي بإسكان أقوام في فارس، نرجح أنهم من العرب إذ يقول : "وحوَّل من البادية قوماً فأسكنهم بين فارس وكرمان فزرعوا وعمروا البرية" . ويؤكد لسترنج[٩٣] عروبتهم في حديثه عن تُوَّج، إذ يقول : "وقد أسكن عضد الدولة البويهي فيها عرباً جاء بهم من الشام" . وهذا النص يؤكد أن العرب الذين استقروا في توّج بتوجيه من عضد الدولة البويهي جاءوا من الشام، ولعل هدفه كان إبعادهم عن ديارهم وإلحاق

الأذى بهم، ولكن دورهم كان إيجابياً فزرعوا وعمروا البادية .

٦ - مدينة سابور :

انتشر العرب في هذه المدينة واستقروا فيها، وقد اتخذها الخوارج - لاسيما فرقة الأزارقة - داراً لهجرتهم واستقرارهم واعتصامهم من السلطة المركزية المتمثلة بالدولة الأموية، ففي القرن الأول الهجري، وبعد عام ٧٣هـ /٦٩٢م، يؤكد ابن أعثم[٩٤] ذلك بقوله : "والأزارقة يومئذ بها وقد جعلوها دار هجرتهم" . ومن خلال نظرة واحدة إلى جيش الأزارقة يتضح لنا حجم الاستقرار العربي في هذه المدينة، فقد بلغ عددهم أكثر من عشرين ألف مقاتل[٩٥]، ونتساءل كم يا ترى عددهم مع ذويهم ؟ خصوصاً وأن المصادر تؤكد أنهم عندما خرجوا من مدينة سابور، - بسبب ضغط جيش الدولة الأموية عليهم وشدة الحصار خرجوا مع نسائهم وذراريهم، ويروي ذلك ابن أعثم[٩٦] فيقول : "خرجت الأزارقة من مدينة سابور مع نسائهم وأموالهم وأولادهم هاربين على وجوههم" .

استقرت في مدينة سابور فيما بعد طائفة من العرب الهاشميين العلويين، منهم أحفاد وأبناء محمد بن أحمد بن عبيد الله . . . بن الحسن بن علي وأحفاد محمد بن الحنفية[٩٧]، كما استقرت فيها أعداد كبيرة من العلويين مثل : المرعشية والمحمدية، وهم من أحفاد محمد بن الحنفية وغيرهم[٩٨] .

واستقرت في المنطقة أقوام عربية من قبيلة الأسد " ومن بني شهميل بن الأسد : بنو قيس بن ثوبان، بطن لهم عدد بفارس"[٩٩] . وهنالك عرب في فارس من بني هلال، زارهم اللغوي البصري أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، وفي رواية[١٠٠] أن أبا عبيدة خرج إلى فارس، إلى الهلالي موسى بن عبد الرحمن فأعطاه، كما أن عضد الدولة البويهي ولّى القضاء ببغداد عام ٣٦٩هـ / ٩٧٩م عربياً يسكن فارس، "وقلد قضاء القضاة أبو سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير مقيم بفارس واستخلف له ببغداد أربع [كذا] خلفاء . . ."[١٠١] ، ولابد أن يكون هذا الرجل من ذوي العلم والرئاسة في المنطقة حينها .

د. محمد كريم إبراهيم

قسم التاريخ / كلية التربية

الجامعة المستنصرية - بغداد

الخلاصة

======

أكد البحث أن الخليج عربي بشاطئيه الغربي والشرقي، استقر فيه العرب منذ زمن بعيد يرجع إلى القرن الرابع الميلادي، إذ كان استقرارهم في الساحل الشرقي قبل حملة سابور ذي الأكتاف على شبه الجزيرة العربية، واستمر هذا الاستقرار حتى يومنا هذا، فمازال العرب يقطنون السواحل الشرقية للخليج العربي .

أثبت البحث ازدياد الهجرات العربية بعد حروب التحرير العربية لهذا الجانب، بل ازدادت أكثر في عهد الدولتين الأموية والعباسية، ولعب العرب دوراً سياسياً وعسكرياً متميزاً إلى الحد الذي أخضع بعضهم الجانب الشرقي له، ولم يقتصر استقرار العرب على السواحل الشرقية للخليج العربي والجزر القريبة منها، بل امتد استقرارهم إلى المناطق الداخلية للجانب الشرقي ومدنه المهمة .

أكد البحث ملكية جزر الخليج العربي كلها للعرب وعائدية الجزر القريبة من الساحل الشرقي للخليج العربي للعرب، مثل : جزيرتي بني كاوان وقيس، لذا فإن الجزر الواقعة في وسط الخليج العربي وقرب ساحله الغربي هي حقاً جزر عربية .

وكان دور العرب الريادي في حماية الخليج العربي واضحاً، بتعزيز الأمن والاستقرار فيه منذ زمن بعيد جداً، مما أدى إلى ازدهار الحركة التجارية البحرية والبرية، فبقي الخليج عربياً وظل الطابع العربي هو الطابع الذي يميز هويته العربية الأصيلة، على الرغم من كونه محطة لأنواع عديدة من التجارات العالمية .

أبرز البحث دور العرب في البناء والإعمار، إذ قاموا ببناء مدينة شيراز التي أصبحت عاصمة للجانب الشرقي بأجمعه، كما بنوا القلاع وحصنوها وبنوا المساجد والجوامع ودور الإمارة في كل المنطقة، لاسيما في شيراز التي استقر فيها العرب، وبقيت الكثير من دروبها وأرباضها وسككها تحمل أسماء عربية، فضلاً عما تركه العرب من آثار تخلدهم في أرُجان وتوَّج .

ملحق رقم (١) استقرار القبائل العربية في الجانب الشرقي للخليج العربي

القبائل العربية	السواحل	توج	سيراف	فسا	سابور	شيراز	اصطخر	أرجان	الملاحظات
الأزد	= آل عمارة آل الصفار آل الصفاق						= من بني فراشيد		وهناك من الأزد من بني سليمة بن مالك بن فهم في بلاد فارس (غير معروف استقرارهم) ومن المحتمل هم من استقر في السواحل أو في جزيرة بني كاوان
عبد القيس	=	=	=						
بنو ناجية	=								
تميم بنو حنظلة، بنوشقرة		= بنو حنظلة		= بنو شقرة			= بنو حنظلة	= بنو حنظلة	
بنو سامة بن لؤي آل زهير، آل المظفر	=		=						
أسد، بنو شهميل									وهم بطن كبير في بلاد فارس ولكن لم نستطع تحديد مناطق استقرارهم
العلويون			=	=	=	=		=	وهناك الكثير منهم ممن لم تحدد المدينة أو المنطقة التي استقروا فيها
ربيعة	= في جزيرة قيس								
عرب غير محددين بقبيلة ما					= الخوارج				الخوارج تركيبة كبيرة من تميم وبنو ناجية وعبد القيس وغيرها من القبائل

المصادر والمراجع

[أ] المصادر القديمة :

◆ ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، (ت : ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) .

١ - الكامل في التاريخ، مجلد ٣، ٨، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥م .

◆ الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، (ت : ٣٤١هـ/٩٥٢م) .

٢ - كتاب الأقاليم، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت) .

٣ - المسالك والممالك، تحقيق : د. محمد جابر عبد العال، (القاهرة، ١٩٦١م) .

◆ ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد، (ت: ٣١٤هـ/٩٢٧م) .

٤ - الفتوح، ج ٧، الطبعة الأولى، (حيدر أباد الدكن، ١٩٧٠م) .

◆ البخاري، أبو نصر سهل بن عبد الله، (كان حياً عام ٣٤١هـ/ ٩٥٢م) .

٥ - سر السلسلة العلوية، المكتبة الحيدرية، (النجف، ١٩٦٣م) .

◆ ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) .

٦ - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (رحلة ابن بطوطة)، جـ ١، مطبعة مصطفى محمد، (القاهرة ١٩٣٨م) .

◆ البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، (ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) .

٧ - الفرق بين الفِرَق، تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، ١٩٤٨م .

◆ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) .

٨ - المسالك والممالك، جـ ٢، مخطوطة مصورة فوتوستات، نسخة مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب / جامعة بغداد، رقم ١٢٦٠ .

◆ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .

٩ – فتوح البلدان، الطبعة الأولى . مطبعة الموسوعات . (القاهرة، ١٣١٩هـ/١٩٠١م) .

◆ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (ت: ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) .

١٠ – تاريخ غرر السير، المعروف بكتاب: غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم (منسوب للثعالبي)، منشورات مكتبة الأسدي، (طهران، ١٩٦٣م) .

◆ ابن الجوزي، أبو الفتوح عبد الرحمن بن علي، (ت: ٥٩٧هـ/١٣٠٠م) .

١١ – المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المجلد ٧، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر أباد الدكن، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) .

◆ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .

١٢ – جمهرة أنساب العرب، جـ ١ – ٢، تحقيق عبد السلام محمد هارون، منشورات دار المعارف، (القاهرة، ١٩٦٢م) .

◆ الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت : ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) .

١٣ – المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، ١٩٤٦م) .

١٤ – معجم البلدان، مجلد٢، ٣، ٤،مكتبة السدي، (طهران، ١٩٦٥م) .

◆ ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبيني، (ت: ٣٦٧هـ/٩٧٧م) .

١٥ – صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت) .

◆ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (توفى في حدود سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م)

١٦ – المسالك والممالك، باعتناء : دي غويه، مطبعة بريل (ليدن، ١٨٨٩م)، نسخة مصورة بالأوفست، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت) .

◆ ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت : ٦٨١هـ/١٢٨٢م) .

١٧ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ ٥، تحقيق : الدكتور إحسان عباس، منشورات دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٩م) .

◆ ابن خياط، خليفة، (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) .

١٨ – التاريخ، القسم الأول، تحقيق : سهيل زنكار، (دمشق، ١٩٦٦م) .

◆ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين، (ت : ٣٢١هـ/٩٣٣م) .

١٩ – الاشتقاق، جـ ٢، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة المثنى،

(بغداد، ۱۹۷۹م) .

۲۰ - جمهرة اللغة، جـ ۱، منشورات مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت) .

◆ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، (ت : ۲۸۲هـ/۸۹۵م) .

۲۱ - الأخبار الطوال، تحقيق : عبد المنعم عامر، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة، ۱۹٦۰) .

◆ الزبيدي، أبوبكر محمد بن الحسن، (ت : ۳۷۹هـ/۹۸۹م) .

۲۲ - طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة الخانجي، (القاهرة، ۱۹٥٤م) .

◆ السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد منصور، (ت: ٥٦۲هـ/۱۱۱٦م) .

۲۳ - الأنساب، جـ ٥، باعتناء: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الطبعة الأولى، (حيدر أباد الدكن،۱۹٦۲م)

◆ شيخ الربوة، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب، (ت: ۷۲۷هـ/۱۳۲٦م) .

۲٤ - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (لايبزك، ۱۹۲۳م) .

◆ ابن طباطبا، أبو إسماعيل إبراهيم بن ناصر العلوي، (كان حياً عام٤٧١هـ/۱۰۷۸م).

۲٥ - منتقلة الطالبية، تحقيق : محمد مهدي السيد حسن، الطبعة الأولى، المطبعة الحيدرية، (النجف، ۱۹٦۸م) .

◆ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: ۳۱۰هـ/۹۲۲م) .

۲٦ - تاريخ الرسل والملوك، جـ ۲، ٥، ۷، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات دار المعارف، (القاهرة، ۱۹٦۸ - ۱۹۷۲م) .

◆ ابن عنبة، أحمد بن علي بن الحسين، (ت: ۸۲۸هـ/۱٤۲٤م) .

۲۷ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، الطبعة الثانية، (بومبي، ۱۳۱۸هـ) .

◆ العوتبي، سلمة بن مسلم الصحاري، (من علماء القرن الخامس الهجري) .

۲۸ - الأنساب، جـ ۲، الطبعة الثانية، (عمان ۱۹۸٤م) .

◆ ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، (ت: ۳٦٥هـ/۹۷٥م) .

۲۹ - مختصر كتاب البلدان، الطبعة الأولى، مطبعة بريل، (ليدن ۱۳۰۲هـ/۱۸۸٥م) .

◆ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) .

٣٠ - آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٠م .

◆ القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م) .

٣١ - أنباء الرواة على أنباء النحاة، جـ ١، ٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، (القاهرة،١٩٥٢م) .

◆ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، (ت: ٢٨٥هـ/٨٩٨م) .

٣٢ - الكامل في اللغة، جـ ٢، منشورات دار المعارف، (بيروت، د.ت) .

◆ المسعودي، أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي، (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م) .

٣٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ ١، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٩٦٤م) .

◆ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، (ت: ٤٢١هـ/١٠٣٠م) .

٣٤ - تجارب الأمم، جـ ٢، باعتناء : ه.ف. آمدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية،(القاهرة، ١٩١٤م) .

◆ المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري، (ت: ٣٧٥هـ/٩٠٩م) .

٣٥ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، باعتناء : دي غويه، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٠٩م) .

◆ مؤلف مجهول، (كان حياً في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) .

٣٦ - قصص وأخبار جرت في عمان، مطابع سجل العرب، (القاهرة ١٩٧٩م) .

◆ الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، (ت.د: ٣٦٠هـ/٩٧٠م) .

٣٧ - صفة جزيرة العرب، تحقيق : محمد بن علي الأكوع الحوالي، منشورات دار اليمامة، (الرياض، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) .

◆ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، (ت: ٢٨٤هـ/٨٩٧م) .

٣٨ - التاريخ (تاريخ اليعقوبي)، مج ٢، دار صادر ودار بيروت، (بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م) .

ب - المراجع الحديثة :

◆ أمين، أحمد .

٣٩ - ظهر الإسلام، جـ ٢ ، دار الكتاب العربي ، (بيروت، ١٩٦٩م) .

◆ حسن، د. ناجي .

٤٠ - القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، (بيروت، ١٩٨٠م) .

◆ الخطيب، د. مصطفى عقيل .

٤١ - سياسة إيران في الخليج العربي على عهد ناصر الدين شاه، ١٨٤٨ - ١٨٩٦م، منشورات دار الثقافة، (الدوحة، ١٩٨٧م) .

◆ الدجيلي، محمد رضا حسن .

٤٢ - فرقة الأزارقة، مطبعة النعمان، (النجف، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) .

◆ السالمي، نور الدين عبد الله بن حُميد، (ت: ١٩١٣م) .

٤٣ - تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، جـ ١ ، الطبعة الخامسة، (القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) .

◆ العاني، د. عبد الرحمن عبد الكريم .

٤٤ - البحرين في صدر الإسلام وأثرها في حركة الخوارج، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٣م) .

٤٥ - عمان في العصور الإسلامية الأولى، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٧م) .

◆ العناني، أحمد .

٤٦ - جذور الحاضر الخليجي، الطبعة الأولى، المطبعة الوطنية، (دبي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) .

◆ فوزي، د. فاروق عمر .

٤٧ - تاريخ الخليج العربي في العصور الإسلامية الوسطى، الطبعة الثانية، دار واسط، (بغداد، ١٩٨٥م) .

◆ كحالة، عمر رضا .

٤٨ - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ ١ ، دار العلم للملايين، (بيروت، ١٩٦٨م) .

♦ لسترنج، كي .

٤٩ – بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة،(بغداد، ١٩٥٤م) .

♦ المظفر، أحمد شهاب أحمد .

٥٠ – إقليم الأحواز في ظل الدولة العربية الإسلامية، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية الآداب/جامعة البصرة عام ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

♦ معروف، د. ناجي .

٥١ – عروبة العلماء المنسوبين إلى البلدان الأعجمية، جـ١، الطبعة الأولى، مطبعة الشعب، (بغداد، ١٩٧٦م) .

♦ ناجي، د. عبد الجبار .

٥٢ – دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة البصرة، (البصرة، ١٩٨٦م) .

ج – الدوريات :

==========

♦ العلي، د. صالح أحمد .

٥٣ – امتداد العرب في صدر الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٣٢، جـ١، (بغداد، ١٩٨١م) .

♦ القوصي، د. عطية .

٥٤ – سيراف وكيش (قيس) وعدن من القرن الثالث الهجري حتى السادس، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٢٣، (القاهرة، ١٩٧٦م) .

الهوامش

١ - صفة جزيرة العرب ص ٣٧٤، أنظر أيضاً: ♦ العناني، جذور الحاضر الخليجي ص٤٢ .

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال ص٤٨ (وقد وصف العرب بأنهم أعراب، أي بدو)، أنظر أيضاً: ♦ الطبري، تاريخ الرسل، جـ٢ ص٥٥ .

٣ - تاريخ غرر السير (منسوب) ص ٥١٤، أنظر أيضاً : ♦ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ١، ص ٩٤ ♦ العاني، البحرين في صدر الإسلام ص ٥٩ .

٤ - تاريخ غرر السير ،ص ٥١٤ .

٥ - الأخبار الطوال ص ٤٨، أنظر أيضاً ♦ الطبري، تاريخ الرسل، جـ ٢، ص ٥٧ .

٦ - الثعالبي، تاريخ غرر السير، ص ٥١٩، أنظر أيضاً ♦ كحالة، معجم قبائل العرب، جـ ١ ص ٩٤، ♦ العاني، البحرين ص ٦٠ .

٧ - تاريخ غرر السير، ص ٥٢٩، أنظر أيضاً ♦ العاني، البحرين في صدر الإسلام ص٦٠ ♦ العلي، امتداد العرب ص ٤٥ .

٨ - مدينة بناها سابور تقع في إقليم الأحواز، البكري، المسالك والممالك، جـ ٢ ورقة ١٦٤ .

٩ - الدينوري، الأخبار الطوال ص ٤٨، أنظر أيضاً ♦ الطبري، تاريخ الرسل، جـ ٢ ص٥٧، ♦ العاني، البحرين، ص٥٩ .

١٠ - هو سليمة بن مالك بن فهم بن غالب بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . . . العوتبي، الأنساب، جـ ٢، ص١٨١ .

١١ - جاسك : جزيرة كبيرة بين جزيرة قيس وعمان، الحموي، معجم البلدان مج ٢ ص ٩ .

١٢ - السالمي، تحفة الأعيان، جـ ١ ص٤١، ٤٧ .

١٣ - الأنساب جـ ٢ ص ١٨١، أنظر أيضاً : ♦ السالمي، تحفة الأعيان جـ ١ ص ٤٧، ويقول ما نصه : ". . . وجمهور بني سليمة بأرض فارس وكرمان لهم بأس وشدة، وعدد كثير، وبعمان منهم الأقل. . ." .

١٤ - المسالك والممالك، ص ٣١، ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ الحموي، معجم البلدان، مج ٢ ص ٧١١، ♦ القزويني، آثار البلاد وأحوال العباد ص ٢٣٥، ♦ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٩٢،

العاني ، عمان ص ٩٧ .

١٥ – صفة جزيرة العرب ص ٣٧٤ .

١٦ – مدينة في الجانب الشرقي للخليج العربي تسمى : جويم أبي أحمد، ♦ الحموي، معجم البلدان مج ٢ ص ١٦٤ .

١٧ – المسالك والممالك، ص ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ المسعودي، مروج الذهب جـ١ ص١١٠ ، ♦ الحموي معجم البلدان مج ٢ ص ٧١١، ♦ لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٩٢ .

١٨ – المسالك والممالك ص ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ الحموي معجم البلدان مج ٢ ص ٧١١، ♦ القزويني، آثار البلاد ص ٢٣٥ ، أنظر أيضاً : ♦ العاني، عمان ص ٩٧ .

١٩ – المسالك والممالك ص ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ ابن حوقل . صورة الأرض، ص ٢٤١ ، ♦ الحموي، معجم البلدان مج ٢ ص ٧١١ .

٢٠ – الاصطخري، كتاب الأقاليم ص ٦٠ ، أنظر أيضاً : ♦ المسالك والممالك ص ٧٣ ، ويسميها ابن حوقل: الداكباياه، ويقول : ". . . قلعة بن عمارة وتسمى قلعة داكباياه يريدون باسمها أنها كثلاث آثاف لأنها قارة على ثلاث شعب كقرار القدر على الأثافي . . ." . صورة الأرض ص ٢٤١.

٢١ – لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٩٢ ، وذكر أن القلعة تطل على ميناء يتسع لعشرين مركباً .

٢٢ – المسالك والممالك، ص ٨٥ .

٢٣ – الزم : هو المنطقة التي يسكنها الأكراد (أكراد فارس)، وجمعها زموم، ذكر الحموي أنها : الرموم، معجم البلدان، مج ٣ ص ٨٣٦ (ولعل ذلك تصحيف)، والزموم التي كان يسكنها أكراد فارس هي خمسة، وهي كالممالك، وعلى كل زم رئيس واجبه توفير الحماية للطرق والقوافل المارة بمناطق نفوذهم، أنظر : الأصطخري، المسالك والممالك ص ٧١ – ٧٣ و ٨٧ – ٨٨، كتاب الأقاليم ص ٥٨ ، المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٤٤٧ .

٢٤ – الأصطخري، كتاب الأقاليم ص ٦٠ ، المسالك والممالك ص ٨٥، ابن حوقل، صورة الأرض ص ٧٦، ♦ الحموي، معجم البلدان، مج ٢ ص ٧١١ .

٢٥ – عمان ص ١٠٠ .

٢٦ – المسالك والممالك ص٨٧ .

٢٧ – الحموي، معجم البلدان مج ٤ ص ٧٦٤، ووصفها بقوله : "بليدة مشهورة دون سيراف مما يلي البصرة على جبل هناك على ساحل البحر . . ." .

٢٨ – الاصطخري، المسالك والممالك ص ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ الحموي، معجم البلدان مج ٣ ص ٢١٧، ♦ لسترنج، بلدان الخلافة ص٢٩٢، (وذكر أن مركزهم : كوان) .

٢٩ – الأصطخري، المسالك والممالك ص ٨٥ .

٣٠ – المسالك والممالك ص ٨٥، أنظر أيضاً : ♦ لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٩٢ .

٣١ – فسائي، حسن حسين، فارسنامه جـ ٢ ص ٣١١، نقلاً عن : الخطيب، سياسة إيران في الخليج العربي ص ١٠٤ .

٣٢ – تاريخ الرسل، جـ ٥ ص ١٢٤ – ١٢٥، أنظر أيضاً : ♦ ابن الأثير، الكامل مج ٣ ص ٣٦٨ . حوادث سنة ٣٨هـ .

٣٣ – الدينوري، الأخبار الطوال ص٤٨، أنظر أيضاً : ♦ الثعالبي، تاريخ غرر السير (منسوب) ص ٥١٤، ♦ كحالة، معجم قبائل العرب جـ ١ ص ٩٤ .

٣٤ – مختصر كتاب البلدان ص ١١، ويشير ابن بطوطة إليهم، لكن يبدو أن التسمية (بني سقاف) مُحرَّفة، إذ يقول : ". . . وفيهم طائفة من عرب بني سقاف وهم الذين يغوصون على الجوهر" . تحفة النظار جـ ١ ص ١٧٦، أنظر أيضاً : ♦ فوزي، أ.د. فاروق عمر . تاريخ الخليج العربي ص ٧٦ .

٣٥ – معجم البلدان مج ٢ ص ٨٠، أنظر أيضاً الخارطة الملحقة بالبحث .

٣٦ – المسالك والممالك ص ٦٢ .

٣٧ – جمهرة أنساب العرب جـ ٢ ص ٣٨٤، وتعد جزيرة بني كاوان، أو (لافت) من أكبر جزر الخليج العربي ؛ كما أنها تتحكم في مدخل هذا الخليج، أنظر الخارطة الملحقة بالبحث .

٣٨ – البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٩٣ – ٣٩٤، ويرى المسعودي أنها من فتوح عمرو بن العاص وليس عثمان، ومسجده بها إلى هذه الغاية (أي إلى عصر المسعودي) مروج الذهب جـ ١ ص١١١، أنظر أيضاً : ♦ العوتبي، الأنساب جـ ٢ ص ١٢٢ فما بعدها، ♦ ابن الأثير، الكامل مج ٣ ص ٤١ .

٣٩ – الطبري، تاريخ الرسل جـ٧ ص ٤٦٣، أنظر أيضاً ♦ ابن الأثير، الكامل مج ٥ ص ٤٥١ .

٤٠ – الأنساب جـ ٢ ص ١٤٨ .

٤١ – المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٤٢٦، أنظر أيضاً : ♦ القوصي، سيراف وكيش (قيس) وعدن ص ٥٩، والغريب أن الباحث يرجح تسمية كيش على أنها التسمية الصحيحة وترادفها : (قيس) في عنوان بحثه، والعكس تماماً هو الصحيح كما ذكرنا أعلاه .

٤٢ – معجم البلدان مج ٣ ص ٢١٢ .

٤٣ – أنباء الرواة جـ ٣ ص ٤٠ .

٤٤ – آثار البلاد ص ٢٤٣ .

٤٥ – المسعودي، مروج الذهب جـ ١ ص ١١٠ وما بعدها .

٤٦ – لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٩٣ .

٤٧ – ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ١٧٩ .

٤٨ – ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢٤٨ .

٤٩ – أنظر موقع هاتين المدينتين في الخارطة الملحقة بالبحث .

٥٠ – فتوح البلدان ص ٢٩٨ .

٥١ – سر السلسلة العلوية ص ٩٤ .

٥٢ – أنظر : ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ٢٣٤ – ٢٣٥، وانظر أيضاً : ابن عنبة، عمدة الطالب ص ٣٣٢ .

٥٣ – كتاب الأقاليم ص ٦٢ .

٥٤ – الأصطخري، المسالك والممالك، ص ٨٥ .

٥٥ – ابن حزم، جمهرة أنساب العرب جـ ١ ص ٢٢٣، إذ قال عن عروة ومرداس ابني أدية : "ومن بني ربيعة بن حنظلة : أبو بلال مرداس وعروة ابنا أُديَّة، وهي أمهما، وأبوهما جرير بن عامر بن عبد كعب بن ربيعة . . ."، أما الطبري فقد أطلق على أبيهما اسم : حدير، تاريخ الرسل جـ ٥ ص ٤٧٠ – ٤٧١ .

٥٦ – المبرد، الكامل في اللغة، جـ ٢ ص ١٩١، أنظر أيضاً : ♦ الطبري، تاريخ الرسل جـ ٥ ص٣١٢ ♦ البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٥٥ .

٥٧ – الطبري، تاريخ الرسل جـ ٥ ص ٤٧٠ – ٤٧١ .

٥٨ – المسالك والممالك ص ٨٥ .

٥٩ – جمهرة أنساب العرب جـ ١ ص ٢٢٣ .

٦٠ – المسالك والممالك، ص ٨٥ – ٨٦، أنظر أيضاً : ♦ أمين، ظهر الإسلام جـ ٢ ص١٦ .

٦١ – المسالك والممالك ص ٨٦، وقد اعتمدنا عليه في المعلومات التالية حتى نهاية محمد بن واصل على يد

يعقوب بن الليث الصفار .

٦٢ – الدينوري، الأخبار الطوال،ص ٢١٦ ، وانظر أيضاً : ◆ الطبري، تاريخ الرسل، جـ ٥ ص ١٣٧ – ١٣٨، ١٧٦، ◆ الأصطخري، كتاب الأقاليم ص ٦٠ ، ◆ والمسالك والممالك ص٧٣، ◆ ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢٤١ – ٢٤٢، ◆ ابن الأثير ، الكامل مج ٣ ص ٣٨٢ .

٦٣ – العوتبي، الأنساب جـ ٢ ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .

٦٤ – الطبري، تاريخ الرسل، جـ ٥ ص ١٣٨ ، (وكانت تسمى في عصره قلعة منصور)، انظر أيضاً : ◆ الأصطخري، المسالك والممالك، ص ٧٧، ◆ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٢٤٧، ◆ لسترنج، بلدان الخلافة ص ٣١٦ .

٦٥ – الأصطخري، المسالك والممالك، ص ٧٦ – ٧٧، وانظر أيضاً : ◆ الحموي، معجم البلدان، مج ٣ ص٣٤٩، ◆ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١٧٧ ، ◆ لسترنج، بلدان الخلافة، ص ٢٨٥ .

٦٦ – أحسن التقاسيم ص ٤٢٣ ، أنظر أيضاً : ◆ ناجي، أ.د. عبد الجبار . دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ص ٤٠٠ .

٦٧ – المسالك والممالك، ص ٧٧، أنظر أيضاً : ◆ كتاب الأقاليم ص ٦٣ ، ◆ ابن حوقل، صورة الأرض ص ٢٤٦ .

٦٨ – اليعقوبي، التاريخ مج ٢ ص ٢٨٨ ، ◆ معروف، عروبة العلماء جـ ١ ص٦٣، ◆ العلي، امتداد العرب ص ٤٥ .

٦٩ – الأصطخري، كتاب الأقاليم ص ٦٣، أنظر أيضاً : ◆ المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٤٢٣، ◆ شيخ الربوة، نخبة الدهر ص ١٧٧ ◆ لسترنج، بلدان الخلافة ص ٢٨٥ .

٧٠ – الحموي، معجم البلدان مج ٢ ص ٧٥١، ◆ المشترك وضعاً ص ٢٠١ .

٧١ – ناجي، دراسات في تاريخ المدن ص٤٠٥ .

٧٢ – الأصطخرى، المسالك والممالك ص ٨٨ – ٨٩ .

٧٣ – المصدر نفسه، ص٨٩، أنظر أيضاً : ناجي، دراسات في تاريخ المدن ص ٤٠٥ .

٧٤ – للتفصيل أنظر : ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ١٨٨ – ١٩١، ◆ ابن عنبة، عمدة الطالب ص ٢٠٠، ٢١٩، ٢٢٥ .

٧٥ – البخاري سر السلسلة العلوية ص ٧٤ .

٧٦ – ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ١٠٩ .

٧٧ - مؤلف مجهول، قصص وأخبــار جرت في عمان ص ٥٩ - ٦٠، أنظر أيضــاً : ♦ السالمي، تحفة الأعيان جـ ١ ص ٢٥٦، ويروي أن أهل صحار وما حولها من الباطنة خرجـوا بـأموالهم وذراريـهم وعيـالاتهم إلى سيراف والبصرة وهرمز، أنظر أيضاً : ♦ فوزي، تاريخ الخليج العربي في العصور الوسطى .

٧٨ - السمعاني، الأنساب جـ ٥ ص ٨٤ - ٨٥ .

٧٩ - المظفر، أحمد شهاب، إقليم الأحواز في ظل الدولة العربية الإسلامية ص٤٦ .

٨٠ - أنباء الرواة جـ ١ ص ٢٠٥ .

٨١ - للتفصيل أنظر : ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ١٦ - ١٨، ♦ ابن عنبة، عمدة الطالب ص ١٩٧ .

٨٢ - البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٠٠، أنظر أيضاً : ♦ المقدسي، أحسن التقاسيم ص٤٢٥ .

٨٣ - الثعالبي، تاريخ غـرر السير ص ٥٢٩، أنظر أيضـاً : ♦ العاني، البحرين ص ٦٠، ♦ العلي، امتداد العرب

٨٤ - البلاذري، فتوح البلدان ص ٣٦٤ .

٨٥ - التاريخ، جـ ١ ص١٣٥ .

٨٦ - فتوح البلدان، ص ٣٩٤ . أنظر أيضاً : ♦ الدينوري، الأخبار الطوال ص ١٣٣ .

٨٧ - الدينوري، الأخبار الطوال ص ١٣٣، أنظر أيضاً : ♦ حسن، د. ناجي، القبائل العربية في المشـرق ص ١٦٥ .

٨٨ - القبائل العربية في المشرق ص ١٦٥ .

٨٩ - الاشتقاق جـ ٢ ص ٣٢٤ .

٩٠ - "اللَّبو بن عبد القيس قبيلة من العرب"، ابن دريد، جمهرة اللغة جـ ١ ص ٣٢٩ .

٩١ - معجم البلدان مج ٣ ص ٩٢٢ .

٩٢ - المنتظم مج ٧ ص ١١٤ .

٩٣ - بلدان الخلافة ص ٢٩٥ .

٩٤ - الفتوح جـ٧ ص ١١٧، وانظر أيضاً : ♦ البغدادي، الفـرق بين الفرق ص ٥١، ♦ الدجيلي، فرقة الأزارقة ص ١٢٩ .

٩٥ - البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٥١ .

٩٦ - الفتوح جـ ٧ ص ٢٨ .

٩٧ - ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ١٧٨ - ١٧٩ .

٩٨ - البخاري، سر السلسلة العلوية ص ٢٠، ٥٩، ٨٦، أنظر عن بيوتات العرب العلويين ممن سكن فارس دون تحديد مناطق سكنهم : ◆ ابن طباطبا، منتقلة الطالبية ص ٢١٣ - ٢١٤ .

٩٩ - ابن دريد، الاشتقاق جـ ٢ ص ٤٨٤ .

١٠٠ - الزبيدي، طبقات النحويين ص١٩٣، أنظر أيضاً : ◆ ابن خلكان، وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٢٤ .

١٠١ - مسكويه، تجارب الأمم جـ ٢ ص ٣٩٩، أنظر أيضاً : ◆ ابن الأثير، الكامل مج ٨ ص ٧١٠، ◆ حوادث سنة ٣٦٩هـ .

ميناء مكران..

بقلم :

د. إبراهيم عطا الله



في صدر الإسلام

الناحية الجغرافية

يقع ميناء التيز[١] في الشمال الغربي من منطقة مكران، وهذا الميناء وما وقع من المدن والقرى في جنوبي وشرقي مكران كان تابعاً لإقليم السند إدارياً وجغرافيا قبل الإسلام وحتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وبعد ذلك أصبحت المنطقة إقليماً مستقلاً أطلق عليه إقليم مكران[٢] وإقليم مكران برمته يطلق عليه بلوشستان "بلوجستان" حالياً، وهذه التسمية أطلقت عليه منذ القرن الثاني عشر الهجري "الثامن عشر الميلادي"[٣] وفي صدر الإسلام لم تحدد معالم إقليم مكران "بلوشستان" لأن الأجزاء الشمالية الشرقية مثل عاصمة بلوشستان الإيرانية والتي تسمى الآن مدينة زاهدان وقديما دزدآب " أي ماء اللصوص" وما جاورها كانت تابعة لإقليم سجستان "سيستان"

حالياً، أما مثل مدينة إيران شهر وبربور "بميور حالياً" وما كانت واقعة شمال مكران فكانت تابعة إداريا لإقليم كرمان، والبقية تابعة لإقليم السند ومركزها الإداري فنزبور "بنجكور" حالياً، وميناؤها الرئيسي التيز(٤) بعد أن فتح الله على المسلمين منطقة مكران والسند كاملة، أصبحت مدينة فنزبور هي المركز الإداري ومقر الوالي المسلم من قِبَل الخلفاء لإقليم مكران كله، بما في ذلك الأجزاء الشمالية والشمالية الشرقية، أما قبل ذلك فكان والي مكران غالباً ما يقيم في بربور "بميور" ويؤيد ذلك :

أولاً: رواية الطبري وابن الأثير وغيرهما من أن أول جيش للمسلمين التقى بكفار مكران عند نهر، فنصر الله المسلمين عليهم، وظاهر أنه لا توجد أنهر في مكران، وأن النهر المقصود هو وادي بربور . لأن غزارة مياه الوادي تشبه النهر وهي جارية على الدوام .

* * *

ثانياً : أنه عند قدوم جيش المسلمين بقيادة محمد بن القاسم الثقفي إلى مكران التقى بأميرها محمد بن هارون وأقام عنده عدة أيام، ثم توجها إلى ديبل وأول ما واجههما من المعارك في فنزبور حيث لقيا الذين نقضوا العهد والكفار من أهلها، إلا أن الله فتحها على المسلمين، ثم تقدما إلى أرمابيل باتجاه ديبل .

فيظهر من ذلك أنه حتى تلك الفترة أي سنة ٩٣هـ كان مقر والى التيز ومكران برمته غير فنزبور(٥) وإقليم مكران الذي يسمى الآن بلوشستان "بلوجستان" كان كما ذكرنا مجزأ قديماً، وهو منقسم حالياً كذلك بين أربع دول : ١ - عمان. ٢ - إيران . ٣ - باكستان . ٤ - أفغانستان، فقد كان ميناء جوادر Gwader وضواحيه تابعاً لسلطان عمان ١٣٧٩هـ - ١٩٥٨/٩/٢٧م وبعدها انتقلت ملكيته إلى باكستان(٦) وهكذا كانت حالة تيز مكران "جابهار" فقد أصبحت من أملاك سلطان عمان منذ ١٧٩٢م - ١٨٧٢م بعدها انضمت إلى إيران وكان والي عمان يحكم المنطقة حكماً مباشراً ويجبي منها سنوياً مائة ألف روبية هندية إلى خزينة السلطنة بمسقط(٧) .

ويقع ميناء تيزمكران شمال ميناء جبهار حالياً ويبعد عنه بأربعة أميال، على مرتفع بموضع واد . ومن الآثار الباقية قلعة مازالت موجودة وتبلغ مساحتها ثلاثة أميال مربعة تقريباً : ميل ونصف طولاً، ومائتي ياردة عرضاً، وفي الوقت الحاضر اتسع شابهار فضم كثيراً من أجزاء الميناء القديم، ويطلق على تيزمكران حالياً "شابهار" لشهرته . ويقع شابهار حالياً شمال غرب ميناء جوادر الباكستاني بـ ١٥٠ كم تقريباً[٨] وهذه المرتفعات تحيط بالتيز من جميع الأطراف ماعدا الجنوب فيحده البحر وفي المرتفعات الشمالية مغارات بارتفاع ١٠٠ قدم على سفح المرتفعات، وربما كانت معابد النار للهندوس لحرق الموتى وبالسفوح صور بعض الحيوانات وموقع التيز مهجور ولا يوجد به حالياً إلا خمسون أو ستون من بيوت السعف والأكواخ[٩] والميناء واقع على رأس خليج يطلق عليه راسنون Rasnun (أنظر الخارطة) .

وبالغرب منه يقع رأس بيشخان Raspishkhan[١٠] وسعة الخليج عشرون فرسخاً طولاً وما بين ٨ - ١٢ فرسخاً عرضاً، وهذا الخليج أكسب مكران جمالاً و شهرة، ويطلق عليه خليج شابهار "جابهار"[١١] وجوها حار ورطب على مدار العام . وهي على الساحل، وأرضيتها مالحة ليست زراعية إلا أن بها أشجاراً ملائمة للسواحل مثل : الأثل، السدر جش Tchech كلير Kalir، الدوم "بيش Pich"، الأثل البري والبحري Pir توج Touj جكرد Tchegerd جكر Jogr، وزهرة العقرب[١٢] . وبسبب موقع المنطقة على الساحل، فالمياه بها شحيحة ويحفر أهلها الآبار للسقي أو يأتون بالمياه من خارج المنطقة وأقرب واد إليها هو ما يسمى حالياً نيم كور "أي نصف وادٍ" ويصب في البحر على بعد خمسة أو ستة أميال غربي التيز "جابهار"[١٣] .

وعلى أطراف تيزمكران أراض زراعية يكثر بها النخيل وغيرها من الثمار وبالتيز رباطات فاضلة ومسجد حسن، وكانت عامرة حين مرور المقدسي بمنطقة فارس وذلك في نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[١٤] .

السكان

سبق أن ذكرنا أن أكثر الأجزاء الجنوبية والشرقية والساحلية لإقليم مكران كانت تابعة لحاكم السند، وهو من البراهمة، وهؤلاء قد استولوا على كثير من المناطق في تلك الناحية قبل الإسلام بفترة طويلة. وكان الحاكم عند الفتح الإسلامي هو داهر بن جج[١٥] والبراهمة ملكوا المنطقة واستعبدوا أهلها الأصليين وهم الميد والزط "الجت" فمن هؤلاء من بقي في عبوديته وصبر، ومنهم من أصبح من القراصنة "لصوص البحر"[١٦] ومنهم من انتشر وسكن صحاري السند ومكران والسواحل[١٧] ويوضح مير أحمد أن امتدادهم كان شمالا على سواحل فارس: هرمز وسيراف وغيرهما لأكثر من أربعة وأربعين قرية ومدينة وميناء، قبل دخولهم الإسلام حتى سنة ٦٦٤م.

ويذكر المباركبوري أن من الزط والسيابجة من هاجر إلى مناطق الجزيرة العربية وغيرها قبل الإسلام وبعده، كاليمن، ونجران، ومكة واليمامة، والبحرين والخط، وهجر، ودارين، والقطيف وعمان، خاصة صحار، إلى جانب العراق والشام فقد رُوي أن طبيباً زطياً عالج السيدة عائشة رضي الله عنها بالمدينة المنورة. وكان أكثر الميد صيادي أسماك وسمكة التيز كبيرة جليلة وهي أفضل الأنواع وكان طعام أهل تيز السمك وطير الماء[١٨]، ويذكر إيرج أنه عند ميناء تيز مكران "جابهار" يوجد قرابة مائتي صنف من الأسماك ومن أجود الأنواع وأفضلها وأعلاها. ١ - الحلو. ٢ - قباد. ٣ - الأسدي. ٤ - هامور ٥ - عروس البحر. ٦ - ينامة. ٧ - سنجسر وغيرها.

ويذكر ابن حوقل أن أكثر الذين يقطنون البراري والصحاري هم من الزط. وغذاؤهم الرئيسي الألبان والأجبان وخبز الذرة، لأنها تزرع كثيراً هناك وهم أصحاب إبل وجمال. وجمال مكران من أجود الأنواع المشهورة في الأقطار، ويصف حياتهم أنها في الغالب كحياة البربر وأكثرهم رجالة قليلو الدواب[١٩].

وقد مارس الميد مهنة صيد السمك في السواحل وخاصة في ساحل وخليج تيزمكران. لأن البحر هادئ الأمواج. وإلى فترات متأخرة، كان أهالي المناطق الساحلية المجاورة "لتيزمكران" يأتون لصيد السمك في هذا الخليج، لأن عمق خليج التيز لا يزيد عن ثمانية عشر متراً مع أن عمق البحر الهندي مقابل التيز

يبلغ ٣٣٩٨ متراً . كما أن عمق ساحل البحر نفسه عند هرمز يبلغ ٧٣ متراً . هذه العوامل الطبيعية شجعت الصيادين لارتياد هذا الخليج على الدوام . إضافة إلى الجانب الأمني الذي جعل كثيراً من السفن التجارية الكبيرة ترسو في خليجها على بعد كيلومتر من الساحل ثم تنقل بضاعتها إلى ميناء التيز بواسطة زوارق وسفن صغيرة[٢٠] أما الصنف الآخر من السكان وهم السكان الأصليون للتيز ومكران فهم القفص والبلوص "كوج وبلوج" وكان أغلبهم يقطنون على حدود كرمان وسجستان أي شمال وشمال شرقي مكران حتى سنة ٥٥٠م وبعد هذه الفترة حمل عليهم أنوشيروان فقتل من قتل وذبح من ذبح ونزح الباقون إلى الجنوب والوسط من مكران حتى حدود السند وإلى مناطق متفرقة وبعيدة[٢١] وقد هرب كثير منهم من التيز وجوادر والسواحل إلى أفغانستان والهند وحدود روسيا خاصة إلى أشك أباد "عشق أباد" حالياً[٢٢] .

ولم يستقر لأهل التيز وإقليم مكران حال ولم ينالوا حقوقهم وقدرهم إلا في ظل الإسلام وهذا اعتراف من أحد البلوص المعاصرين المنصفين يقول محمد سردار خان *"لم ير أهل مكران حقوقهم الإنسانية حتى في عهد الحضارة الحديثة في القرن الرابع عشر الهجري "العشرين الميلادي" من أيدي الهنود والباكستانيين والفرس ولا قبل الإسلام مثل ما حصل لهم أيام الفتوحات الإسلامية العربية وحكمهم للمنطقة بالعدل فقد بلغ الرقي والغنى، بسبب التجارة والمعاملة الحسنة حداً بعيداً وهاهم اليوم عادوا كما كانوا قبل الإسلام من البؤس والحرمان[٢٣] وممن سكن التيز وسواحل مكران والمناطق الداخلية كثير من القبائل العربية والهندية وأقوام آخرون .*

حتى بلغت الكثافة السكانية في التيز ما هو مشاهد في العصر الحاضر[٢٤] ففي العصر الحاضر يبلغ سكان جابهار "التيز" حوالي ستة آلاف نسمة[٢٥] والسكان الأصليون كانوا ومازالوا متوسطي القامة، ممشوقي القوام، هيف القدود ذوي عضلات مفتولي الساعدين. ومدوري الرؤوس، مربعي الوجوه ، مستقيمي الأنوف كحل العيون، شعورهم طويلة وزيتية سوداء[٢٦] والغالب على خلقتهم النحافة والسمرة وتمام

الخلقة[٢٧] *ويقول المقدسي عن أهل مكران وهم قوم وسط المال لا علم لهم ولا ظرف"*[٢٨] والغالب على القفص والبلوص، الجلد وشدة العيش وقساوة القلب، ويتميزون بالصراحة والإخلاص والوفاء والأمانة[٢٩].

اللغة واللباس

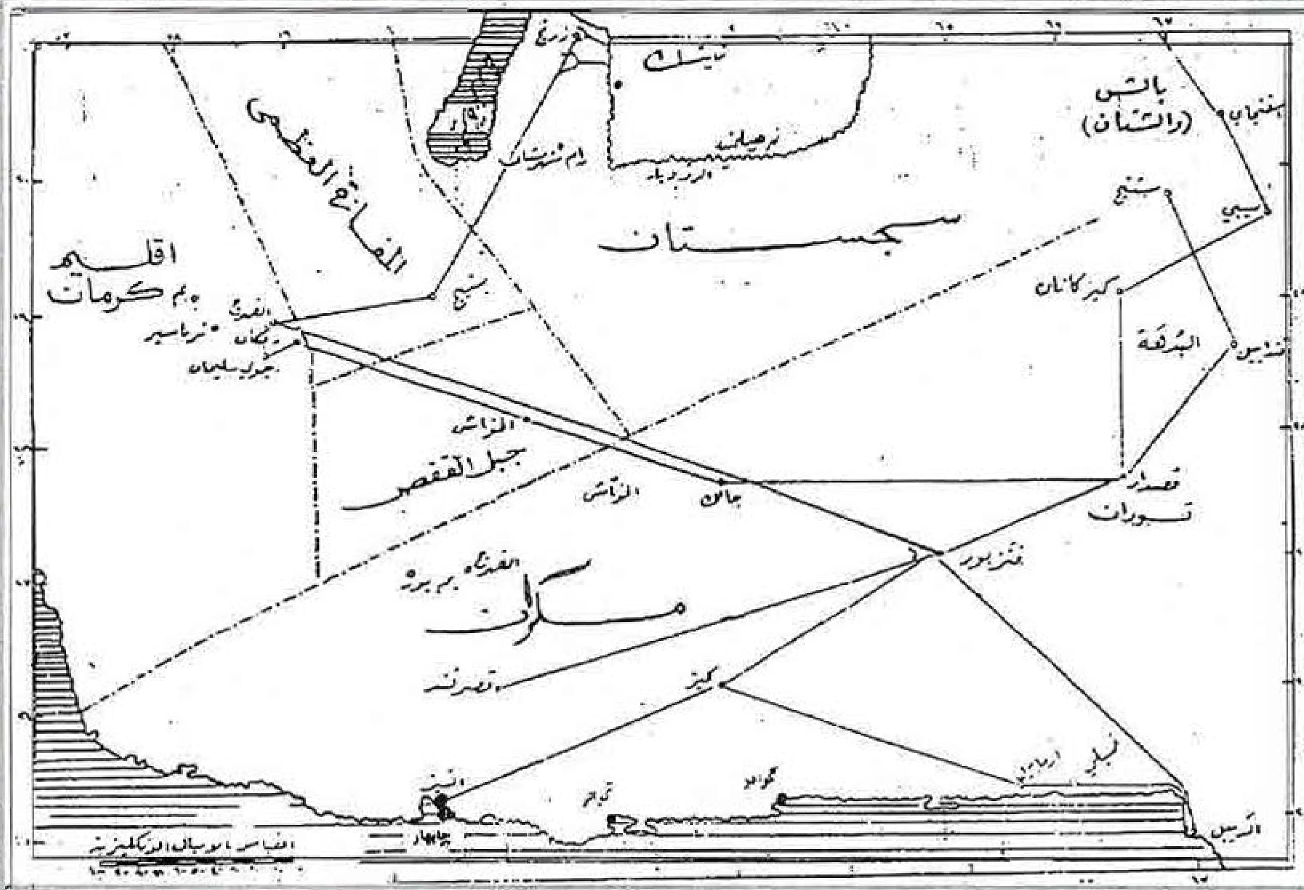
يقول المقدسي : لغة أهل تيزمكران الفارسية، والمكرية "والبلوصية" وكلامهم يشبه أصوات الطيور بقرب أول مخرج[٣٠] واللغة البلوصية "البلوشية" تشبه كثيراً اللغة الفارسية وهي من اللغات الآرية[٣١] وكثير من ألفاظ اللغة البلوشية تمتزج مع اللغة العربية، إلا أن أكثر ألفاظها فارسية والكتابة مثل الفارسية[٣٢] أما الزط والميد فكانوا يستعملون اللغة الدراوينية "الهندية القديمة" بجانب اللغة البلوصية[٣٣] أما لباسهم وما يتزينون به، فكان "الرجال" يلبسون القراطق، أما التجار فكانوا يلبسون القمص والأردية والعامة يلبسون لباس أهل فارس والعراق[٣٤] .

وكانوا يسبلون الشعور، ويشققون الآذان مثل أهل الهند، ويعلقون الحلقات الفضية والذهبية ويكثرون لبس الإزار "لحرارة المنطقة"[٣٥] كذلك كان التجار والأعيان يتعممون بالفوط والمناديل المصفحة بالذهب مثل تجار العراق وفارس وحكامهم يتشبهون بزي ملك الهند[٣٦] .

وكانت دياناتهم الزرادشتية لمجاورتهم الإمبراطورية الفارسية، وبعضهم على الديانة الهندوسية لأن بعض أجزاء المنطقة كانت تابعة لملك السند، ومنهم من لا يعتقد شيئاً لتفشي الجهل بسبب الظلم عليهم، وسبب انتشار الديانة الزرادشتية أنه بعد مقتل يزدجرد الثالث بيد المسلمين سنة ٧٢٠م ثم تتابعت الفتوحات في العهد الأموي فرُت كثير من الأسر والعوائل من أصفهان إلى مناطق نائية بدينها الزرادشتي ومن هذه المناطق تيزمكران والسواحل الهندية[٣٧] .

الناحية التجارية والطرق البحرية والبرية

يعتبر تيزمكران الميناء الرئيسي لإقليم مكران والمركز التجاري لتصدير واستيراد بضائع كرمان وسجستان[٣٨] .



إقليم مكران مع قسم من إقليم سجستان

وهو ميناء قديم كانت السفن التجارية ترتاده منذ آلاف السنين(٣٩) . يقول الإدريسي عن الميناء : وغربي كيز يقع ميناء التيز على البحر، وهي مدينة صغيرة لكنها مشهورة وعامرة بالسفن والمراكب التي تأتي من عمان وفارس وجزيرة كيش فهي ذات ثراء بالتجارة وقد أطلق عليها البيروني بأنها قصبة مكران، لعظم شأنها التجاري وحركة السفن العالمية إليها(٤٠) ومكانة هذا الميناء وأهميته ليست مقصورة على إقليم مكران أو تجارة سفنه، وإنما أخذ شهرة بين الشرق والغرب خاصة لمرور ورسو السفن التي تأتي من البصرة والأبلة ومنطقة الخليج المتجهة إلى أقصى الشرق أو الهند .

وحتى التي كانت تريد عمان وعدن وبحر القلزم "البحر الأحمر" وموانئها . لابد أن تمر على ميناء تيزمكران، لأغراض عدة، منها أن الفجوة والمسافة فيما بين موانئ سواحل فارس أو عمان بعيدة عن موانئ الهند والسند مثل ديبل "كراتشي" تقريباً وتانه "بمنى" .

والسبب الثاني أن السفن التي تأتي من الشمال فتمر على سيراف كانت تخشى بعد مرورها مضيق هرمز القديم "ميناب حالياً" كانت تخشى اللصوص قراصنة البحر من الزط والميد وغيرهم وخاصة في بحر العرب وبحر الهند بالقرب من ميناء ديبل وما جاوره، فالناحية الأمنية أعطت التيز أهمية أكبر ورغبة في ارتياد السفن فترسو في ميناء التيز لتمون نفسها بما تحتاج إليه للانطلاق إلى المسافات الطويلة من موانئ الهند، ملبار وكولم ملي، والشرق أو إلى موانئ عمان صحار ودبا وقلهات وهكذا إلى عدن وبحر القلزم(٤١) .

وسبب ثالث أنه بعد الفتح الإسلامي لجأ كثير من الناهضين للخلافة الأموية منذ ٩٣هـ - ٧١٢م من الخوارج وغيرهم عن طريق هرمز أو عمان إلى مكران وانتشروا فيها عن طريق ميناء التيز فكانت الحركة دائبة ليلاً ونهاراً(٤٢) . والسفن التي تنطلق من الأبلة والبصرة إلى الصين والشرق الأقصى، لابد من أن تمر على موانئ مثل جزيرة قيس وهرمز القديم وتيزمكران والديبل وهكذا(٤٣) .

والسفن التي تنطلق من الخليج وعمان محملة، ببضائع مختلفة تبيع وتفرغ حمولتها في تيزمكران وديبل وكولم ملي . ثم تعود محملة ببضائع

السند والهند فتقف عند تيزمكران وتتزود بالوقود والمياه حتى تواصل السير نحو عدن فجده ثم إلى عيذاب(٤٤) كما كانت التيز إحدى منطلقات السفن إلى شرقي أفريقيا "الحبشة" حتى إلى زنجبار، وكذلك إلى البحرين ومناطق الخليج الأخرى بل كانت التيز تستقبل سفناً من غير هذه المناطق(٤٥) .

وكذلك السفن القادمة من أقصى الشرق تمر وترسو في ميناء التيز ومنها تأخذ أحد مسارين إما إلى صحار وموانئ عمان والجزيرة العربية مثل أوال ودارين والقطيف وغيرها أو تأخذ الخط الشرقي الساحلي باتجاه البصرة والأبلة وهذه الحركة الدائبة استمرت بقوتها حتى القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، ثم ضعفت حتى القرن الرابع عشر الهجري "العشرين الميلادي" والآن أخذ دورها يعود ثانية منذ نصف قرن كما ذكرنا(٤٦) وهناك موانئ صغيرة على ساحل مكران والسند كانت تأتي إليها السفن المحلية الصغيرة التجارية وغيرها أما ميناء التيز فكانت السفن الكبيرة والعالمية ترسو به، وهذه السفن الضخمة كانت تدفع ضرائب للميناء فالسفن الصينية تدفع ألف درهم، أما السفن الإسلامية العربية فكانت تدفع عشرة دراهم إلى درهم واحد إكراماً للعرب، أما بعد الفتح الإسلامي، فقد خصصت ضرائب معينة معروفة(٤٧) .

الطرق البرية إلى تيزمكران

لم تقل الحركة التجارية البرية قدراً عن التجارة البحرية، فكانت القوافل أو صاحب البريد ينطلق من بغداد مروراً بالبصرة والأهواز وشيراز . ثم سيرجان ونرماشير، وفهرج، وبربور وقصر كند "كسرقند" حتى يصل إلى تيزمكران ثم يتابع سيره إلى كيزوكلوان "كلوا حالياً" وهي آخر حدود مكران، ثم راهوق وهي أول مدن السند وأرمابيل "ليس بيله" وديبل وهكذا شرقاً(٤٨) أما القوافل التي تنطلق من التيز محملة بالبضائع ومتجهة إلى كيز، فمن كيز تأخذ مسارين شرقاً إلى أرمابيل مباشرة وقمبلي "هب حالياً" حتى تصل ديبل أو تتجه من كيز باتجاه الشمال الشرقي فتصل فنزبور "بنجكور" ومنها إلى ديبل مباشرة . أو تأخذ مساراً من فنزبور إلى

قصدار أو الشمال الغربي إلى الفهرج من إقليم كرمان[٤٩] وهناك طريق شمالي مباشر من التيز إلى سيستان أو هرات[٥٠] أو من التيز إلى قندهار ثم كابل ومن كابل إلى ملتان أو من قندهار تسير القوافل مباشرة إلى الملتان[٥١] .

صادرات ميناء التيز

إلى جانب تبادل السلع الآتية من الشرق والغرب ثم تصديرها إلى مناطق مختلفة برية وبحرية . فقد كانت هناك سلع محلية خاصة من المواد الغذائية ، إذ كانت تصدر إلى الأقطار المنتوجات الزراعية مثل قصب السكر "قند" والفانيد المشهور "سكر النبات" والنارجيل، والقنا، والخيزران، والتمر، ورماح مكران مشهورة وتصدر عن طريق التيز إلى جميع الأقطار[٥٢] وأسماك خليج التيز مشهورة، وهي أجود الأنواع عالمياً وكانت تصدر إلى الخارج[٥٣] يقول ياقوت عن مكران، وهي معدن الفانيذ ومنها ينقل إلى الآفاق وأجوده الماسكاني، أحد مدنها وقصب السكر والتمر[٥٤] ومن المنتجات الزراعية الأرز، فكانت أيضاً تصدره إلى المناطق الإسلامية[٥٥] .

العملة

حولت الخلافة الإسلامية في عهد عبد الملك بن مروان رحمه الله التعامل عن العملة الفارسية والبيزنطية "الدرهم والدينار" إلى السكة الإسلامية فكانت تضرب في كشمير من عواصم الأقاليم الإسلامية سواء في عهد الأمويين أو العباسيين أو الدول المتعاقبة ويذكر اسم الوالي والإقليم والفترة في العملة كما كان الدينار اليوسفي واليعقوبي المعروف نسبة إلى ولاة الأمويين في العراق لوجود معدن الذهب والفضة في العراق وهكذا في كثير من المناطق الإسلامية مثل برهمان آباد المنصورة "حيدر آباد الباكستانية حالياً" من العصر العباسي والأمثلة كثيرة إلا أنه لم يثبت إصدار عملة مستقلة باسم حاكم إقليم مكران في التيز في صدر الإسلام ربما لقلة المصادر المالية ولقلة هذا المعدن الثمين، ولم يجد الباحثون شيئاً من ذلك حتى القرن الثالث عشر الهجري "التاسع عشر الميلادي" ١٢٣٧هـ - ١٨٢١هـ[٥٦] .

وبسبب هـذه الحركـة التجاريـة العالمية التي كانت تدر لأهـل تـيزمكران وعلى الإقليـم كلـه ، إلى جـانب الدخـل الآخـر فقد كـانت الخلافـة تجبى مـن إقليم مكران إلى بغداد في عهد العباسيين مليون درهم سنوياً حتى ٢٠٤هـ [٥٧] .

الفتح الإسلامي لميناء تيزمكران

كـانت أراضـي منطقـة مكـران أهـم المعابر البرية والبحرية للقوافـل والتجـار ثم للجيوش العابرة من الشمال إلى الشرق أو العكس كما حصل في عبور الإسكندر المقدوني قبـل الإسـلام عند عودتـه مـن الهند سنة ٣٢٦ قبل الميلاد[٥٨] .

وكذلك أصبحـت هـذه الأراضـي المعابر الرئيسـية للجيـوش الإسـلامية وأصبحت بيد المسلمين العرب لأكثر مـن ثلاثة قـرون حتـى نهايـة القرن الرابـع الهجـري "العـاشر الميـلادي"[٥٩] فالفتوحـات الإسلامية للـهند والسـند ومكـران أخـذت ثلاثـة مسـارات : الجيـوش البريـة تعبر الكوفـة والبصـرة وإقليم فارس وكرمان حتى تصـل مكـران ثم السند فتأخذ طريق القوافل في فتحـها لمكران أو السند .

أمـا مـا كـانت تنطلـق مـن الخليـج بحراً متجهة إلى مكران أو السند فتـنزل على الساحل الفارسي جنابـة أو سـينيز أو سيراف ثم تأخذ الطريـق الـبري كمـا سبق . والمسار الثالث الجيوش البحريـة التـي هـاجمت موانـئ الهنـد : تانـه أو ديبل وغيرهما .

فكانت تنطلق مـن موانـئ عمـان : صحـار ومسـقط وقلـهات ودبـا وهكـذا فكـانت أولى الحمـلات في عـهد سـيدنا عمر ﷺ سنة ٢٣هـ بقيـادة الحكـم بـن عمرو التغلبي وهو صحابي جليـل ومعـه كثير من الصحابة فكان مساره عن طريق البر وحين وصول الخبر إلى أهالي مكران استنجدوا بملك السند[٦٠] فـأمدهم ملـك السـند وكـان آنـذاك آخـر ملوكـهم وهـو داحر بن جج بن سيلانج البرهمي وهـذه الأسرة حكمت قرابة ثمانين عامـا حتـى قضى عليـهم محمـد بـن القـاسم الثقفـي نهائياً سنة ٩٣هـ - ٧١٢م[٦١] .

فـأمدهم هـذا الملـك بجنـود وفيلـة وأعتـدة أخـرى يقـول الطـبري فانتـهوا جميعاً إلى دوين النهر وقـد انفض أهـل مكران . فاقتتلوا حتى نصر الله المسلمين

وأرسل الحكم صحار العبدي بخبر النصر مع الغنائم إلى عمر ﷺ وكان من شأن سيدنا عمر أن يسأل عن كل قادم إلى المدينة عما جرى للمسلمين في المنطقة التي يقدم منها وعن صفة البلاد والعباد فقال صحار العبدي أمام عمر ﷺ "*هي أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل، والكثير فيها قليل، والقليل فيها ضائع وما وراءها شر منها*" . فقال عمر : "*لا والله لا يغزوها جيش لي ما أطعت*"(٦٢) وقد تضاربت الروايات وذكر المؤرخون أسماء قيادات وحملات كثيرة في عهد سيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي ومعاوية ﷺ بمختلف الأزمنة فمن الصحابة والتابعين من قاد الجيوش وفتح مناطق فاستشهد أو قتل ومنهم من عاد إلى دار الخلافة وأناب عنه آخر في مكران حتى حدود السند طوران "قصدار وقيقان وقندابيل" فكثرة الحملات، التي تدل عليها تلك الروايات، كانت إما بسبب نقض العهود والخروج على الخلافة مرات من المناطق المذكورة . أو أن المسلمين حاولوا التقدم سنة بعد سنة إلى اتجاه فتح السند فلم تستقر الأحوال حتى فتح الله على المسلمين السند كلها على يد محمد الثقفي رحمه الله .

وحين نذكر فتح مكران أو السند باعتبار تيزمكران جزءاً رئيسياً من إقليم مكران فما حصل للإقليم حصل لميناء تيز . وهذه أسماء بعض القادة للجيوش الإسلامية أو بعض الولاة والأمراء لإقليم تيزمكران ومكران عامة، وبعض أجزاء السند منهم من قاد معارك في شمال مكران مع القفص والبلوص، ومنهم من توغل حتى وصل بلاد البدهة :

١ - الحكم بن عمرو التغلبي وسهل بن عدي الأنصاري سنة ٢٣هـ - ٦٤٣م.

٢ - عبيد الله بن معمر التميمي ٢٩هـ - ٦٤٩م .

٣ - مجاشع بن مسعود السلمي ٣١هـ - ٦٥١م .

٤ - سعيد بن كندير القشيري سنة ٣٥هـ - ٦٥٥م .

٥ - الحارث بن مرة العبدي ٣٨/٣٩هـ - ٦٥٨/٦٥٩م .

٦ - عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي ٤١هـ - ٦٦١م .

٧ - راشد بن عمرو العبدي ٤٢هـ - ٦٦٢م وفي رواية من ٥١/٥٣هـ - ٦٧٢/٦٧٦م.

٨ - عبد الله بن سوار العبدي ٤٣هـ - ٦٦٣م والولاية الثانية ٤٧هـ - ٦٦٧م واستشهد فيها وفي رواية كانت ولايته من ٤٦/٤٩هـ ٦٦٦/٦٦٩م .

٩ - سنان بن سلمة الهزلي ٤٨هـ - ٦٦٨م وفي رواية أنه كانت ولايته الأولى سنة ٤٩/٥١هـ ٦٦٩/٦٧١م والولاية الثانية ٥٣/٥٧هـ - ٦٧٢/٦٧٦م .

١٠ - المنذر بن جارود العبدي٦١هـ - ٦٨٠م وقيل منذ ٥٩/٦٣هـ - ٦٧٨/٦٨٢م .

١١ - الحكم بن المنذر بن جارود العبدي ٦٣/٦٤هـ - ٦٨٢/٦٨٣م .

١٢ - سعيد بن أسلم الكلابي ٧٥/٨٠هـ ٦٩٤/٦٩٩م وبعد سعيد تولى الخوارج المعروفون بالعلاقيين أمر مكران منذ ٨٠/٨٥هـ - ٦٩٩/٧٠٤م وقد قتل العلاقيون الوالي سعيد بن أسلم واستمروا في الحكم حتى أرسل الحجاج الوالي .

١٣ - مجاشع بن سعد التميمي ٧٦هـ - ٦٩٥م وقبل ٨٥/٨٦هـ ٧٠٤/٧٠٥م .

١٤ - محمد بن هارون النمري سنة ٨٠هـ - ٦٩٩م وأصح الروايات أنه تولى ٨٦/٩٢هـ - ٧٠٥/٧١٠م .

١٥ - محمد بن القاسم الثقفي ٩٣هـ - ٧١١م فقد توجه من العراق سنة ٩٢هـ - ٧١٠م ماراً بشيراز وكرمان حتى وصل مكران والتقى بواليه محمد بن هارون وأقام أياماً ثم توجها إلى ديبل لفتحها وفي طريقها واجها مقاومة من أهالي فنزبور لكن الله نصرهما عليهم ثم تقدما إلى أرمابيل وأدركت الوفاة الوالي محمد بن هارون هناك ودفن بها وبعدها توجه الثقفي إلى ديبل ففتح الله عليه ذلك والسند كلها واستقرت الأمور في تيزمكران والإقليم عامة فأصبح والي التيز ومكران يقيم بفنزبور، وأصبحت المركز الإداري والتجاري والسياسي لإقليم مكران[٦٣] .

د. إبراهيم عطا الله البلوشي
أستاذ التاريخ الإسلامي
بجامعة الإمارات العربية المتحدة

الهوامش

١ – تاج العروس جـ ٤ ص ١٢ . وأطلق هذه التسمية على الميناء وذلك بسبب الحركة التجارية الدائبة للسفن من وإلى الهند والشرق والغرب . يقول الزبيدي .... الخ

٢ – Encyclopedia Of Islam . Brill, 1991 .V. V1 , P.192-3

٣ – C.E. Bosworth : Studia Iranica :Rulers of Makran And Qusdar In The Early Islamic Period, London, 1994 P. 199.

٤ – كامل القادري : قديم بلوجستان، كراجي ١٩٧١م ص ٩١ – ٩٤ .

♦ وسميت زاهدان (ماء اللصوص) لأن صحراء سجستان ليس بها ماء ولا بشر، فكان قطاع الطرق يزودون أنفسهم من هذا الماء إلى أن عمرت المنطقة . ووصف المنطقة ولصوصها موجود في المصادر الإسلامية .

٥ - تاريخ الرسل، القاهرة ١٩٦٣م جـ ٤ ص ١٨١ – ١٨٢ .

♦ الكامل بيروت ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م جـ٣ ص٩٩ – ١٠٠، جـ٤ ص٥٣٧

♦ البلاذري : فتوح البلدان، بيروت ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م ص٤٢٠ – ٤٢٣ .

♦ A.W. Hughes : The Country of Baluchistan, Quetta Pakistan, 1977, P.61

♦ G.N.Curzon : Persia And The Persian Question, London, 1966. V.2 P. 264, 266.

♦ Sykes : History of Persian. London, 1915 V.1 P. 298.

♦ A.T. Wilson : Persia, U.S. 1933 P.10.

♦ Muhammad Sardar Khan Baluch : The Great Baluch, Bakistan, Karachi, 1965. P.55.

وبمبور أكبر مدينة في مكران، وهي مدينة أثرية قديمة وقد مر بها الإمبراطور الإسكندر المقدوني، حين عودته من الهند ٣٢٦ ق. م . ونهر بمبور الذي يطلق عليه "هليل رود" – تجتمع مياهه في خليج هامون – "جازموريا" وعمق وادي هليل ١٩٠٠ قدم ولا يعرف نهر بهذا المستوى في مكران إلا هذا النهر، وهو شمال بمبور بثلاثة أميال، راجع :–

◆ G.N.Curzon : Persia And The Persian Question, V.2, P. 264 - 266.

◆ Sykes : History of Persian. London. V.1 P. 298 A.T. Wilson : Persia. U. S. 1933, P. 10.

◆ Muhammad Sardar Khan Baluch : The Great Baluch, Bakistan, 1965, P.55.

٦ - جريدة جنك JANG ، العدد الخامس، كراجي ١٩٩٥/١/٢٧م ص٥ - صاحب المقالة، سليم إيم ميان بعنوان "جوادر في التاريخ".

٧ - ◆ J.M. Kinneir : Geographical Memoir of The Persian Impire, London, 1813

◆ G.N. Curzon : Persian, V.2 P. 257- 8. P. 206

وجابهار هذه بنى الشاه بها سنة ١٩٧٠م أكبر قاعدة عسكرية بحرية وجوية في المحيط الهندي بل وفي الشرق الأوسط.

◆ Asdulla Alam : The Shah and I London1991. P. 105- 6.

٨ - Lorimer : Gazetteer of The Persian Gulf, Geography Part. India 1970. V.2 P. 1145, 1147, 1155.

ولمزيد من المعلومات عن القلعة والآثار بتيزمكران، راجع :

◆ أحمد اقتداري : آثار شهرهاي باستاني، تهران ١٣٤٨هـ ص٣٩٦ - ٤٠١ . وتبعد جابهار عن إيران شهر ٢٢٠ كم وعن طهران ٢٤٠٦ كم عن طريق زاهدان وكرمان كما أنها تبعد عن كرمان ١٢٧٣ كم وعن زاهدان ٧٥٦ كم .

◆ فرهنك جغرافي إيران، جـ٨ ص ١٠٨ .

٩ - J.M. Kinneir : Geographical, P. 206 .

١٠ - Sykes : History of Persia, 1912 V.2 Map. S.O. No. 369.

١١ - ذبيح الله ناصح : بلوجستان، طهران ١٩٦٦م ص ١٧٧ .

١٢ - سبهد أمان الله : سر كزشته بلوجستان، ص ٩٦ .

١٣ - Mir Ahmad Yar Khan : Inside Baluchistan, Karachi 1975, P. 58.

١٤ - المقدسي أحسن التقاسيم، ليدن ١٩٠٦م، ص ٤٧٨ . والرباطات هي الفنادق في العصر الحاضر، فكانت موجودة في المدن والمراكز التجارية والموانئ الرئيسية وهي جمع أربطة .

١٥ - خان بهادر خداداد خان : لب تاريخ سند، كراجي ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م ص ١٤ - ١٦ .

١٦ – الطرازي : الموسوعة الإسلامية لبلاد السند والهند، السعودية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، جـ٢ ص١١١ .

١٧ – ابن حوقل : صورة الأرض، ليدن، ١٩٣٩م ط ٢، ص ٣٢٣ .

١٨ – المباركبوري : العقد الثمين في فتوح الهند . بمبي ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م ص ١٥ – ١٧ .

◆ Mir Ahmad Yar Khan : Inside Baluchistan Karachi, 1975 . P. 58.

١٩ – ابن حوقل : صورة الأرض، ص ٣٢٣، ٣٢٨ –

◆ إيرج سيستاني سيستان بلوجستان، تهران ١٣٦٣هـ ص ٢٦٥ – ٢٦٦ .

٢٠ – سيروس نيساري : كليات جغرافي إيران، تهران ١٣٥٠هـ – ١٩٧١م ص ٨٨ .

◆ ذبيح الله : بلوجستان، ص ١٧٧ – ١٧٨، ١٨٣ .

◆ محمد برقعي : نظري به بلوجستان، سفر نامه طهران، ١٣٥٠هـ – ١٩٧٨م، ص ١٦٢ .

٢١ – ◆ M.A. SHAH : Sardari Jirga in Baluchistan. Pakistan Quettan 1992. P. 5,12.

◆ Mir Khuda Bakhsh Marry : Search Light on Baluch. And Baluchistan Pakistan Quetta, 1977 P. 7370.

٢٢ – معن العجيلي : بلوشستان ديار العرب ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ص ١٣٤ .

٢٣ – M. Sardar : History of Baluch, P. 230.

٢٤ – ذبيح الله بلوجستان، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

٢٥ – كتابشناسي : أطلس جيبي، إيران، ص ١٣٠ وفي العصر الحاضر يعتبر ميناء جابهار "التيز" مركز الإقليم ويتبعها عدة قرى ومدن، مثل مدينة دشتياري عدد سكانها ٢٠,٠٠٠ فرد في القرن الثالث عشر الهجري "التاسع عشر الميلادي" والتي تبعد عن جابهار "تيزمكران" ٧٢ كم . ومدينة نيكشهر ١٦,١٠٦ أفراد وتبعد عن جابهار بـ ١٦٢ كم ومدينة قصرقند ١٠,٢٣٣ فرداً وتبعد عن جابهار بـ ٢٣٤ كم

راجع : سبهد أمان الله : سركز شته بلوجستان، ص ١٠٨ – ١٠٩ .

٢٦ – Donald N. Willer : Pakistan Its People Its Society. U.S. 1963, P55

٢٧ – الأصطخري : المسالك والممالك، بريل ١٨٧٠م، ص ١٦٤ .

٢٨ – أحسن التقاسيم، ص ٤٧٨ .

٢٩ – Saeed Abdulqadir : The Tribal Baluchistan, Pakistan 1990. P.75

٣٠ - أحسن التقاسيم، ص ٤٨٢ .
٣١- Mir Ahmad Yar Khan : Inside Baluchistan Karachi, 1973 . P61
٣٢- Lorimer : Gazetteer of The Persian Gulf, V.2, P. 1137 .
٣٣- Hilary Adamson : Traveling to Pakistan, Pakistan 1981. P.328.
٣٤ - الاصطخري : المسالك والممالك، ص ١٧٧ .
٣٥ - المقدسي : أحسن التقاسيم، ص ٤٨٢ .
٣٦ - الطرازي : الموسوعة . جـ ٢ ص ١٤٦ .
٣٧ - قاضي عبد الرحمن صابر : مكران تاريخ كي أهينة مي، كراجي ١٩٦٧م ص ١٠٢ .
♦ Richard. N. Frye : The Golden Age of Persia London, 1975. P. 96.
٣٨- Bosuworth : Journal of The British Institute of Persian Studies, Qufchis in Persian History XIV, 1976. V.2 P.9.
٣٩- Mexsellany : Pakistan, Karachi, 1958 VII, P. 11
٤٠ - نزهة المشتاق : روما، ١٩٦٦م ص ١٧٣ .
♦ البيروني : تحقيق ماللهند من مقولة، حيدر أباد، الهند ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م ص ١٦٧ . وكيز هي "تربت حالياً تبعد عن التيز بخمس مراحل ومن كيز إلى فنزبور مرحلتان، ومن أراد من فنزبور إلى التيز فطريقه على كيز ومن التيز إلى البدهة وهي منطقة كيز كانان "قلات وكجي" حالياً في عشرة .
♦ مراحل الأصطخري : المسالك، ص ١٧٨ - ١٧٩ .
٤١ - راجع الطرازي : الموسوعة، جـ ٢، ص ١٠١ فضلو حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي، القاهرة، ١٩٥٨م ص ٢٠٩ .
٤٢ - عمان وتاريخها البحري : وزارة الإعلام، سلطنة عمان، ص ٣١ - ٣٢ .
٤٣ - حوراني : العرب والملاحة، ص ٢٠٩ .
٤٤ - الطرازي : الموسوعة . جـ ٢ ص ١٠١ .
٤٥ - M. Sardar Khan Baluch : History of Baluch, Karachi, 1958. P181/182 .
٤٦ - R. Roolvink and Others : History , Atlas, Amsterdam 1957 P.17/18 .
٤٧ - الطرازي : الموسوعة، جـ ٢ ص ١٠١ - ١٠٢ .
٤٨ - الأصطخري : المسالك، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

◆ الطرازي : الموسوعة جـ ٢ ص ١٠٣ ، ١٨٦ .

٤٩ – كي، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ت : بشير وغيره بيروت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ط ٢، أنظر الخارطة رقم ٧ ص ٣٦٠ – ٣٦١ .

٥٠ – باستاني باريزي : يعقوب ليث، طهران ١٣٤٤هـ ص ٨٧ .

٥١ – R. Roolvink : History Atlas, P. 18.

٥٢ – الطرازي : الموسوعة جـ ٢ ص ١٠٥

◆ ابن الفقيه : كتاب البلدان ليدن ١٣٠٢هـ ص ٥٠ .

٥٣ – Mir Khan : Inside, P. 47.

٥٤ – معجم البلدان : جـ ٥ ص ١٨٠ .

◆ راجع الأصطخري : المسالك ص ١٧٧ .

٥٥ – Bosworth : Roler of Makran, P. 200.

٥٦ – Bosworth : Same P. 204. H. 20.

٥٧ – أبو الفرج البغدادي : كتاب الخراج، بريل ١٨٨٩م ص ٢٣٦ ، ٢٤٢ .

٥٨ – A.T. Wilson : Persia. U.S. 1933. P. 10.

◆ P.M. Sykes : History of Persia, P. 12, 277, 297.

٥٩ – M.A. Shah : Sardary, P. 12 - 13.

٦٠ – الطبري : تاريخ الرسل، القاهرة ١٩٦٣م جـ ٤ ص ١٨١ – ١٨٢ .

◆ المباركبوري : العقد الثمين ص ٥٠ .

٦١ – خان بهادر خداداد خان : لب تاريخ سند ص ١٤ – ١٦ .

٦٢ – الطبري : تاريخ الرسل، جـ ٤ ص ١٨١ – ١٨٢ .

◆ ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص ٥٥٤، جـ ٣ ص ٤٥ – ٤٦ .

وقد سبق أن ذكرنا عن النهر وموقعه حسب الروايات التي هي أقرب للصواب، لأن المؤرخين والجغرافيين القدامى لم يذكروا موضع ومسمى النهر، وإنما مجموع الروايات تدل على النهر المسمى بنهر بمبور "بربور قديما" وهناك رواية في مرجع متأخر تذكر أن النهر هو نهر مهران "نهر السند" .

◆ الطرازي : الموسوعة، جـ ١ ص ١٣٣ – ١٣٤ .

٦٣ - راجع المباركبوري : العقد الثمين، ص ٥١ ، ٥٢ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨١، ٨٤، ٩٤، ٩٩، ١٠١، ١١٠، ١٢٠ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٥١ .

◆ الزركلي : الأعلام، بيروت ١٩٧٩م ط ٤ ، جـ ٢ ص ١٥٧ ، جـ ٥ ص ٢٧٧ ، جـ ٧ ص ٢٩٢ .

◆ ابن الأثير : الكامل، جـ ٣ ص ٩٩ - ١٠٠، ٤٣٧ ، جـ ٤ ص ٣٨٠، ٥٣٧ .

◆ البلاذري : فتوح، ص ٤٢٠ - ٤٢٤ .

◆ الطرازي : الموسوعة، جـ ١ ص ١٤٨ - ١٥٩ .

ولم نفصل في جانب الفتح الإسلامي لمكران حيث كتبنا عنها في البحث العلمي عن ميناء ديبل "كراشي" .

تاريخ الخليج والبحر الأحمر

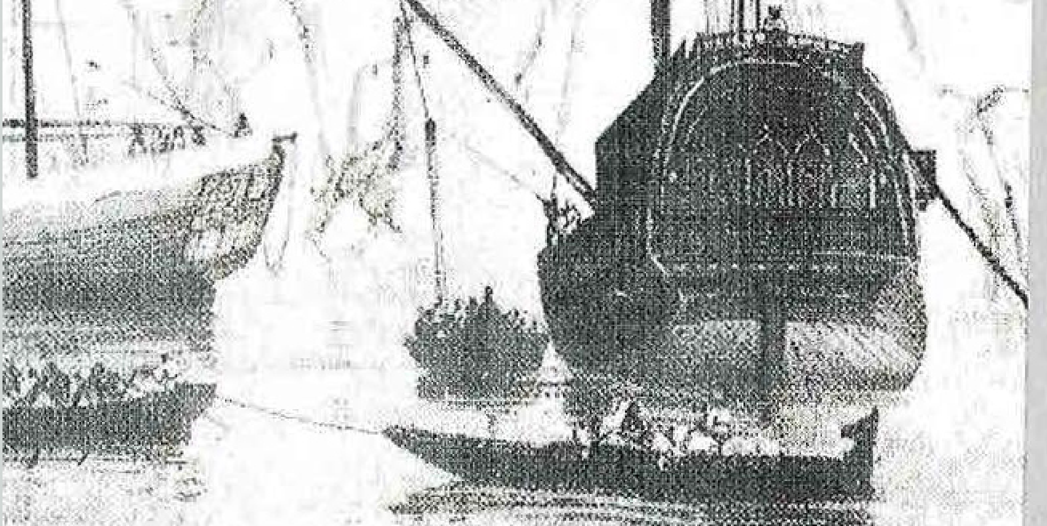
ملوك هرمز ومقتطفات

ترجمه إلى الإنجليزية ويليام إف سنكلير

(متقاعد من ديوان موظفي الحكومة الإنجليزية في بومبي)

ونقله إلى العربية الدكتور عيسى أمين

[حباً في معرفة تاريخ الخليج ، ورغبة في دراسة أصول التدخل الأجنبي وأسبابه ، أقدم هذه الترجمة لكتاب نادر وآمل أن ينال إعجاب قراء العربية] د. عيسى أمين



في أسفار بيدرو تينحسيرا "٢"

من كتاب ملوك فارس

" قدمنا في العدد ٣١ من الوثيقة الجزء الأول من هذا الكتاب النادر الذي يترجم لأول مرة إلى العربية . . ويسعدنا أن نقدم على هذه الصفحات الجزء الثاني منه راجين أن يحقق الهدف وأن يميط اللثام عن كثير من الأحداث التي دارت على الساحة، خاصة وأنه كتب بقلم شاهد عيان "

[الوثيقة]

إننا نعلم الآن ومن قراءتنا للفصل السابق أن بيدرو تينحسيرا قضى زمناً طويلاً في هرمز تعلم فيه اللغة الفارسية وترجم ملحمة توران شاه(١) – (ملوك هرمز) وملخص تاريخ فارس (مخطوط ميرخوند).

عندما عاد رحالتنا إلى البرتغال في ١٦٠١م أحضر معه التراجم المذكورة ولكن .. وبسبب عودته السريعة مرة أخرى إلى الهند لأمور مالية تخصه لم يستفد العالم من هذه الأعمال إلا بعد عدة سنوات حيث استقر في النهاية في مدينة أنتورب الأسبانية آنذاك ١٦٠٥ – ١٦٠٩م ونشر ما كتبه عن ملحمة ملوك هرمز وتاريخ ملوك فارس إلى فترة دخول العرب إليها . وذلك بعد حصوله على تصريح بذلك . واستجابة لبعض الأصدقاء قام بنشر تاريخ ملوك فارس باللغة الأسبانية بدلاً من البرتغالية . وأضاف إليه كتاباً آخر وبنفس اللغة عن رحلاته وأسفاره حتى أبريل ١٦٠٩م .

في عــام ١٩١٠م خـرج كتــاب تينحسيرا إلى الناس عامة بمقدمة جميلة تذكر أسفاره ومحتوى الكتاب وقد لاقـى هذا الجـهد استحسان القراء واستخدم الكتاب كمرجـع لهـم عندمـا كتبـوا عـن الشرق وخاصة فارس . وبعد وفاته بفترة قصيرة خرج كتابه مرة أخرى بلغة ثانية **(الفرنسية)** وفي النهاية جاءت الترجمـة الإنجليزيـة بواســطة الكـابتن جـون ستيفنز .

كانت ترجمة ستيفنز مجـزأة غطى الجـزء الأول منـها الفـترة (١٦٠٠ - ١٦٠١م) و (١٦٠٣ - ١٦٠٥م) مــن أسفار تينحسيرا ونشرت هذه الترجمة في سلسـلة مقـالات شهريـة في مجلـة [**المجموعــات الجديـدة للرحـلات والأسفار**] والمطبوعـة في لنـدن في بدايـة ديسـمبر ١٧٠٨م واسـتمرت إلى عــام ١٧١٠م .

هذه المجموعة من المقالات أعيدت طباعتها مـرة أخرى في ١٧١١م وكـانت هذه المقالات تحمل عنوانا مثـل **"رحلـة بيتر تينحسيرا مـن الهنـد إلى إيطاليـا عـن طريـق الـبر"** أمـا بـاقي الترجمـة **(ترجمة ستيفنز)** فقد عادت للظهور في سنوات تالية في كتـاب تزيـن غلافـه مناظر ترمـز إلى تـاريخ فــارس - ويحمــل عنـوانا طويــلاً هـو **"تـاريخ فـارس الحـاوي علـى سـيرة وأعمـال ملوكها منذ نشـأة الملكيـة حتـى يومنـا هـذا"** شـرح مفصـل للمنـاطق الفارسـية ووصـف للـهند والصـين وبـلاد التتـار وكرمان وجزيرة العرب ونيسـابور وجـزر سيلان والتيمور والمـدن الكبـيرة مثـل شيراز ، سمرقند ، بخارى ، وعادات وطبـاع الفـرس مـن عبـدة النـاس ، والأشجـار والحيوانــات والمنتوجــات التجاريـة . وصـف لطـرق دفـن الموتـى الغريبة وحرق الموتى ، ومشروبات الدول المختلفة ، والصيــد البري والبحري ، والفيزيـاء وأشـهر الأطبـاء في الشـرق ، ومنجـزات تيمورلنك ، وملخـص ملـوك هرمز ، وتاريخ فارس المكتـوب بالعربيـة بواســطة المـؤرخ الفارســي الشـهير **(ميرخند)** وتـاريخ هرمز الـذي كتبـه توران شاه ملك جزيرة هرمز ومترجم إلى الأسبانية بواسطة **"أنطونيـو تينحسيرا الـذي قضـى عـدة سـنوات في فـارس والهند ، وقد ترجمت هذه الأعمال إلى الإنجليزية الآن بواسطة الكابتن جـون ستيفنز في لندن"** . والذي يحاول إضافة تاريخ فارس حتـى بدايـة القرن الثامن عشر . أما تينحسيرا فإنه يعطـي شرحـا

موجزاً لمقاطعات فارس وشجرة أنساب ملوك الفرس مع شرح مطول عن تاريخ هرمز .

أما في الكتاب الثاني فإن ستيفنز استطاع اختصار الفصول في كتاب تينحسيرا (**تاريخ فارس**) من تسعة وخمسين فصلا إلى ثمانية وأربعين ، ولذا نجد أن إعادة فهرسة كتاب تينحسيرا أصبحت كالتالي :

١ - ترجمة مختصرة لمخطوط ميرخوند (**تاريخ فارس**) ورغم احتواء تلك الترجمة على عدة أخطاء إلا أن الفضل يعود إلى تينحسيرا في تعريف العالم الأوروبي بهذا الفرع من المعرفة .

٢ - ترجمة مختصرة أخرى للشاهنامة (**المفقودة**) والتي كتبها توران شاه ونقلها تينحسيرا وله يعود الفضل مرة أخرى حيث أنها الوحيدة الموجودة الآن . ولقد اعترف بفضله الباحث السير هنري يول (**Sir Henry Yule**) وأكد أهميتها .

٣ - ملخص لأسفاره ١٦٠٠ - ١٦٠١م و ١٦٠٤ - ١٦٠٥م والتي نستشف منها أنه كان ذا عيون راصدة ، وشديد المراقبة ، ودقيق في التسجيل والنقل .

٤ - مجموعة من المعلومات أدخلها تينحسيرا في كتابه (**ملوك فارس**) رغم عدم ترابطها مع موضوع الكتاب واحتوائها على معلومات عن طبيعة آسيا وأفريقيا والأصول السكانية فيهما والتاريخ الطبيعي والدوائي وملاحظات شخصية أخرى ، سواء شهدها أو نقلاً عن رواة آخرين ولكن جميعها ذات فائدة للدارسين .

لقد كانت وفاة السيد دبليو إف سينكلير (**W. F. Sinclair**) سبباً في عدم اكتمال الترجمة الأخرى لكتاب تينحسيرا ولكننا نستطيع أن ننقل رأيه من الأوراق التي تركها لنا حيث يقول في يناير ١٨٩٩م :

" إنني أنظر إلى تينحسيرا على أنه كان شاهداً ممتازاً ومراقباً ثاقب النظر ، ولكنني لا أستطيع أن أجزم - حالياً على الأقل - وأؤكد حقيقة كل ما كتبه (رغم ثقته الشخصية الكاملة) ولكن ورغم ذلك فقد ترجمت أسفاره دون حذف أي شيء منها .

لقد قمت بترجمة الشاهنامة الخاصة بتوران شاه لأنها النسخة الوحيدة الآن .

*أما بالنسبة (**الملوك الفرس**) فإن قيمته الآن أصبحت دون الترجمة الموجودة لكتاب (**روضة الصفا**) . "*

يعود السيد سينكلير ليكتب في ٢٣ يناير ١٨٩٩م قائلاً "**إنني أعتبر تينحسيرا من الرحالة الأوائل في العالم** " .

وفي فبراير من نفس العام يضيف قائلاً "*أنه مسافر محظوظ لأنه احتفظ بأجزاء بسيطة من الشاهنامة المفقودة في هرمز*" .

في مايو ١٨٩٩م يؤكد "*أن تينحسيرا كان حريصاً ودقيقاً كما هو متوقع اليوم من الرجال أمثاله*" .

إنني أقدم كل اعتذاري للدارسين والباحثين إذا ما وجدوا أن الأسماء المترجمة غير مقبولة حيث أنني قمت بالترجمة من العربية والفارسية وحاولت أن أعطي الأسماء قدراً كبيراً من الاهتمام لتطابق الواقع والمسميات الأصلية .

مقدمة جون ستيفنز لكتب بيدرو تينحسيرا

(ملوك فارس) و(ملوك هرمز) المترجمة

مع مقدمة كاملة لكل الأعمال

تعتبر فارس الآن ولعدة قرون مضت من أعظم الإمبراطوريات الشرقية ، ومع ذلك فإن المعلومات المتواجدة عنها (**وباللغة الإنجليزية**) تكاد تكون مجزأة ومحدودة - فهناك عدة مقالات عن هذا الجزء من العالم كتبت بواسطة الرحالة وتناولت حياة الناس وطبيعة البلاد وآخر الملوك الفرس ، هذا إلى جانب معلومات محدودة في التاريخ التركي وكتب أخرى تذكر دخول التتار إلى فارس .أرجو أن يسمح لي القارئ لعدم وجود الفصلين الأول والثاني والخاصين برحلة تينحسيرا من الهند إلى إيطاليا لذا سوف أترجم الفصل الثالث .

الفصل الثالث

كيف سافرت من هرمز ووصلت إلى أعالي الخليج

وعبرت دجلة والفرات إلى مدينة البصرة

قمنا بالاستعداد مرة أخرى والتزود في هرمز مرة أخرى وابتدأنا سفرنا في ١٧ يونيو آملين في رحلة موفقة هذه المرة ،قد أكدوا لنا أن الرياح الجنوبية الغربية أقل سرعة ومتقطعة الآن - وبالفعل وجدنا الفرق ولكن ليس بالصورة المؤملة .

هذه المرة توجهنا في مسار بحري مقابل لجزيرة قشم وبمحاذاة نفس الساحل مثل المرة السابقة وتجاوزنا المياه الضحلة (**الخان**)[٢] وبعدها إلى قلعة (**ريشل**)[٣] في المنطقة المشهورة بالخبز والفواكه والخضار ، وتتبع هذه القلعة

الملك أو الشاه الفارسي وهي محصنة ويقيم فيها العساكر - ومن هناك توجهنا شمالاً إلى (**ريخ سيف الدين**)[٤] والمقصود به رمال سيف الدين ، وتسكن هذه المناطق الجماعات العربية والموالية لشاه الفرس ولكنهم يعترفون ويتعاملون مع البرتغاليين ويحملون معهم أوراقهم الخاصة ، أو جوازات سفرهم وإلا تعرضوا للهلاك بواسطة السفن البرتغالية .

لقد كانت العلاقة بين رجال (**بندر ريخ**) والبرتغاليين سيئة جداً وذلك بسبب حوادث سابقة . لذا وجدنا السكان قد هربوا عندما شاهدوا الغلايين المرافقة لنا .

وتقع جزيرة خرج في موقع مقابل لبندر ريخ وعلى بعد ثلاثة فراسخ (**تسعة أميال**) من الشاطئ وتعتبر ملجأ جيداً ضد الرياح الشمالية الغربية - وتغطي مساحة كبيرة منها الجبال الصخرية ، مع توافر المياه ، وبها أشجار النخيل ومزارع البصل وكثير من الأغنام والماعز ، وتصدر منتجاتها إلى البصرة .

يعتبر أهالي جزيرة خرج من الأعراب الموالين لشاه فارس .

لقد توقفنا في هذه الجزيرة في ٢٥ يوليو ولمدة أربعة أيام بسبب الرياح . وعلى الساحل المقابل تقع المناطق المرتفعة من الأراضي الفارسية والتي تتجه عند هذه النقطة إلى محاذاة الساحل وتعود لتختفي مرة أخرى إلى الداخل كلما بعدنا عن هذه الجزيرة إلى أن نصل إلى مناطق دونها مستوى اليابسة و نكاد لا نراها مرة أخرى .

وعند عبورنا بندر ريخ ، أو ريخ سيف الدين و رشتل ، شاهدنا مصبات الأنهار فيها[٥] .

اتجهنا غرباً بعد ذلك وفقدنا اليابسة ليس لبعدها ، لكن بسبب انخفاض مستواها عن البحر - ومن هنا كان قبطان سفينتنا من أهالى جزيرة خرج ورغم أنه قبطان معروف ومشهور بمعرفته للمسارات الضيقة ، إلا أنه كاد أن يجنح بسفينتنا إلى اليابسة في منطقة تسمى (**الخراب**)[٦] ويقال أنها كانت مدينة قديمة قد غطاها البحر ، وكان عرض المنطقة المذكورة أربعة فراسخ ولكن عبورها يحتاج حيطة كبيرة وسفينة في المقدمة للتأكد من عمق البحر .

في أول أغسطس وصلنا إلى شط العرب ويسمي العرب النهر المشهور بـ [**الشط**] والنهر الأصغر [**خور**] أو [**ود**] . لذا نجد في الأسبانية [**ود الكير**] و [**ود يانا**] وهي تعني نفس الشيء .

هذا الشط ناتج عن التقاء دجلة والفرات في منطقة القرنة ، ومنها وعلى بعد ثلاثة أيام تقع البصرة .

وفي القرنة وجدنا قلعة تركية تتحكم القوات المقيمة بها بالمسارات المائية القريبة منها والتي تتوزع إلى الشمال والجنوب ، علماً بأن المناطق الشمالية تابعة لمبارك بن مطلب الزعيم العربي والمعادي للأتراك وتقع أراضيه في المناطق الفارسية ولكنه يطالب بها وبالبصرة أيضاً .

هذا إلى جانب وجود مدن متميزة في منطقته مثل الحويزة والدورق والمجدم ، هذه المدن تحيط بها مناطق زراعية واسعة ولكن لا يعتني أحد بها خوفاً من هجمات الأتراك ، أما المناطق الجنوبية والواقعة في مناطق النفوذ العربية فهي تمتاز بنخيلها وبساتينها .

ينحني النهر عند مصبه حنية كبيرة ولكنه يعود إلى مجراه الطبيعي قبل نهايته ويكاد يغطي مساحة ميلين في العرض وستة أبواع في العمق مع اختلاف المنسوب المائي وسرعة تدفق المياه من موسم إلى آخر . وتمتاز هذه المناطق سواء الشمالية أو الجنوبية بكثرة الطيور من الأوز والحباري ، والخنازير البرية ، وينتقل سكانها بين جزء وآخر على جلد الحيوانات المنفوخ .

وعند وصولنا إلى هنا جاء الكثير من السكان العرب على الجلود المنفوخة إلى محاذاة سفينتنا بقصد بيع الدجاج والبيض والزبد والتمر وأشياء أخرى رخيصة جداً .

ورغم قوة الرياح المعاكسة فقد استطعنا دخول النهر ، وبعد ثمانية أو تسعة فراسخ وجدنا أن مسارنا المائي قد انقسم إلى اثنين متساويين ومتوازيين ينحدر أحدهما جنوباً خلال جزيرة العرب إلى أن يصل إلى القطيف قرب البحرين(٧) .

أما المسار الآخر فهو أعمق وأوسع من الآخر ، ومجرى الماء فيه أقوى ، وبعد مسير مسافة صغيرة في هذا المجرى واجهتنا جزيرة صغيرة مليئة بأشجار النخيل(٨) .

في ٦ أغسطس في الثامنة صباحاً وصلنا إلى سيراج[٩] حيث تستخدمها السفن في إفراغ حمولتها .

توقفنا في سيراج بقرب قلعة الأتراك في ضاحية مباركة وللأتراك قلاع كثيرة على المسارات المائية لحماية جنودهم من هجمات الأعراب . ولسد احتياجات ومصروفات الحامية وغيرها .

توجد في هذه القلعة ترسانة للأسلحة والمدافع ومجموعة من السفن الصغيرة وغير المتقنة الصنع ، وإنني لا أعتقد أن هذه السفن والأسلحة وجدت لتكون ضد البرتغاليين ولكن وجودها للسيطرة على العرب الثائرين ضد الضرائب الباهظة - ولقد تم إنزال سفينة جديدة أثناء تواجدي في البصرة وإنني أعتقد أن صغر حجم هذه السفن ناتج عن عدم تواجد الأخشاب وغلاء ثمنها .

ويعبر سكان القلعة القناة المائية على جسر خشبي محمول على ثماني سفن صغيرة وفي المناطق الأخرى بواسطة سفن صغيرة استخدمت فيها قطع الأخشاب الصغيرة والمختلفة ورغم ذلك فهي تسرب الماء حيث أنها مدهونة بالقار .

تمتاز مدينة البصرة بتمورها الجيدة والمتنوعة ومنها تصدر إلى بغداد وموانئ فارس وهرمز وتعتبر غذاءً رئيسياً فيها .

وكذلك الخضار والفواكه والحبوب والأرز وأسعارها منخفضة نتيجة تنافس المستوردين من بندر ريخ والدورق - هذا إلى جانب جميع أنواع المواشي والأسماك النهرية التي لم أستسغ طعمها .

وتعتبر البصرة عاصمة التجارة ومحطة التجار القادمين من فارس والبحرين والأحساء و الهند عن طريق هرمز و بغداد ، وللأسف تكثر فيها العقارب و رأيت أحدها بحجم سمك السرطان النهري .

وهواء البصرة غير نقي وغير صحي ومناخها حار جداً وسكانها أغلبهم من الأتراك والعرب مع أن الغالبية من السكان الأصليين من العرب .

يتم الانتقال البري في البصرة بواسطة الجمال والبغال والخيول والحمير ويصدر بعضها إلى هرمز ومنها إلى الأسواق الهندية .

لقد وجدت بعض منازل البصرة في حالة سيئة وتنقصها بعض الجدران وتم بناؤها على عجل وذلك لأنه ومنذ عدة

أيام وقع انفجار كبير في مخزن للبارود ويعتقد أن ألف كيس من البارود احترقت وهزت بيوت المدينة بشدة حتى أن الناس ظنوا أن نهاية العالم قد اقتربت ، وتأثرت بهذا الانفجار مباني المدينة والتي ربما مضى عليها مائتا عام .

لقد استولى الأتراك على هذه المدينة منذ خمسين عاماً (١٥٤٦) بعد أن حكمها طاغية عربي .

ليس هناك الكثير أستطيع ذكره عن عادات الناس وملابسهم حيث أنهم عرب وأتراك - ويتعامل الناس بكل أنواع النقود من الفضة والذهب مع أن العملة المضروبة محلياً من الفضة والنحاس .

أما العملة الفضية فتسمى اللاريه (**نسبة إلى مدينة لار في فارس وقد ضربت أول عملة بهذا الشكل فيها**) فهي عملة مستطيلة متينة الطرفين وتساوي في الوقت الحاضر عشرة بنسات .

أما العملة الثانية فهي مستديرة وتسمى (**شاهي**) وتشابه عملتنا الريال ولكنها أقل إتقاناً من العملة الفضية .

ليس في البصرة مبان ذات أهمية ولكنها تحتوي على عدة حمامات أهلية نظيفة في حالة جيدة ومريحة ويستخدمها الرجال في الصباح حتى منتصف النهار والنساء من الظهر حتى الغروب ويعاقب من يخالف هذه المواقيت .

تخترق القناة الصناعية أرض البصرة وتروى منها البساتين على الطرفين وأخبرني أحد المعمرين أن هذه القناة كانت تصل إلى ثلاثين فرسخاً داخل البصرة لكنها أقصر من ذلك الآن .

في أحد الأيام دعيت إلى مقابلة أحد شيوخ البصرة وكان هذا الشيخ يملك كثيراً من الأراضي التي مررت بها بعد ذلك . وكان يدعى الشيخ محمد بن رشيد وكان رجلاً يستحق مركزاً أعلى مما هو فيه .

ولقد حدثني هذا الشيخ بواسطة مترجم وأخبرني أنه لم يشاهد افرنجياً من قبل (**اسم يطلق على المسيحيين الأوروبيين آنذاك**) وقد تعجب لمظهري وملابسي وتصرفاتي ، وبعد وجبة من لحم الخراف (**غير المطبوخ جيداً**) استأذنت في الانصراف وفي طريق عودتي

قام ركاب السفينة بالصلاة بعد أن مررنا قرب مبنى صغير يشبه الصومعة .

غادرت السفينة في مباركه وعدت إلى اليابسة عن طريق قناة يجري فيها ماء عذب وأعتقد أن عمقها كان باعين أو ثلاثة وعلى جانبيها بساتين النخيل والخضار، وبعد مسيرة فرسخ واحد وصلت إلى البصرة .

البصرة مدينة عربية على بعد ميلين جنوبي نقطة التقاء دجلة والفرات وتتصل بهما عن طريق قناة العشار .

تقع هذه المدينة في منطقة مستوية من الأرض وتحتوي على عشرة آلاف مسكن بما في ذلك المساكن الواقعة داخل أسوارها ومساكنها كبيرة ولكن ينقصها الجمال المعماري ومبنية بالطوب المحروق الذي لايبقى أكثر من ثلاث سنوات في الغالب .

أما بيوت السكان الفقراء فهي مبنية من البوص والسعف . أما قلعة البصرة الكبيرة فهي في حالة غير مصانة وقد تهدمت أغلب جدرانها ، ولكن لا يزال الخندق المحيط بها على حاله ومن الممكن أن يمتلئ بالماء من القناة القريبة ، ولقد وجدت أن أغلب مساكن البصرة داخل قلعتها وكذلك قلب المدينة وشوارعها التجارية ومحلاتها المهنية - وحاميتها المكونة من ثلاثة آلاف رجل أغلبهم من العرب والأتراك والأكراد فرساناً وحملة بنادق وقصر الباشا حاكم القلعة في السلم والحرب ونقطة جمارك تجمع منها الضرائب .

وأخبرت بوجود مزار لعيسى بن مريم روح الله وأن المزارع المحيطة به وقف لصيانته ورعايته وتعجبت من ذلك حيث أنني لم أتوقع أن يخصص القوم له مزاراً(١٠) .

ملخصات

الملخص الأول

تاريخ مختصر لنشأة مملكة هرمز وملوكها حتى دخول البرتغاليين

نقلا عن التاريخ المكتوب بواسطة توران شاه ملك هرمز

أجاد الملك توران شاه الشعر والنثر الفارسيين واستخدم هذه المقدرة الفائقة في كتابة تاريخ نشأة مملكة هرمز وبداية ملوكها - ولقد أطلق على مخطوطه **(الشاهنامة)** .

تاريخ الملوك - مبتدئاً بآدم. ولكن سوف أحذف بعض الصفحات من هذا المخطوط وأدخل في الموضوع المطلوب وهو نشأة المملكة وتاريخ ملوكها مع إبقاء ما هو مهم وحذف المادة عديمة الأهمية .

يذكر توران شاه وجهات نظر مختلفة عن نشأة المملكة وتاريخ أول ملك يحكمها ويترك الخيار للقارئ في الأخذ بالنظرية المقنعة والتي تناسب ذوقه الأدبي والتاريخي .

ويبدأ توران شاه قائلاً "في البداية كان هناك أمير عربي يسمى محمد درام كوبا **(كتبت هكذا)** وهو من أحفاد مملكة سبأ حيث كانت بلقيس التي قامت بزيارة سليمان .

لقد أراد هذا الأمير زيادة ملكه **(كما هو حال الملوك)** فقام بإخضاع الدول المجاورة له وواصل مسيره حتى وصل إلى الساحل المقابل للمضيق الذي

نطلق عليه نحن البرتغاليين (**مضيق هرمز**) وهنا طلب هذا الأمير من أتباعه العبور معه إلى أرض فارس حيث ينوي إنشاء (**بندر**) يكون أعظم من صحار (**الميناء العربي على الجهة الغربية من مضيق هرمز والذي كان في يوم من الأيام عامراً وقد أصابه الدمار والخراب الآن**) .

وبعد أن استشار الأمير محمد أتباعه توجه إلى قليهات الميناء العربي على الخليج والواقع قرب رأس الحد ومن هنا عبر هو وأتباعه إلى جسك ومنها توجه شمالاً إلى كوهستاق (**ميناء على الساحل الفارسي**) وترك الأمير محمد ابنه ووزيره في قليهات واخبرهم في حالة فشله أن ينشئوا ميناء فيها .

عندما وصل الأمير محمد إلى كوهستاق وأنزل رجاله من أجل البحث عن مكان مناسب له أخبره الناس عن مكان غير بعيد يسمى هرمز وهو المكان المناسب لمشروعه القادم .

وجد الأمير أن المكان مناسب فاستقر فيه وبنى المدينة ويعتقد أنه هو الذي سماها هرمز ووزع الأراضي على مرافقيه وضرب العملة التي حملت اسمه (**درامكو**) .

رافق الأمير محمد ابنه سليمان والذي بفضله اتسعت المدينة وزادت خيراتها .

حكم الأمير (**الشاه محمد**) بالعدل والحزم وكانت حكمته وسمو صفاته سبباً لتحالف حكام المناطق المجاورة (**مثل شيراز وكرمان**) معه .

توفي الشاه محمد بعد عدة سنوات من إنشاء هرمز وحكم بعده ابنه سليمان .

أما رواية توران شاه الثانية فهي كما يلي :

لقد كان والد الشاه محمد ملك في الجزيرة العربية وقد خسر معركة ضد أعدائه واضطر لذلك لترك جزيرة العرب فعبر مياه الخليج الى مغستان (**منطقة شرقي هرمز**) واستقر هذا الملك مع ابنه في ذلك الموقع الذي كان يحكمه حاكم طاغية... وهنا تدخل بعض القصص المتداولة عن تخفي الابن في لباس عروس جميلة ودخوله القصر والقضاء على الطاغية وذلك بعد موافقة الأهالي وانتصار الشاه محمد وتوليه الحكم .

ويعود تينحسيرا إلى الرواية الأولى ويكمل بقوله :

حكم الشاه سليمان بعد والده محمد مدة طويلة تميزت بالعدل والكرم والأمن وتوفي بعد سنين طويلة من الحكم لملكة هرمز. وتولى ابنه عيسى الحكم وكان عادلاً مثل أبيه ونصح رعاياه بزراعة الأرض ووسع ملكه وتوفى تاركاً الحكم لابنه **-لاشكري-** والذي رعى الفقراء وامتاز مثل والده بالعدل وظهرت عليه علامات الإمارة فترك والده الحكم له وقضى باقي أيامه في عزلة تامة إلى أن توفى .

كان لاشكري بن عيسى مثل والده حكيماً عادلاً وترك بعد وفاته ابنه عيسى الثاني حاكماً لملكة هرمز وكان عيسى الثاني سادس حاكم لهذه المملكة .

امتاز عيسى الثاني بحروبه وتوسعاته والتي أدت إلى اتساع رقعة مملكته وكبر شأنها .

بعد وفاة عيسى الثاني جاء محمد وكان له أولاد كثيرون ومنعاً للصراع من أجل السلطة قام السلطان بتوزيع أقاربه وأولاده على مناطق مختلفة وفي قلاع محصنة لا يتركونها إلا بإذنه .

لذا نجد أن الشاه محمد أرسل ابن أخيه مير شهاب الدين مالنك إلى قلعة قات والتي تقع في فارس في أراضي إبراهيمي[11] ومغوستان .

لم يمنع ذلك شهاب الدين من أن يقوم بالمؤامرة على قتل الشاه محمد ولذا قام الأخير بإعطاء التعليمات لقتل قطب الدين الذي ما أن بلغته الأخبار حتى هرب إلى قلعة سيجون وتزوج من ابنة قائدها وولدت له ولداً سمي نصرت ركوب دار وابنة سماها ست الخاتون .

توفي الشاه محمد في هرمز دون أن يناله أحد .

تولى ابنه الشاه محمود من بعده وكان يسمى شاهنشاه وواصل البحث عن شهاب الدين إلى أن مرت عدة سنوات قامت بعدها مجموعات من أرض (صير) بمهاجمة هرمز[12] خرج شاهنشاه في جيشه لمواجهة الأعداء .

عندما بلغ الخبر مير شهاب الدين عقد الصلح مع ابن عمه وطلب الإذن من والد زوجته متوجهاً هو ورجاله إلى هرمز لمساعدة شاهنشاه وعندما قتل شاهنشاه في المعركة مع الأعداء نودي بشهاب الدين ملكاً على هرمز .

انتصر شهاب الدين على أعدائه واستخلص منهم مملكته - بعدها زوج ابنته بست الخاتون إلى الأمير سيف

الدين بن قيصر بن علي (**أخ شهاب الدين**) والذي كان حاكماً لجزيرة قيس[١٣].

توفي علي بعد ذلك في قيس وعملاً بنصيحة شهاب الدين توجه الأمير سيف الدين (**زوج ابنته**) إلى قيس ليتوج ملكاً عليها .

توفي بعد ذلك شهاب الدين واستولى وزيره الرئيس شهريار على زمام الملك في هرمز .

وبوفاة شهاب الدين ثار أهالي جزيرة قيس ضد حاكمهم الأمير سيف الدين الذي هرب إلى هرمز وخرج أهاليها لاستقباله توجه الوزير شهريار إلى قلعة (**ضمير**) مع عشرة من رجاله وواصل الأمير سيف الدين زحفه عليها وقتل الجميع فيها فنودي به ملكاً على هرمز .

كان أول عمل قام به الأمير سيف الدين تزويج بنات شهريار الثلاث إلى ثلاثة رجال من بلاطه وبعدها هجم على جزيرة قيس لينتقم من أهاليها وقتل الكثير منهم وأخذ زعماءهم رهائن معه. وفي طريق عودته توقف في جزيرة جرون أو قرون (**والتي تسمى الآن جزيرة هرمز**) ودخل إلى اليابسة وتسلق جبلاً هناك قتل عليه رهائنه ولذا سمي هذا الجبل (**جبل الرجال القتلى**) (**أو كوة كوشتاران**) وعاد بعدها إلى هرمز واستقر بها في أمن وسلام إلى أن توفي وتولى بعده (**ابن أخيه**) المسمى شهاب الدين محمود .

كان شهاب الدين (**ابن عيسى الثاني**) الملك الحادي عشر لملكة هرمز وكان عادلاً ورحيماً في حكمه .

بعد وفاة شهاب الدين محمود تولى (**ابن أخيه**) المسمى ركن الدين محمود (**ابن حمد**) السلطنة وقد ازدهرت هرمز أثناء فترة حكمه وكان لها جيش قوي كتبت له الانتصارات في عدة معارك والتي امتدت إلى ظفار وحكم ركن الدين محمود خمسة وثلاثين سنة وتوفي في ٦٧٦هـ الموافق ١٢٨٧م .

تولى الأمير سيف الدين نصرت (**ابن ركن الدين**) والحاكم الثالث عشر لملكة هرمز السلطة بعد وفاة أبيه ولكن قامت معارضة قوية بين اخوته لتوليه السلطة وقاد هذه المعارضة أخواه الأمير قطب الدين تهماتان والأمير نصر الدين فولاد ورغم وقوف الجنود إلى جانب سيف الدين نصرت إلا أن اخوته انتصروا عليه واضطر هو ووالدته (**بيبي**

بانك) إلى مغادرة مملكة هرمز وتوجهت بيبي بانك إلى كرمان حيث قابلها السلطان جلال الدين سراج والذي أحسن معاملتها وأرسل جنوده مع ابنها سيف الدين وأعاده إلى عرشه في مملكة هرمز ومع استمرار مقاومة أخويه استطاع سيف الدين اعتقال أخيه الأمير نصر الدين فولاد وأعدمه .

وبعد هذه الحادثة قام أخوه الثاني الأمير قطب الدين تهماتان وبمساعدة مالك بن سيف الدين أبوبكر العوفي بغزو هرمز ومحاربة سيف الدين نصرت وهزيمته في (**دنو**)[١٤] مما أدى إلى هرب سيف الدين إلى (**قمصره**)[١٥] ومن قمصره إلى (**لفت**) والتي هي ميناء بحري في جزيرة بركت ؟ وتسمى الآن قشم أو الجسم .

بعد هرب سيف الدين اختلف مالك مع قطب الدين تهماتان فثار الناس والجنود واستدعوا سيف الدين ليحكم من جديد مملكة هرمز ويطرد مالك سيف الدين منها .

بعد عودة سيف الدين إلى السلطة قام اثنان من باقي اخوته **(الأمير مسعود والأمير طورخان شاه)** بالتآمر عليه وقتلاه وقتلا معه أمه بيبي بانك وأخته بيبي عنايتي .

وكانت مدة حكمه اثنتا عشرة سنة وقتل في ٦٨٩هـ الموافق ١٢٩١ميلادية .

تولى الأمير مسعود زمام السلطنة بعد مقتل أخيه سيف الدين وكان شديد البأس يحب الحروب وظالم كرهه كل الرجال وقتل الكثير منهم .

التجأ الكثير من رجاله إلى الأمير بهاء الدين عياض سيفين **(الوزير المعين في ميناء قليهات بواسطة الملك سيف الدين نصرت لإخلاصه ووفائه)** وفي هذا الميناء العربي توجه الأمير بهاء الدين وجيشه إلى هرمز وطرد منها الأمير مسعود فخرج لاجئاً إلى كرمان ومنها ألى **سيرجان (الاسم الآخر لكرمان)** حيث قضى فيها بعد أن حكم هرمز مدة ثلاث سنوات .

تولى الأمير بهاء الدين سيفين أمور المملكة وأعاد تنظيمها وإدارتها ولكن قام أخوه مسعود لمقاومته وخرج له مير طور خان شاه ومير سلجوت في حزب معارض له وتراسلوا مع أخيهم مسعود من أجل إعادته إلى هرمز ولكن تمكن منهم الأمير بهاء الدين وقتلهم فاستقر له الحكم بعد ذلك إلى أن دخلت القبائل

التركية الغازية أرض فارس في ٧٠٠ هـ الموافق ١٣٠٢م ودمروا كرمان وهرمز وكانت ثروة هرمز العظيمة سبباً في عودة الأتراك المتكررة لمهاجمتها حتى اضطر أهلها لتركها نهائياً إلى مناطق أخرى .

ويعتقد هامر برجستال (**Hammer Pargstall**) بعد دراسة مخطوط (**عبد الواصف**) بأن مملكة هرمز كانت تابعة لسلفر أتابك فارس وبعد سقوط آخر أتابك (**محمد تلهاتي**) قام حاكم هرمز بالاستيلاء على الجزيرة وأعلن نفسه حاكماً على المملكة.وقام ابنه نصرت بقتل أخيه ركن الدين وزوجته وقام ملك بن بهاء الدين غيات (**أحد مماليك الزوجة**) بالانتقام لسيدته وساعده في ذلك جلال الدين ملك كرمان، ولكن في النهاية هرب بهاء الدين إلى جزيرة قيس وقابله المفتي جمال الدين مفتي فارس وأعطاه اثنتي عشرة ألف قطعة من الذهب (**من إيرادات التاج الفارسي**) وذلك لتشكيل جيشه الجديد وبعد هزيمة مسعود توجه إلى جزيرة لارك وجمع ألفين من التوامين الذهب والفضة وأشياء أخرى ثمينة وتوجه إلى هرمز ونادى على المنبر باسم فخر الدين أحمد بن إبراهيم العتيبي وقام المفتي جمال الدين الشيرازي (**والذي ذكرنا اسمه سابقاً والذي هو جامع ضرائب فارس**) بالتوجه إلى هرمز حيث قامت اضطرابات بينه وبين فخر الدين حاكم الجزيرة وتحولت هذه الاضطرابات إلى مواجهات عسكرية بينهما .

لم يتدخل بهاء الدين غيات لمساعدة صديقه السابق (**جمال الدين**) ولكنه ساعده في النهاية على الهرب من الجزيرة بعد هزيمته .

في السنة التالية (**١٥ يوليو ١٢٩٦م**) وعندما أصبح جمال الدين مسئولاً عن ضرائب فارس وسواحلها وجزرها دخل هرمز مرة أخرى على رأس جيش عظيم وطلب من بهاء الدين إخلاء الجزيرة .

وقام المفتي بمساعدة ركن الدين مسعود بحشد قواتهما ولكن تصدى لهما بهاء الدين غياث وهزم بهاء الدين السفن الحربية الخاصة بالمفتي وركن الدين ولاحقها إلى جزيرة قيس وقام بنهبها. لقد أثر ذلك في ملك الإسلام (**المفتي جمال الدين**) وازداد قلقه للسفن التي تصل من الهند مع الرياح الموسمية لذلك عقد المفتي الصلح مع بهاء الدين غيات وفخر الدين العتيبي .

تبدو هذه المعلومات مشوشة ولكن تم نقلها كما هي مكتوبة بالإنجليزية .

جزيرة قشم :

تقع جزيرة قشم بمحاذاة الساحل الفارسي يفصلهما مسار ضيق من بحر الخليج، ويبلغ طول هذه الجزيرة خمسة وعشرون فرسخاً وعرضها اثنان إلى ثلاثة فراسخ .

لقد أمر غياث أهالي هرمز بالعبور إلى هذه الجزيرة واستجابوا له بكل طاعة ونقلوا معهم كل ما استطاعوا حمله وما تبقى من ممتلكاتهم بعد غزوات الأتراك .

وبعد استراحة عدة أيام قرر غياث البحث عن جزيرة أخرى ووصل إلى جزيرة فاصله على بعد فرسخين من قشم تسمى جزيرة قارون (**حيث كان يسكنها رجل مسن وزوجته يصطاد السمك ويبيعه لركاب السفن المتوجهة من جزيرة قيس إلى الهند، مقابل الأرز والملابس**) .

أرسل قارون إلى غياث برغبته في جزيرته ووصل غياث إليها وبعد معاينتها استقر الرأي على السكن فيها دون أخذ إذن من حاكم جزيرة قيس الذي كانت هذه الجزيرة والجزر الأخرى في الخليج تابعة له .

وجزيرة قيس كما يسميها العرب والفرس هي جزيرة صغيرة تقع وسط مضيق البصرة وبها منابع الماء وكثرة الأخشاب وكانت إلى وقت مضى مركزاً للمملكة - ولكن كسدت تجارتها الآن بسبب اللصوص القادمين من نخيلو ونخل تقي والذين يقومون بأعمال القرصنة في المياه المجاورة لجزيرة قيس والتي أدت إلى تدهور التجارة التي كانت تعادل تجارة هرمز في وفرتها وضخامتها معين كان ملك جزيرة قيس وحكم جزيرة قارون أيضاً وعين فيها شيخاً للدين يسمى الشيخ إسماعيل من قرية قرب لار وكان هذا الشيخ يطوف بالجزر المحاذية سنوياً لجمع الهبات له وللفقراء في بلدته .

وبعد لقائه بغياث قام الأخير بإرساله إلى حاكم قيس يطلب منه بيع جزيرة قارون أو إعطاءها لغياث دون مقابل استطاع الشيخ إسماعيل الحصول على الجزيرة لغياث وأهالي هرمز هبة من معين إليهم ولكن أصر غياث على دفع ثمن الجزيرة نقداً واعترافاً بفضل

الشيخ إسماعيل أصبح من عادات ملوك هرمز إعطاء أحفاده مصروفاً سنوياً (**وقد شاهدت ذلك أنا بنفسي أكثر من مرة**) .

وبعد أن امتلك غياث جزيرة قارون أطلق عليها اسم جزيرة هرمز لكن لا ينسى الجميع مملكتهم هرمز. ولكن بقيت هذه الجزيرة في ذاكرة العرب والفرس جزيرة قارون - وكذلك لم تفقد هرمز الأصلية اسمها رغم إطلاق الاسم على الجزيرة بعد استقرار أهالي الأولى فيها .

ولكن يروي باروس (**Barros**) قصة مختلفة عن جزيرة قارون حيث يقول :

"إن ملك قيس كان موافقاً على بيع جزيرة قارون إلى (غوردن شاه) ولكن رفض بعض أتباعه وزوجته عملية البيع بحجة أن هذه الجزيرة تتحكم في مدخل المضيق ولكن تدخل القاضي (الشيخ دينار) (وتعني هنا مفتي قيس) فقام ملك قيس بعد مجابهة عنيفة مع زوجته بإعطاء الجزيرة إلى غوردن شاه" .

ويقول باروس *"أن الرشاوى لعبت دورها إلى جانب إعطاء الشيخ دينار مساعدة دائمة لمسجد سوف يقوم ببنائه في بلدته وهذا ما جعل ملوك هرمز يخصصون مصروفاً سنوياً لهذا المسجد حتى اليوم في مدينة لار"*.

أما كوتو فيقول *"أن المعارضة جاءت من أم قيس وليس زوجته"*.

يقسم البحارة الهنود الخليج إلى قسمين الأول منهما مضيق هرمز ويبدأ عند جوارد في فارس وخليج عمان ومضيق البصرة من هرمز أو قارون إلى مدينة البصرة نفسها والتي تقع في رأس الخليج حيث يلتقي دجلة بالفرات .

ويبلغ اتساع الجزء الأول مائة فرسخ أما الثاني فيبلغ مائتي فرسخ تقريبا .

وتقع جزيرة هرمز أو قارون (**والتي يبلغ طولها من ستة إلى سبع أميال**) على مسافة ٥ أميال من شواطئ فارس ابتداء من (**دوس**) وعلى بعد تسعة فراسخ من أرض الجزيرة مع اختلاف الشواطئ على الجانبين فهي أحسن للملاحة على الجانب الفارسي .

تحتوي جزيرة هرمز أو قارون على بعض المعالم ذات الأهمية لذا سوف أذكر بعضها للقراء :

جزيرة هرمز بركانية لذا تكسوها الجبال العالية والصلبة من طرف إلى

آخر مع صفاء جوها وملوحة مائها وتحتوي على كميات كبيرة من ملح الطعام الجبلي والبحري والمفضل منهما البحري حيث تأخذه السفن إلى البنغال ولهذه الجزيرة ميناءان (أو بندران) شرقي وغربي طبيعيان وكأنهما حفرا في الصخور وأهم بندر فيهما الشرقي حيث بنيت قلعة للبرتغاليين تعتبر أحسن قلعة في الشرق من حيث القوة والعمارة والتخطيط وفي مكان هذه القلعة كان يعيش قارون والذي سميت الجزيرة على اسمه .

ورغم وجود ينابيع الماء إلا أنها مالحة لذا تجمع مياه الأمطار وتخزن للاستعمال. ماعدا في بقعة واحدة من الجزيرة وتسمى (**توران باغ**) (**توران باغ يعني بستان توران**) حيث يوجد بها بئر تروي منه مزارع الملك والوزير، في هذه البقعة تنمو أشجار كثيرة ولكن باقي الجزيرة يفتقر إلى الأشجار مع وجود شجرة واحدة نجدها في كل مكان تسمى شجرة الكنار وهي خضراء طيلة العام ومع ندرة الأعشاب يكاد يكون (**السنامكي**) ويسميه بيدرو في الأصل (**سنافمن مكة**) هو العشب الطبي الوحيد فيها. ويصنع سكان الجزيرة من الطين المالح حاويات للماء (**قلل**) يبرد فيها بطريقة مذهلة .

وأذكر أنني عندما كنت في هرمز عام ١٥٩٦م وكان ملكها فيروز شاه الرجل العجوز والذي وقع في غرام أموال بيبي فاطمة أرملة أحد رعاياه الذي كان يدعى رئيس بدر الدين وكان وزيراً في موغستان في فارس. حاولت بيبي فاطمة تعجيز ملك هرمز فطلبت منه أن يزرع بستاناً جديداً ويحفر بئراً في (**توران باغ**) علماً منها بأن هذا مستحيل، ولكن ولجشع ملك هرمز قام بما أمرته به بيبي فاطمة ولكن مع ذلك لم يحصل الملك على أموالها .

بالقرب من توران باغ وقرب البحر هناك بئر للماء ويسميها أهالي هرمز (**عبد الرحمن**) وماؤها ذو فوائد كبيرة وشربه يسبب الإسهال لذا يتوافد الأهالي في موسم معين لشربه وبعد نوبة الإسهال يتناولون البرتقال أو الليمون ولو خرجت حبوب الثمار مع الإسهال فانهم يعتقدون أنه تم شفاؤهم فيتوجهون إلى تناول الوجبات الرئيسية .

يتوفر الصيد الكثير في هذه الجزيرة من الغزلان والطيور وأتعجب كيف تعيش هذه المخلوقات في مكان لا يتوفر

فيه الماء العذب وتوجد الذئاب ولا أحد يعلم كيف تعيش في هذه الجزيرة .

لقد كانت مدينة هرمز عامرة قبل الآن وقد أزيلت حالياً بعض المساكن من أجل بناء القلعة أما المنازل الباقية فهي جيدة البناء واستخدمت أشجار الجزيرة في بنائها وبعض الأحجار قطعت من البحر وتمتاز بخفتها وتقاوم الزلازل التي تشتهر بها الجزيرة ويستخدم الأسمنت المسمى (**كبح**) في ربط الأحجار ويجلب من الأرض الفارسية لأن المحلي منه أحمر اللون وأقل جودة وتستخدم مادة أخرى في البناء يضاف إليها الماء وتسمى (**صاروج**) وتجمع هذه المادة على هيئة تله وتحرق إلى أن يتحول لونها إلى الأبيض ثم تضرب بواسطة مجموعة من الرجال العرب (**الذين يمتهنون هذه المهنة**) إلى أن تتحول إلى ذرات صغار تستخدم فوراً وإلا تحولت إلى مادة غير صالحة لو تركت أكثر من يوم دون استخدام .

إن مادة الصاروج تقاوم الماء ولها استدامة طويلة – وتستخدم هذه المادة في بندر عباس أيضاً (**حامدون**) .

يمتاز أهالي هرمز ببياض البشرة وحسن الطلعة ونساؤها جميلات ويتحدث الجميع بالفارسية ولكن ليس بنفس الجودة التي على اليابسة وبعض شيوخها سنه والبعض من أتباع علي ولكن الغالبية سنه وكذلك ملوكهم. هذا وتتواجد جنسيات ومذاهب أخرى على الجزيرة مثل المسيحيين والنسطوريين واليهود والوثنيين والبانيان واليعقوبيين وأما عن الجنسيات فمنهم البرتغال والأرمن وأهالي جورجيا (**الجرجان**) والبنغاليين والكامبين (**من ميناء كامبي أو كامبايا**) .

ورغم عدم وجود المنتجات الزراعية على الجزيرة إلا أن عملية الاستيراد كبيرة وبأسعار معقولة ويباع كل شئ بالوزن .

مناخ جزيرة هرمز صحي ولا توجد الأمراض فيها وخاصة في الصيف وذلك بسبب الجو الحار والعرق الشديد الذي يطرد المرض من الأبدان . ولكن تكثر الأمراض في الخريف .

وختاماً فإن جزيرة قارون جزيرة مفتوحة لكل العالم ويتم فيها تبادل كل أنواع السلع التي تجلب إليها بواسطة التجار من مختلف جهات العالم هذا وإنني سوف أعود الآن إلى موضوعي الأصلي وهو نشأة هرمز .

ويقال أن نشأة الجزيرة مرتبطة باسمها الذي أطلق عليها في عام ٧٠٠هـ الموافق ١٣٠٢م ولقد نمت وتمتعت بالرفاه الاقتصادي حتى سبقت كل الأجزاء الأخرى في فارس والجزيرة العربية ووصل نفوذها إلى البصرة .

وبقيت على هذا المستوى إلى أن دخلها البرتغاليون ومارسوا فيها الاضطهاد (**يبدو أن بيدرو تينحسيرا يذكر الحقيقة هنا ولكنه يحاول تحاشي المواجهة مع السلطات البرتغالية فيقوم بمدح قبطان الحامية ديجو مونس برتو [Diego Munis Barreto] ليغطي على ذلك**) .

حكم غياث سيفين الجزيرة مدة عشر سنوات ويقال أنه توفي في نهاية هذه الفترة في عام ٧١١هـ الموافق ١٣١٢م .

وفي حكاية أخرى أنه بعد استتباب أمور هرمز تنازل عن الملك إلى عز الدين جوردون شاه ابن سلفر وبيبي زينب وحيد الملوك الأوائل وعاد غياث بعد ذلك إلى ولايته (**وزير**) في قليهات وتوفي فيها .

– إن لقب بيبي والذي ذكرته عدة مرات يعني بالفارسية السيدة – يعتبر الأمير فخر الدين غوردن شاه ثاني ملك لهرمز في عهدها الجديد والسادس عشر في عهدها القديم (**ويعتبر كوتو وباروس أن هرمز أعلنت استقلالها في عهد عز الدين غوردن شاه عن السلطة العربية والفارسية**) بعد توليه السلطة أرسل سفراءه إلى جزيرة قيس للملك معين لعقد الصلح ولكن رفض معين هذا الصلح .

وفي عام ٧١٤هـ الموافق ١٣١٥م حاصر ملك جزيرة قيس وجنوده وسفنه الكثيرة العدد جزيرة هرمز مرة أخرى ولكن تمكن غوردن شاه من التحصن وتوفير المؤن اللازمة حتى أن الأسعار لم تتغير أثناء فترة الحصار ولم يكن هناك نقص في الغذاء وبعد حصار دام أربعة أشهر طلب ملك قيس الصلح ولكن كانت له نوايا سيئة في ذلك وعقد موعد للقاء الملكين وعلى ساحل الجزيرة نزل ملك قيس في انتظار ملك هرمز وما إن وصل حتى حمله الأول (**حيث كان قوياً جداً**) إلى طراده (**سفينته**) وهرب به إلى جزيرة قيس أمام أنظار أهل هرمز .

عندما وصل الخبر إلى زوجة غوردن شاه (**بيبي سلطان**) طلبت من ملك غياث الدين دينار ابن أخيها شاهنشاه أن يتولى الحكم في الجزيرة، وبعد

خمسة أشهر عاد ملك قيس ومعه ملك هرمز مقيداً على سطح الطراد وفي منتصف الطريق هبت عاصفة عظيمة مزقت السفن وتحطمت السفينة التي تقل غوردن شاه على سواحل هرمز فأنقذه الناس ولكن لم يتنازل ملك غياث الدين دينار عن السلطة لذا التجأ غوردن شاه إلى بيت خواجه محمد كاتب وكان هذا الشخص هو السكرتير الخاص لغوردن شاه - ونظراً لعدم اطمئنانه انتقل في نفس الليلة إلى الأراضي الفارسية واستقر في قلعة ميناب وجمع جيوشه فساعده الملك عز الدين حاكم شيراز لغزو هرمز وكان السبب في ذلك تردي الموارد المالية في جزيرة قيس (نتيجة لقيام غوردن شاه باحتجاز السفن القادمة من الهند والمتجهة إلى جزيرة قيس) في جزيرة هرمز - عندما بلغت أخبار استعدادات الغزو ملك هرمز توجه بجيشه إلى ميناء سرميون (**باسيدو أو باسعيدو**) في جزيرة قشم لكي يمنع القوات الغازية من التزود بالماء وبعد وصوله إلى هناك بلغته أخبار السفن العشر القادمة من الهند والمتواجدة في مسار مائي بين هرمز ولارك فتوجه إلى الموقع المذكور وقام باحتجاز السفن التجارية في جزيرة هرمز .

واجهت القوات الغازية (**مائة وعشرون سفينة**) عاصفة قوية قرب ميناء سرميون وتحطمت غالبية السفن المهاجمة والتجأ ما بقى منها إلى جزيرة هنجام .

وعندما بلغت أنباء استيلاء غوردن شاه على سفن الهند استعد ملك قيس لمواجهته .

فاستعد له غوردن شاه في اثني عشر ألفاً من جنوده ونزل إلى ساحل جسيرو (**أوشيرو**) وهزم أول محاولة لملك قيس مع فقدان الأخير لكثير من السفن والرجال ولحق به غوردن شاه بعد نصيحة قائده البحري صخر ركن الدين وألحق الهزيمة الكاملة بأهالي وجنود جزيرة قيس (**وتعني القلعة الزرقاء**) .

عندما بلغت الأخبار ملك غياث الدين ورأى أن رجاله تخلوا عنه إلى غوردن شاه هرب إلى مكران (**مملكة بين فارس والسند**) فجاء الأمير عز الدين غوردن شاه إلى جزيرة هرمز وبقى فيها سنتين وتوفي في ٧١٧هـ الموافق ١٣١٨م .

تولى الأمير مبرز الدين بهرام شاه ابن عز الدين غوردن شاه أمور المملكة بعد وفاة أبيه وكان الملك السابع عشر لهذه الإمارة ولكن اتفق الجنود في

الحامية الواقعة على اليابسة أن يعينوا أخاه الشاه قطب الدين مكانه وأتوا به من بركه (**أقرب موقع بهذا الاسم بركة بندر أو بركة ميرازي**) إلى ميناب .

خرج بهرام شاه لمواجهة أخيه قطب الدين فوجده مع أخ آخر يدعى ملك نظام الدين فحاربهم وانتصر عليهم وعاد إلى هرمز .

وكان كبار قواد مير شهاب الدين يوسف ومير تقي الدين زنكشاه الأول في البحر والثاني في البر وقد أثارهما الحسد فقاما بالاضطرابات في المملكة مما أدى إلى اعتقالهما، في هذه الفترة هجم رجال قيس مرة أخرى ولكنهم هزموا مثل المرات السابقة وفي أثناء الموقعة أضطر بهرام شاه لإطلاق سراح السجينين وتوجه لملاقاة أخويه مرة أخرى حيث أثارا المتاعب من جديد ولكن لسوء الأحوال الجوية عاد إلى منزله في الليل .

في منتصف تلك الليلة جاء القائد مير شهاب الدين إلى بوابة القصر ومعه الجنود الراجلة والراكبة وطلب الملك مدعياً أن بيبي سلطان سلغر قد هجمت على الجزيرة فخرج الملك وتبعته أمه وأخوه نظام الدين عجم شاه ، فألقى القبض عليهم جميعاً وأخذهم إلى السجن وأعلن نفسه ملكاً على الجزيرة وكان ذلك في ٧١٨هـ الموافق ١٣١٩م .

فانقسم الناس إلى مجموعتين الأولى مع مير شهاب الدين يوسف الملك والأخرى مع مير قطب الدين أخ الملك المسجون .

انتهز ملك دينار الفرصة وعاد من مكران مع قوة عظيمة مدعياً أنه جاء لمساعدة مير شاه قطب الدين ولكن بعد وصوله إلى الجزيرة التحق بالطرف المنتصر (**مجموعة شهاب الدين يوسف**) .

قامت بيبي سلطان أخت دينار وبيبي نظام الملك زوجة مير شهاب الدين يوسف بمساعٍ للصلح ولكن قام شهاب الدين يوسف بقطع رؤوس الملك السابق وأمه وأخيه لكي يبقى الملك له وحده .

فتوجه شهاب الدين إلى قليهات مع بيبي مريم زوجة (**عياض**) غياث سيفين، وسمع شهاب الدين يوسف أن رجال جزيرة قيس سوف يعودون مرة ثانية لغزو جزيرته فتوجه لملاقاتهم ولكن خاف مواجهتهم فعاد أدراجه إلى مملكته .

ولكن وبعد سنة واحدة عاد شهاب الدين من قليهات مع الملك جلال الدين قويسي **(أو تونيري)** ومعهم خواجه جمال الدين نعيم وأخذ هرمز في غفلة وزج بشهاب الدين يوسف في السجن .

فقام مير شهاب الدين ابن غوردن شاه بالانتقام من مير شهاب الدين يوسف وقتله وقتل معه زوجته بيبي نظام الملك وقتل معه ابنيه مير عماد الدين أو سين؟ وأخيه الأمير اوسين وكان الجميع سجناء في قلعة **(جنر أو جتان)** ولكن في فترة من الزمان قام كل من ملك جلال الدين قويس وخواجه جمال الدين نعيم **(واللذان أعادا الشاه قطب الدين إلى مملكة هرمز)** بالتآمر عليه لتولي أمور المملكة بدلاً منه ولكن بلغه خبر المؤامرة فهرب وعين جمال الدين نعيم في البحرين أما ملك جلال الدين قويس فالتجأ إلى جزيرة قيس وبقى الشاه قطب الدين في مملكته هرمز في أمن وسلام .

توفي ملك قيس العجوز وتبعه في الحكم ملك غياث الدين وغزا هرمز في جيش عظيم أثناء فترة الصيف حيث يقضي الشاه قطب الدين هذه الفترة في موغستان على اليابسة هرباً من حرارة الجو في هرمز .

ولكن قام محمد سوركاب وإبراهيم سلفر (قائدا **قطب الدين**) بالدفاع عن القلعة وردا الجيوش المهاجمة .

توجه شاه قطب الدين إلى جزيرته وأعد أسطولاً ضخماً لمهاجمة جزيرة قيس انتقاماً من ملكها وبالفعل تم الهجوم وتكبدت جزيرة قيس الكثير من القتلى والدمار الشامل وأخذ ملكها غياث الدين أسيراً وقتل هو وبعض أتباعه .

وقام الشاه قطب الدين بتحصين جزيرة قيس وترك فيها حامية كبيرة وتوجه بعدها إلى هرمز وفي طريق عودته فتح جزيرة البحرين المشهورة بلؤلؤها ومائها العذب الذي ينبع من البحر وسوف أقوم بتقديم شرح عنها **(وكان ذلك حوالي ١٣٣٠م)** .

جزيرة البحرين :

تقع جزيرة البحرين في مياه بحر البصرة بين جزيرة قارون أو هرمز والبصرة وتكاد تكون المسافة متساوية وتبلغ مائة فرسخ من البحرين إلى كل

موقع من المواقع المذكورة (**هرمز والبصرة**) وهي قريبة من ساحل جزيرة العرب ومقابلة للقطيف والتي تقع في الإحساء المنطقة التابعة للأتراك وكل سكان البحرين من العرب ماعدا وزيرها الفارسي وحاميته الفارسية وهي تابعة الآن لملك هرمز ولكن في عام ١٦٠٢م قام الشاه الفارسي بامتلاكها بالخيانة(١٦) .

إن تراب البحرين خصب ومنتج وخاصة لأشجار التمور والتي توجد بكثرة في هذه الجزيرة ويوجد قليل من القمح ولكن الكثير من الشعير .

وتعتبر الوجبة الرئيسية في البحرين الأرز ويستورد من الهند عن طريق هرمز .

وتوجد آبار في البحرين ولكن أغلبها ليس عذباً ولكنه صالح للشرب أحسن هذه الآبار (**حنينية**) وهذه البئر عميقة وتقع في وسط الجزيرة وبعدها في الجودة تلك الينابيع التي تتواجد تحت سطح البحر .

وفي مدينة المنامة (**المدينة الرئيسية في الجزيرة**) وعلى عمق باعين أو ثلاثة تحت سطح البحر توجد ينابيع المياه العذبة ويقوم بعض الرجال بملء جلد الماعز منها ويعتبر البعض منهم هذه العملية وسيلة للرزق طول النهار. وأخبرني أحد المعمرين في البحرين أن هذه الينابيع كانت على اليابسة ولكن مع مضي الوقت غمرها البحر وأعتقد أن من هذه الينابيع أخذت الجزيرة اسمها (**البحرين**) وربما يكون الإسم رمزاً لمجريين من الماء يمران في الجزيرة ولكن أعتقد أن التسمية الأولى أصح .

تشتهر البحرين باللؤلؤ وسوف أعطي إيجازاً عن طريقة صيده توجد في الشرق مصائد للؤلؤ أشهرها تلك التي في البحرين في الخليج والأخرى في منار في الهند وذلك الموقع بين جزيرة سيلان وجزء من شبه القارة الهندية يسمى (**توتان كوري**) باللهجة المحلية ولكن نسميه نحن البرتغاليين (**كوموري**) ويلي هذا المكان بندر كورد ومنه تصدر أنواع الأرز في البنغال .

يبدأ الغوص في البحرين في شهر يونيو وأحياناً في يوليو ويستمر حتى شهر أغسطس ويتكون أسطول الغوص من مائتي سفينة أو ربما أقل، مائة من البحرين وخمسون من جلفار (**رأس الخيمة**) وخمسون من نخيلو، وتتجه هذه السفن إلى ساحل قطر على بعد عشرة فراسخ جنوب الجزيرة وبعد صيد

الأصداف تفتح لإزالة اللؤلؤ منها وتمتاز بالجودة والوزن الثقيل لأنه لو قارنا لؤلؤة بنفس الحجم من مكان آخر مع لؤلؤة مساويه من البحرين نجد أن وزن البحرينية أكبر .

ويبلغ حجم تجارة اللؤلؤ في البحرين خمسمائة ألف (**دكتا**) وذلك غير الكمية الكبيرة المهربة بعيداً عن عيون الوزير تحاشياً للضرائب – وتدفع البحرين سنوياً إلى قائد هرمز مبلغ أربعة آلاف دكتا ضرائب من إيرادات اللؤلؤ فيها .

وتستخدم أوزان القيراط والمثقال في عملية وزن اللؤلؤ ويعتبر قيراط عباس ثلث القيراط وكل أربعة وعشرين قيراطاً مثقالاً واحداً – ويعادل المثقال عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين لؤلؤة صغيرة .

ويغوص الغاص في البحرين بعد ربط الحجر في قدمه وعلى عمق اثني عشر إلى خمسة عشر باعاً .

هذا وهناك مغاصات أخرى تستخدم في شهر سبتمبر قرب نخيلو والبحرين وجلفار وأخرى قرب مسقط ورأس الحد وكلها تقع في بحر هرمز الضيق ولكن لا تمتاز هذه المغاصات بالوفرة .

أما عن المغاصات الشرقية الأخرى فهي تسمى شيلاو (**على بعد ثمانية وأربعين ميلاً من كولومبو**) وسميت هذه المواقع على اسم ميناء في جزيرة سيلان في السابق وتعني هذه الكلمة (المصائد) باللهجة المحلية والتي يطلق عليها لسان الشانجلا[١٧] .

ويدخل موسم الغوص في سيلان في شهر إبريل وبداية مايو وذلك بشهر أو شهرين قبل بداية موسم الغوص في البحرين. وذلك لأن الصيف يأتي مبكراً في سيلان عنه في البحرين والبحر يكون هادئاً .

ويتكون أسطول سيلان من أربعمائة إلى خمسمائة سفينة تحمل كل سفينة من ستين إلى تسعين رجلاً ثلثهم (**كروة**) (**غيص**) والباقون مانديسا (**السيب**) ويكون كل اثنين لغواص واحد وتنقسم السفينة إلى عدة أجزاء تسمى (**بتاقا**) وتعني حجرة أو جزءاً من تجويف السفينة حيث يضع كل غواص ما يصطاده على حده عن غيره ويسمون المحار (**شيبو**) ولا يقومون بفتحها حتى يؤذن لهم بعد توقف الصيد والذي يستمر ستة عشر يوماً ثمانية أيام لكل مجموعة وبعدها يفتح المحار وتصطاد كل سفينة يومياً من مائة إلى ألف محارة

ولا يحاولون اصطياد أكثر من ذلك محافظة على أسعار اللؤلؤ .

وبعد مضي ستة عشر يوماً إذا كان الصيد غير كافٍ تمدد الفترة إلى نصف (**بيلو**) أربعة أيام أو بيلو كامل (**ثمانية أيام**) ويجازى الغيص يومياً لقيامه بعمله (**أي يعطى نقوداً مقابل العمل**) ويعطون مقابل ذلك ما يصطاده الغيص في غطسة واحدة لربان السفينة ويحتفظ بالباقي لنفسة (**لذا توضع كل مجموعة على حدة**) ويختار ربان السفينة صيد غطسة يختارها بنفسه وفي نهاية كل أسبوع له صيد يوم كامل وتقدم كل سفينة صيد يوم كامل لحاكم المدينة (**مدينة مرورة**) وكانت في السابق تقدم كمية لزوجة قائد الحامية البرتغالي ولكن أوقفت هذه العادة الآن بأمر من رؤساء الشركة (**اليسوعيين**) والذين يديرون منذ بداية القرن السابع عشر الأمور التجارية والدينية لسكان الساحل الشمالي الغربي للجزيرة ورغم معارضة الرهبان (**الفرنسيسكان**) فلقد أوقف اليسوعيون ما كان يقوم به القائد البرتغالي لمخالفته للنظام .

ويغوص الغواص إلى عمق عشرة أبواع وتشارك سفينتان برتغاليتان في حماية أسطول الصيد خشية هجوم قراصنة ملبار – ويشترك ما يقارب من خمسين إلى ستين ألفاً من التجار والبحارة وصيادي الأسماك والخدم في موسم الغوص ويقيمون في معسكرات متنقلة وتبلغ إيرادات اللؤلؤ مليوناً ونصف مليون من العملات الذهبية كل عام .

وبعد انتهاء موسم الغوص يعلن عن بدء فتح المحار وتلتقط اللآلئ إن وجدت في المحار وتؤخذ إلى ميناء توتان كوري حيث يقام سوق لبيع اللؤلؤ من منتصف شهر يونيو حتى أكتوبر ويتم تسعير اللؤلؤ بطريقة قياس (**الجو**) وتباع اللآلئ في مبانٍ مثل مبنى الجمارك حيث يشرف عليها دلالون تابعون لحاكم البلاد (**النايك**) الذي يأخذ ٤٪ من البائع ولا يأخذ أي شيء من المشتري. وللمشتري حق تغيير رأيه بعد يومين دون جزاء .

إلى جانب عملية البيع المنظمة تتم معاملات سرية في اللؤلؤ المهرب تحاشياً لضرائب الحاكم وتشترى وتباع حسب نظام (الجو) .

وتوجد لآلئ من الصين ولكنها ليست بنفس الجودة وتسمى (**توبوس**)

(أغطية) لأشكالها الغريبة وقد كتب الكثير عن اللؤلؤ ومع احترامي لكل ما كتب لا أستطيع أن أتفق معهم في الرأي بأن اللؤلؤ يتكون نتيجة نقطة مطر تسقط داخل المحارة حيث أنه لا يعقل أن تطفو هذه المحارة الثقيلة إلى السطح لكي تبتلع نقطة المطر ونعلم أيضاً أنه كلما كانت المحارة على عمق أكبر كانت اللؤلؤة أكثر جودة .

وأكثر من ذلك وجدنا أنا واليسوعيين والوثنيين العاملين في صيد اللؤلؤ أن هناك جزءاً من المحارة لو قطع وجعل بالماء يتحول إلى لؤلؤة كما لو كانت غير ملتصقة. ولذا أؤكد أن اللؤلؤ يتكون من نفس مادة المحارة لسبب أو آخر فهي نفس تركيبات المحارة الحاوية لها .

ولكن أتعجب من وصفات الأطباء الذين يستخدمون اللؤلؤ في الوصفات الطبية .

بعد هذا العرض الكامل والذي أدخله بيدرو تينحسيرا في سياق الحديث عن جزر البحرين يعود الآن مملكة هرمز مرة أخرى .

عندما احتل شاه قطب الدين البحرين احتل القطيف وديراب (**جزيرة تجاه شط العرب**) وربما تكون هندرابي. وأصبح سيد الشواطئ الخليجية العربية والفارسية وأصبح له دخل مادي كبير .

وكان لشاه قطب الدين أخ يسمى نظام الدين أحبه كثيراً ولكن كان الأخير يتآمر على أخيه قطب الدين .

رافق نظام الدين أخاه قطب الدين في رحلة صيد إلى اليابسة في منطقة (**رودخانه سور**) (**نهر الملح**) في اتجاه (**مريدون**) فانتهز نظام الدين الفرصة مدعياً أنه يطارد أرنباً برياً واتجه هو ورجاله إلى (**دوسر**) مقابل جزيرة هرمز وهناك عبر البحر وعاد إلى هرمز وقد سقطت في يده بسهولة حيث كان كبار القوم في صحبة الملك في الصيد فعاد الملك إلى الساحل المقابل واستقر في (**كولجهان**) يستعد للعبور إلى جزيرة هرمز وكان ذلك في ٧٤٥هـ الموافق ١٣٤٥م .

وبعد استقرار نظام الدين أرسل إلى المناطق التابعة له رسله ليخبرهم بذلك ويطلب من الولاة فيها الولاء له واعداً إياهم بالهدايا والمكافئات .

لم يستجب الولاة لهذا الطلب ماعدا (**هيراهتان**) والتي طلبت منه في الصيف إرسال دعم عسكري يساعد الأهالي ضد هجمات رجال قطب الدين مهددين أنه لو تأخر هذا الدعم فانهم سوف يتحولون إلى قطب الدين .

قرر نظام الدين العبور إلى اليابسة للدفاع عن مناطق نفوذه مستعيناً بوزراء قطب الدين وقيادته العسكرية ولكن رفض الجميع مساعدته ماعدا (**عمر ضياء الدين**) حارس البوابة وأحد القواد الكبار والذي أعلن ولاءه لنظام الدين .

بعد ذلك عبر نظام الدين إلى اليابسة وتوجه إلى منطقة كولجهان فتقابل الجيشان، جيش نظام الدين وجيش قطب الدين وكان عمر ضياء الدين وبقية الجيش في صف نظام الدين لذا قرر قطب الدين شاه التراجع إلى (**أسكونير**) منطقة قرب الساحل وعلى بعد أربعين فرسخاً من أرض المعركة وعبر البحر إلى قليهات وإلى جزيرة العرب وبقى هناك سنة واحدة، كان انتقال قطب الدين إلى قليهات بادرة انتعاش اقتصادي حيث تحولت السفن القادمة من الهند إلى قليهات بدل هرمز .

"يذكر ابن بطوطة أنه عندما كان في ظفار أبلغ أن السلطان قطب الدين تهماتان ابن تورانشاه ملك هرمز قد هجم عليها في أسطول عظيم ولكن أرسل الله عليه عاصفة حطمت سفنه ولذا عقد الصلح مع ملك ظفار بدل احتلالها" وتبدو هذه الواقعة وكأنها تؤكد ما يذكره بيدرو تينحسيرا .

بعد استقرار قطب الدين في قليهات وصلته أنباء عن موت نظام الدين وأنه قد أوصى ابنيه شمبه وشادي بالتوجه إلى قليهات وتقديم المملكة إلى قطب الدين مرة أخرى ولكنهما لم يفعلا ذلك (**ويقال حسب رواية ابن بطوطة أن نظام الدين مات مسموماً**) .

أقام قطب الدين العزاء لأخيه وأرسل رسائل تعزية مؤثرة إلى ابني أخيه يخبرهما فيها أنه يعتبرهما مثل أولاده. ولكن لم يهتم الإبنان لذلك وقاما بالضغط على الأهالي والطغيان وأصبح وجودهما خراباً للمملكة .

عندما علم قطب الدين بذلك جهز أسطوله وتوجه إلى جكن (**ميناء قرب جسك**) وكانت مسكونة بالأعراب ودخل

أسطوله في معركة مع أسطول ابني أخيه وانتصر أسطول هرمز وهزم ابني أخيه فعاد منتصراً من المعركة إلى **(كوستك)** حيث قابله أيوب شمس الدين أحد قادته البحريين ومعه دعم عسكري من هرمز لمساعدته فاتجه قطب الدين ومعه الأسطول إلى هرمز ووصل إلى ميناء **(جارو أو كارو)** في هرمز عندما سلم **ابنا** أخيه نفسيهما إليه ولكن بشرط الإبقاء على حياتيهما فقام الملك قطب الدين بنفيهما إلى البحرين .

أعاد قطب الدين تنظيم أمور الجزيرة وأعاد أسعار المواد الغذائية إلى سابق عهدها وسمح للهاربين والمنفيين بالعودة إليها وأعاد إليهم أملاكهم .

ولكن ما إن وصل الأخوان إلى البحرين حتى قاما بالاستعداد مرة أخرى لغزو هرمز .

قام السلطان قطب الدين بالاستعداد من جانبه لدخول البحرين . ويؤكد ابن بطوطه ذلك قائلاً : *(عندما دخلنا هرمز وجدنا السلطان قطب الدين تهماتان ابن تورانشاه وهو رجل طاعن في السن يستعد للحرب ضد ابني أخيه نظام الدين وكان كل ليلة يعلن نية البدء في الحرب وكان وزيره شمس الدين محمد بن علي القاضي إمام الدين الشونكري وكثير من الرجال جاءوا لزيارتي ولكن استأذنوا في الرحيل لانشغالهم باستعدادات الحرب وبقينا ستة عشر يوماً معهم وبعد مقابلة السلطان وابن أخته علي شاه ابن جلال الدين ولقد تسبب استلام نظام الدين السلطة بالانقلاب على أخيه قطب الدين أثناء غياب الأخير عن المدينة في حروب تعتبر المواجهة الحالية بين قطب الدين وابني أخيه جزءاً منها وقد استقر قطب الدين وحاول عدة مرات استرجاع هرمز من أخيه نظام الدين ولكن باءت كل محاولاته بالفشل إلى أن قرر إرسال رسول منه إلى زوجة أخيه نظام الدين بغرض دس السم له وتم ذلك فمات نظام الدين مسموماً وقرر عندها قطب الدين العودة إلى هرمز فهرب ابنا أخيه مع ثروات كبيرة إلى جزيرة قيس وقاما من هناك بأعمال القرصنة واعتراض السفن المتوجهة إلى هرمز ودمروا جزءاً كبيراً من تجارتها)* .

إننا وبالإشارة إلى ما يذكره ابن بطوطه نجد أن هناك تقارباً في الأحداث ما عدا أننا نستطيع أن نؤكد أن التاريخ الذي يذكره ابن بطوطه لزيارته ربما كان ١٣٤٦-١٣٤٧م ولكنه يذكر أنه ترك

اليمن لزيارة مكة في ٧٣٢هـ الموافق ١٣٣٢م وزار هرمز بعد عدة سنوات قادماً من الصين ونعتقد أنها كانت ١٣٤٧م ولكنه لا يذكر أي شيء عن الثلاثة الأيام التي قضاها في هرمز في زيارة ثانية .

نواصل مذكرات بيدرو تينحسيرا فيقول أن السلطان قطب الدين توجه إلى ملاقاة ابني أخيه ودخل جزيرة قيس حيث كان يقيم شادي والذي انتصر في الحرب ضد جيش عمه السلطان .

توجه السلطان مرة أخرى إلى هرمز وعاد للهجوم على هرمز ولكنه لم يجد شادي بها حيث توجه إلى البحرين لملاقاة أخيه شنبه فدخل قطب الدين جزيرة قيس وسلبها وترك بها حامية كبيرة وعاد إلى هرمز ليستعد لغزو البحرين .

عندما علم الأخوان بذلك توجها من البحرين إلى قيس لاسترجاعها ولكن في منتصف الطريق هجرهما جنودهما وقوادهما والتحقوا بالملك وأشهرهم شمس الدين محمود وكمال الدين إسماعيل ونصر الدين مصلح وهم من الزعماء الكبار .

وقبل توجههم إلى هرمز مروا بجزيرة قيس وأنذروا حاكمها مير طه باحتمال وصول أسطول البحرين. ومن هناك توجهوا إلى لفت في جزيرة قشم وأخذوا معهم مير سابق الدين (**قائد قلعتها**) إلى هرمز خوفاً عليه من هجوم الأسطول القادم للحرب .

لم يتراجع الأخوان شنبه وشادي فأبحرا في اتجاه جزيرة قيس ولكن لم يسمح لها بالتوقف فيها فواصلا الإبحار إلى لفت أرسل ملك هرمز قواته إلى المقدمة لملاقاة أسطول البحرين وعسكرت هذه القوات في ميناء (**دارجودن**) قرب لفت في جزيرة قشم فقام جيش الملك بالهجوم البري والبحري وهزم أسطول البحرين الذي أضطر للعودة بعد خسائر كبيرة إلى جزيرة البحرين. ومع وصولهما إلى البحرين ابتدأ الصراع بين الأخوين كل يتهم الآخر بسبب الهزيمة التي أحلت بهما فقام شادي باعتقال شنبه وزج به في السجن وكاد يقتله لولا تدخل والدتهما في ذلك والتي قامت بإطلاق سراح ابنها شنبه .

وما أن أطلق سراح شنبه حتى توجه إلى قرية قرب شيراز (**تدي فال**) واستقر بها وهذه القرية جاء منها كل

وزراء هرمز والرؤساء شرف الدين والرئيس نور الدين وبدر الدين .

"يبدو أن ملوك هرمز اختاروا وزراءهم من طائفة (**الخواجه**) والتي استقرت أصلاً في قرية فال، والرئيس أو الرؤساء هم حكام صغار وعلى جميع المستويات ويخضعون للملك هرمز أما الشريف أو الأشراف فهم خزنة الملك".

عندما أدرك حاكم شيراز شخصية الرجل القيم في فال أرسل في طلبه وأكرمه وعامله معاملة عظيمة .

عندما جاء الضيف توجه الشاه قطب الدين ملك هرمز وبلاطه إلى نخلستان (**في مغوستان**) على الأرض الفارسية حيث تكثر الأشجار والمياه العذبة وذلك لقضاء فترة الصيف لكن وافاه الأجل هناك بعد عدة أيام من وصوله وكان ذلك في ٧٤٧هـ الموافق ١٣٤٧م .

بعد وفاة الأب تولى الابن توران شاه ابن قطب الدين شاه الحكم في هرمز وهو الذي كتب الشاهنامه الخاصة بهرمز وتاريخ ملوكها وبصورة مطولة وليس بالصورة التي أقدمها الآن. وكان ملكاً متواضعاً أحبه الناس وما أن تولى إمارة هرمز حتى أرسل حاكماً نائباً عنه إلى جزيرة قيس (**محمود عمر**) وهو رجل شجاع وذو كفاءة إدارية وخبرة طويلة ومع علم شادي في البحرين بشجاعة وإقدام محمود عمر في قيس فإنه لم يتراجع عن محاولة دخولها بأسطوله مرة أخرى وهزيمته للمرة الثانية والتي تبعها عملية التآمر التي قام بها مع أحد أقارب محمود عمر للنيل منه في الفرصة السانحة فقام شادي بطلب الصلح وأبدى رغبته في لقاء محمود عمر من أجل ذلك عندما تم اللقاء جاء شادي إلى المكان المخصص واستطاع أن يعزل محمود عمر في مكان بعيد عن مرافقيه وأن يعمى عينيه وكانت هذه العملية من الوسائل التي يمارسها ملوك فارس وهرمز انتقاماً من المناوئين لهم وخاصة من أقربائهم وفي هرمز كان هناك برج قريب من (**مزار سانتا لوسيا**) الآن هذا البرج كان يستخدم لسجن من تم تنفيذ ذلك الحكم فيه من أقارب ملوك هرمز. وكانت هذه العملية تتم بواسطة تسخين وعاء من النحاس على النار حتى يتوهج وبعد ذلك يتم تقريبه من عيني الشخص، وتؤدي الحرارة والتوهج إلى تلف عصب العين مع بقاء العين كما هي دون وجود أية جروح أو إصابات خارجية .

وبعد عمي محمود عمر أصبح شادي حاكم هرمز المطلق فأرسل ملك هرمز أسطوله إلى قيس لاعتقال شادي ورغم الحصار المضروب على الجزيرة استطاع الفرار والتوجه إلى لفت في جزيرة قشم فوصل الملك إلى ميناء دراجودن قرب لفت وهناك تخلى أصدقاء شادي عنه والتحقوا بمعية الملك فهرب شادي مرة أخرى إلى البحرين وتوفي بعد وصوله إليها - فقام توران شاه بتولية ابن شادي على البحرين .

ما إن بلغت أنباء وفاة شادي إلى أخيه شنبه في شيراز حتى توجه مسرعاً إلى البحرين وقام باحتلالها والانتقام من كل من ساعد أخاه ضده وقتل الكثيرين ولم يسلم من ذلك حتى الأطفال **(قتل ولي العهد والذي كان طفلاً آنذاك)** وهرب الكثيرون من الجزيرة. فتصدى له **(مير عجب)** ومرافقوه وعائلته وهجموا على منزل شنبه وقتلوه .

بعد مقتل شنبه تم إطلاق أحد الزعماء المسجونين **(محمد البهلوان)** وطلب منه مير عجب أن يتنازل له **(أي لمير عجب)** عن حكم البحرين ولكن رفض البهلوان ذلك وتوجه إلى قلعة القطيف برفقة زعيم عربي آخر من **(الصفاف أو الصحاف)** ويسمى حمد الرشيد .

إتجه الاثنان إلى الشيخ ماجد حاكم القطيف يطلبان مساعدته العسكرية ضد مير عجب ، وعلى غفلة منهما قام الشيخ ماجد بإلقاء القبض عليهما وإرسالهما مقيدين إلى هرمز برفقة الزعيم **(علي المشدي)** .

لما بلغ السجناء هرمز أخبروا ملكها توران شاه بما جرى في البحرين فأبحر معهم إليها وقابل هناك مير عجب والذي طلب من الملك تعيينه حاكماً عليها مقابل ما قام به تجاه الطاغية شنبه .

على عكس ما توقع مير عجب قام الملك توران شاه بعزله عن البحرين فالتجأ إلى **(الدير)** ولكن قام رجال توران شاه بالقبض عليه وإحضاره إلى ملكهم الذي أمر بقطع رأسه وإطلاق سراح السجينين **(البهلوان والشيخ حمد الرشيد)** .

توجه توران شاه بعد ذلك إلى القطيف حيث لقيه شيخها ماجد بكل حفاوة واحترام وبعد مضي عدة أيام هناك عاد إلى البحرين ومنها إلى هرمز مرة أخرى .

إلى هذا الحد من التاريخ المذكور عن ملوك هرمز كان مصدرنا ما كتبه الملك توران شاه والذي حكم ثلاثين عاماً توفي بعدها في ٧٧٩هـ الموافق ١٣٧٨م وتبعه في الحكم أبناؤه كما يلي: الأول مسعود وتلاه شهاب الدين وبعده سلفرشاه والذي حكم الجزيرة والجزء من اليابسة المقابل لها ويقال أنه أراد في لحظة من لحظات عنفه أن يدفن البحرين الجزيرة واليابسة لتصبح هرمز مملكة واحدة وهو الذي كان يغني بأعلى صوته ضد الدولة الصفوية قائلا (**قلب أعدائي يحترق لأنني رجل في أرض محاطة بالبحر**) ويعني عدم استطاعة الدولة الصفوية الانتقال عن طريق البحر إلى جزيرته ومع أن الدولة الصفوية ملكت السواحل كلها واليابسة ولكنها ذهبت دون أن تطال جزيرة هرمز.

مع وجود قبائل ساحلية موالية للشاه الصفوي مثل العماديين وقبائل قول.

هنا يجب أن نذكر أن الصفويين وجدوا قبل الشاه إسماعيل الصفوي والذي كان ملكاً لفارس عند وصول البرتغاليين إلى هرمز.

توفي سلفر شاه وبعده تولي (**الشاه ريس**) الحكم وتلاه الشاه سيف الدين وكان الأخير ملك هرمز عندما دخلها الفونسو دا البوكيرك في ١٥٠٧م ورغم تطوير هرمز بقيت العائلة الملكية تتوالى في السلطة على الجزيرة.

ولكن بقيت سلطتهم في حدود الجزيرة وعلى رعاياهم الأصليين فقط وحددت السلطة البرتغالية تنقلاتهم إلى خارج الجزيرة دون إذن من قائد حامية هرمز، وبما أنه لم يكتب أحد من الملوك التابعين لتوران شاه أي شئ عن تاريخ هرمز وملوكها لذا أتوقف عند هذا الحد من تاريخ هذه المملكة.

تعقيب ورواية أخرى عن توران شاه:

يذكر عبد الرزاق (**أحد زوار هرمز**) أن ملكها كان فخر الدين توران شاه عند زيارته لها ويبدو من مقارنة الفترة الزمنية التي توفي فيها توران شاه بأن الأولاد الأربعة الذين تبعوه في الحكم هم في الحقيقة أبناء ابنه فخر الدين وليسوا أبناءه ولكننا لا نعلم فترة حكم فخر الدين ولكن نستطيع أن ندرك بأنه في هذه الحالة خلفه أبناؤه بالترتيب الآتي: الأول مسعود والذي حكم إلى أن

توفي وبعده شهاب الدين (**ونستطيع أن نؤكد في هذه الحالة بأن نهاية فخر الدين توران شاه تقع في الفترة القريبة من ١٤٥٥م**) وقد زار هرمز (**جوسافا باربارو**) من البندقية حيث يقول أن سيد البلاد يدعى سلطان شهاب الدين ويقول أيضاً أن هرمز تدفع الجزية إلى الملك عاصم بك (**حاكم فارس التركماني في تلك الفترة الزمنية**) والذي توفي في ١٤٧٨م ويبدو أنه من التواريخ المقدمة من زيارة باربارو بأن شهاب الدين قد حكم إحدى عشرة سنة فقط ١٤٦٥-١٤٧٦م .

أما باروس (**Barros**) فهو يقول أنه عندما توفي توران شاه الملك حكم بعده ماجد شهاب الدين وسلفر حافظ وشاويس وأن حكمهم استمر عشر سنوات للأول وإحدى عشرة للثاني والثالث سنة ونصف .

أما كوتو (**Couto**) فيقول أن تورانشاه خلف أربعة أولاد مسعود شاه، شهاب الدين، سلفر، وشاويس والذين تميز عهدهم بالإرهاب ما عدا مسعود شاه، والذي حكم عشر سنوات وشهاب الدين وحكم إحدى عشرة سنة، وشاويس وحكم سنة ونصف سنة، أما سلفر فهرب إلى الإحساء بعد ثورة أخيه عليه واستعان بملك الإحساء وعاد بجيش كبير استرجع بواسطته الحكم مرة أخرى .

أما باروس فيقول إن سلفر كان حاكماً لقليهات عندما استولى أخوه الأصغر على السلطة ولذا هرب سلفر إلى الإحساء واستعان بالرئيس نور الدين والرئيس كمال الدين رئيس شيلاو واستطاعوا هزيمة جيش شاويس وسملت عيناه .

أما عن ملوك هرمز في الفترة البرتغالية :

فرغم أن ملوك هرمز وبعد دخول البرتغاليين إليها أصبحوا دمى في أيدي السلطة البرتغالية إلا أن العائلة المالكة استطاعت أن تواصل وجودها الاسمي والذي يخلو من أية سلطة أو حضور إداري إلى أن قام الصفويون بطرد البرتغاليين من هرمز ١٦٢٢م .

فلذلك يذكر كوتو مرة أخرى بأن سيف الدين حكم عشر سنوات تلاه أخوه توران شاه والذي حكم تسع سنوات ويبدو أن هذا التغيير حصل في عام ١٥١٥م حيث يذكر كوريا (**Correa**) بأن الملك في هرمز يسمى

توران شاه والذي يبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة وأن والدته كانت حبشية وفي رواية أخرى أن هذا الملك دس وزيره له السم وعين مكانه شاباً يبلغ الثالثة عشرة من العمر يسمى محمد شاه ابن سيف الدين والذي حكم تسع سنوات فقط ويبدو أن لسيف الدين ولدان في عام ١٥١٥م أحدهما في التاسعة والثاني في الثانية وأنه في عام ١٥٣٢م كان هناك أخ للملك وهو شاب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً وكان يدعى الرئيس علي وقد تم ترحيله إلى جوا في الهند لمحاولته دس السم إلى الملك محمد شاه وبعد وفاة محمد شاه قام قائد حامية هرمز باختيار أحد أبنائه (**أي ابن محمد شاه**) ويبلغ من العمر ثماني سنوات وتم تعيينه ملكاً للبلاد في عام ١٥٣٤م وقتل الطفل المذكور بالسم مرة أخرى نتيجة مؤامرة من عمه في جوا (**الرئيس علي**) ونقل الرئيس علي وهو الوريث الشرعي للملك من جوا إلى هرمز وسلم زمام السلطنة ولكن تم ترحيله مرة أخرى إلى جوا في عام ١٥٤٢م نتيجة لجنونه وإفراطه في شرب الخمر وأعيد مرة أخرى بعد سنتين ولكنه لم يبقَ طويلاً في الحكم .

ويذكر كوتو أنه بعد وفاة سيف الدين خلفه سلفر شاه ابن توران شاه والذي تم ترحيله سابقاً بواسطة القائد البرتغالي إلى جوا منعاً لانشقاق وانقسام العائلة وأبقاه في كوشين وكان له ولد يسمى توران شاه وكانت والدته حبشية وتسمى (**بيبي غزاله**) وذلك لتشابه عينيها بعيني الغزال وأعيد سلفر إلى هرمز بعد وفاة سيف الدين لاستلام الحكم وتوفي في نوفمبر ١٥٤٣م مسموماً .

وتختلف الرواية مرة أخرى حيث يذكر كوريا أنه بعد وفاة سلفر تسلم السلطة ابنه توران شاه (**قادماً من هرمز**) ويؤكد مؤرخ آخر (كوتو) أن القائد البرتغالي نونو دي كونها (**Nuno da Cunha**) كان قد نفي والد توران شاه وعمه (**بابو شاه**) إلى جوا وأن الأخير تزوج من امرأة من تلك البلاد ورزق بابن سمي فاروق شاه وأنه بعد بلوغ بابو شاه التسعين من العمر قرر العودة إلى هرمز وحصل على تصريح بذلك من القائد البرتغالي دي بيدرو دي سورا (**D.Pedru de Soura**) والذي تم تعيينه قائداً لحامية هرمز في ١٥٦٢م

ويقول كوتو أنه في عام ١٥٦٣م توفي توران شاه وتبعه الرجل المسن بابو شاه والذي لم يستمر حكمه أكثر من سنة وحكم بعده ابنه فاروق شاه وتصف المراسلات البرتغالية أنه نصب حاكماً في احتفال كبير وتدل على أنه أعطيت له الصلاحيات المعطاة سابقاً للملك توران شاه في ١٨ مارس ١٥٦٩م .

ويبدو أنه حكم مدة طويلة حيث توجد مراسلات برتغالية تذكر أن الملك العجوز يود أن يتنازل لابنه الثاني محمد شاه (في ١٥٩٨م) والذي كانت والدته أخت الوزير ولم يوافق نائب الملك في الهند على ذلك حيث نصح فاروق شاه أن يعين ابنه الأكبر فيروز شاه وأن يحاول تزويج ابنه هذا من ابنة الوزير ويبدو أن الملك فاروق شاه قد توفي في ١٥٦١م وتم تعيين مير فيروز شاه مكانه وأنه قد توفي في فبراير ١٦٠١م وعين مكانه أخوه محمد شاه .

ودخل الإنجليز والفرس إلى هرمز في عام ١٦٢٢م وانتهى بذلك عهد البرتغاليين فيها وكان آخر حاكم عليها محمد شاه وأعتقل الملك وعائلته ونقلوا جميعاً إلى فارس وبذلك انتهت مملكة هرمز إلى الأبد .

الهوامش

١ – هذه الملحمة كانت في نسخة واحدة مخطوطة فقط وفقدت أثناء الهجوم الإنجليزي الفارسي على قلعة هرمز في ١٦٢٢م .

٢ – الخان – بندر بير الخان والمياه الضحلة المقصود بها هنا مياه رأس الطاف والتي بنهايتها رأس الخان .

٣ – ريشل – المقصود بها بوشهر .

٤ – ريخ سيف الدين – المقصود به بندر ريخ وهو الخليج الترابي .

٥ – نهر رشتل هو خور سلطاني – أما بندر ريخ فهناك خور أصغر من خور سلطاني .

٦ – منطقة خربة ولكنها غير موجودة الآن في خريطة المسارات المائية في منطقة الخليج ويبدو أنها كانت مدينة غمرتها المياه .

٧ – يبدو أن هذه المعلومات غير صحيحة وربما نقلت إلى بيدرو تينخسيرا بواسطة أحد البحارة على السفينة أو حتى قبطانها .

٨ – هذه جزيرة تسمى الآن المحلة .

٩ – يعتقد أنها منطقة قرب البصرة .

١٠– أن بعض سكان البصرة من المسيحيين المقيمين و البعض من الهنود الذين كان عددهم ثلاثة آلاف آنذاك .

١١– إبراهيمي هي منطقة بندر إبراهيم أو خور ميناء شرق هرمز .

١٢– نعتقد أن هذا يعني هجوم المغول على أرض فارس .

١٣– تسمى قيس أو كيش أو قن .

١٤و١٥ – لا نستطيع تعيين موقع دنو ولكن كومزاره هي ميناء كومزار قرب رأس مسندم ولفت ميناء على جزيرة قشم وربما تكون كومزاره تحريف لموقع آخر يسمى ضمير مقابل لفت .

١٦– يكتب السير روبرت شيرلي في أكتوبر ١٦١٤م إلى شركة الهند الشرقية قائلاً "البحرين جزيرة مقابلة لساحل الجزيرة العربية وعلى بعد أربعين فرسخاً من ساحل فارس ومنتوجها الرئيسي

اللؤلؤ والذي يعتبر أحسن لؤلؤ في العالم وقد أخذها ملك فارس من البرتغاليين وترك بها حامية من ٨٠٠ فارس وتحيط بهذه الجزيرة الصخور المرجانية والتي تجعل الملاحــة في مياهها صعبة جداً" .

ويكتب توماس بويس إلى اللورد سالسبري قائلاً (في ١٠ يونيو ١٦٠٩م) "أخذت جزيرة البحرين بواسطة ملك فارس منذ ستة سنوات أي (١٦٠٣م) .

ويؤرخ مؤرخ ثالث ذلك الحدث قائلاً "بعد أن قام وزير البحرين بقتل أحد التجار فيها واستولى على لؤلؤه قام أخ القتيل وقتل الوزير منتقماً لمقتل أخيه واستولى على قلعة البحرين وفتحها للفرس وقرر قائد هرمز دي بيدرو كوتينهو (D.Pedru Cotinho) إرسال أسطول تحت قيادة دي فرنسيسكو دي سوتومايز (D.Francisco de Sotomayor) لاستعادة البحرين. وأرسل وزير هرمز (أو رئيس هرمز أو الحاكم) عن طريق البر لنفس الغرض .

فلما بلغ النبأ حاكم شيراز وردي خان أرسل جيشاً كبيراً تحت قيادة آدم سلطان ليحاصر ميناء جابرون (بندر عباس) لكي يصرف البرتغال أنظارهم عن البحرين وفعلاً كاد البرتغال أن يستعيدوا البحرين ولكن نتيجة لتغير قائد هرمز بواسطة نائب الملك في الهند (نتيجة وشاية) وتعيين قائد جديد ديجو منزيس بارتو (Diogo Menzis Barreto) والذي أصيب بالمرض، وكذلك تفشي الحمى في الجنود البرتغاليين المهاجمين وإصرار أهل البحرين في الدفاع عنها كل ذلك أدى إلى فشل مهمة القائد البحري جاسبر دميلو ديسامبايو (Gaspar de Millo de Sampaio) (يبدو أن هذا ثاني قائد ترسله هرمز إلى البحرين) .

ويروي جوفيا (Gouvea) أنه ما إن بلغت أنباء الأسطول البرتغالي المتوجه من الهند إلى البحرين في عام ١٦٠٣م تحت قيادة دي جورج كاستلبرانكو (D.Gorge d Castelbranco) قام وردي خان بارسال أسطوله لمحاصرة بندر عباس (جابرون) واحتلال مناطق في هرمز تابعة لملكها. ولكن قام الشاه وأمره بالعودة إلى شيراز وإعادة البحرين إلى البرتغاليين ولكن هذا الأمر لم ينفذ .

وفي رسالة مؤرخة ٢٥ فبراير ١٦٠٥م يبدي ملك أسبانيا مخاوفه من احتلال الأتراك للبحرين ويأمر نائب الملك بأن يقوم باسترجاع الجزيرة من الفرس وأن يأخذها بالقوة أو بالرشوة لقائد الحامية حتى يتم تسليم قلعتها إلى البرتغاليين. ويواصل الملك اهتمامه بالجزيرة في رسائل لاحقة لنوابه في الهند وكانت آخر رسالة بهذا الصدد في ٢١ مارس ١٦١٧م ولكن بسقوط هرمز في ١٦٢٢م سقطت معها أحلامهم في إسترجاع البحرين .

١٧ - ولكن يقول باروس (Barros) أن شيلاو تعني فقدان الصينية أما يول وهوبسون فيعتقدان أن شيلاو تعني سلابام بلغة التاميل ومعناها الغوص. أما السنهاليون فيقولون بندر هالفاتا (بندر صلوات لابن بطوطة). أما التاميل فيقولون سالابام وتعني مصائد اللؤلؤ .